أحمد ابراهيم الفقيه

الخروج الى المتاهة

الرواية التاسعة من خرائط الروح

الجرامنت ، هذا الشعب القوي ، الذي يزرع مناطق الملح بعد ان يغطيها بالتراب ، وفي ارضه يوجد الجاموس الذي يرعى وهو يمشي الى الوراء، لان قرونه تمنعه من التقاط العشب اذا سار الى الامام

هيرودوت

كنا باختصار نواجه اعظم متحف فني لما قبل التاريخ في العالم كله ، فقد كانت هناك صور ذات ميزة جمالية عالية ، كالصور التي بالحجم الطبيعي لنساء سافرات

هنري لوت

مكتشف لوحات تسيلى

مفتتح الرواية التاسعة

* ربما تكون المتاهة الموجودة بداخلنا أكثر خطورة من تلك التي نجد أنفسنا بداخلها.

* في المتاهة يمكن أن ترى إنساناً تائهاً ، ولا يعرف أنه تائه ، وآخر تائهاً ويعرف أنه فقد الطريق ، وثالث يسير في الاتجاه الصحيح ويظن نفسه تائهاً .

* أصدق تعبير يصف متاهة الصحراء قول المتنبي " يهماء يكذب فيه السمع والبصر".

* بين سكة السلامة وسكة الندامة وسكك أخرى ، تهمل الذاكرة الشعبية ذكرها ، بينما هي التي تستقطب العدد الأكبر من الناس.

* هناك حقائق في قلب الأكذوبة وأكاذيب في قلب الحقيقة ، هكذا يقول كتاب المتاهة .

* هناك إنسان يصنع الظروف ، وثالث تدخل في تكوينه الإرادة والظروف ، ورابع يبقى مادة أولية عصية التصنيع .

* المتاهة امرأة " قال رجل تعذب بحب امرأة لعوب ، " المتاهة رجل " قالت امرأة أحبت رجلاً لا يبادلها نفس العاطفة ، المتاهة هي الحب " قال عاشق أحب بلا أمل لأنه من السهل أن تدخل إليها ، ومن الصعب أن تخرج منها إذا دخلت .

* المتاهة ليست دائماً تلك المفازة الصحراوية الواسعة ، وإنها قد تضيق لتصبح بحجم غرفة نومك أو مكتبك ، ومع ذلك تبقى متاهة .

* المتاهة فضاء مفتوح على الحياة والموت ، الرجاء ، واليأس ، الخير والشر ، الفرح والحزن ، الصحة والمرض ، الخلاص والضياع ، فتزود قبل السفر عبر متاهة الصحراء بما يتيح لك الانتفاع بمباهجها ، والنجاة من مخاطرها .

* الصحراء هي الوحش في فجر التاريخ ، وعاد اليوم يواصل زحفه ليأكل مدنا وأوطاناً ويعبث بالتدرج الحضاري الذي عرفه كوكب الأرض .

* الصمت متاهة أخرى داخل صحراء المتاهة .

*لاشيء يكسر صمت الصحراء المرعب ، إلا صوت أكثر رعباً ، هو صوت العاصفة التي تعوي بحناجر ملايين الذئاب .

*منذ عصور سحيقة حاولت القوافل رسم علامات مرور في صحراء المتاهة دون فائدة ، لأن ذلك ضد روح الصحراء ، وضد قانون المتاهة .

*لصحراء المتاهة أسرارها التي لا تكشف عنها إلا للتائهين .

*لا تملك صحراء المتاهة إلا أنهاراً من السراب تهديها للعطاش.

لم تستطع جلسة العشاء في مطعم فرانكا
ان تحسم القضايا الشائكة المعلقة بين عايده
عبد السلام ، وعثمان الحبشي ، وبدا جليا لكل
منهما ان الطريق الي مستقبل مشترك ليس سالكا
بعد ، وان كل طرف منهما لم يحسم موقفه حسما
نهائيا ، وان هناك مناطق مضيئة واخرى مظلمة
في تفكير كل منهما ازاء الاخر ، والخلاصة
انهما يحتاجان الى بعض الوقت لاستجلاء هذه المناطق
المبهمة ، المعتمة ، الا ان الوقت لا يبدو انه
يعمل لصالح العلاقة التي بينهما ، فقد انشغلت
هي ببرامج الحزب وتحمست للعمل مع محمد
الجن ، بسبب ما يلقاه الحزب من شعبية ، وصلت
الى الاوساط النسائية التي اقبلت على الاشتراك
فيه وحضور ندواته والمشاركة في الصحيفة
الحائطية التي انشأتها لجنة المرأة ، وكان الجن
يولي الموضوع اهمية خاصة لانه يجعله قريبا
من عايده ، ولانه رآى تأثير العناصر النسائية

التي تتردد على مقر الحزب ، على شباب المدينة ورجالها الذين انخرطوا في الحزب بسبب وجود هؤلاء النسوه ، مما اعطى الحزب مظهرا قويا امام الاحزاب الاخرى ، وجعله الحزب الوحيد الذي يضم نساء بين صفوفه ، الامر الذي جعل المسافة تضيق بين محمد الجن وبين عايده عبد السلام ، التي صارت ترى فيه جوانب جديده تزيدها اقترابا منه ، خاصة خلال زياراتها المتكررة لبيت اهله ، حيث اتاحت لها هذه الزيارات فرصة ان ترى اسلوب تعامله مع نساء العائلة، وما يبديه نحوهن من تهذيب وذوق ورقي ، كما شاهدت كيف ان العائلة تجلس على مائدة واحدة نساء ورجالا ، على غير عادة البيوت الليبية الاخرى التي تفصل اثناء الاكل بين الرجال والنساء ورأت خلال هذه الزيارات من التفاصيل الصغيرة في سلوكه ومعاملاته ما زاد من تقديرها له ، كما استطاعت التقاط علا مات على احترامه لها تأتي بشكل عفوي لا افتعال فيه ، فاثناء جلوسها لتناول القهوة معه ، او الغذاء في مناسبات قليلة تجده لا يلمس فنجانه او يبدأ في تناول طعامه الا بعد ان يراها بدأت ، ولا يخاطبها الا بلقب الاستاذة ، ولا يتعمد اطلاقا ان يبدي أي موقف يشعرها بانه رئيس اومسئول اعلى منها في الحزب ، فلم يصافحها كلما التقاها الا واقفا ولا يجلس الا بعد جلوسها ، ولا بد ان يمشي لتوديعها حتى الباب اذا زارته في مكتبه ، وكان يستمع ، في الاجتماعات ، لاي رأي تبديه بمنتهى الاهتمام والاحترام ، ويعرض بتواضع اية افكار لديه ولا يقرها الا بعد ان يأخذ رأيها ، سواء اثناء اجتماعات اللجان او خارجها ، كما كان وراء

اقحام كثير من نساء اقاربه في الحركة السياسية
بالاضافة الى اتصالاته ببعض شخصيات المجتمع
لتشجيعهم على انخراط بناتهم ونسائهم في
الجهد التطوعي الاجتماعي السياسي ، تاركا
لها الحرية الكاملة في وضع وتنفيذ برامج لجنة
المرأة دون ان يعترض على أي اجراء تتخذه
او يفرض رأيا خاصا بلجنتها ، الا بعد عرضه
عليها ليكون لها حق الرفض او القبول ، ولم يكن
يخفي كراهيته لعثمان الحبشي ، او التصريح بانه
يرى فيه نقيضا له في الحياة ، فقد اختار ان
يكون مع الجلاوزة والسجانين وقوة الاحتلال
بينما اختار الجن ان يكون مع اهل بلاده المسحوقين
المظلومين الكارهين للاستعمار ، واثقا من ان
النصر في النهاية سيكون من نصيبه ونصيب
من يقف معبرا عنهم ومتكلما باسمهم
وفي خط مواز تماما لعملها الناجح والمكثف
مع لجنة المرأة في الحزب ، مضى مشروع المدرسة
النسائية في سياقه المعتاد ، حتى اكتمل بناء المدرسة
وتأثيثها ، وحان الوقت كي تنقل مكتبها من قصر
الولاية الى مبنى المدرسة ، وتنتهي بالتالي
علاقة العمل التي ربطتها بمكتب عثمان الحبشي
خلال مرحلة الانشاء وجمع التبرعات ، لتبدأ
تعاملها مع قسم التعليم ، الذي يشرف عليه
مدرس من ابناء مدرسة العرفان في العشرينات
اسمه حسني الشريف
كان وقع رحيلها من المكتب شديد التأثير
على عثمان الحبشي الذي تعود على وجودها
بجواره خلال الاشهر التسعة الماضية ، والقى نظرة
على مكتبها في اليوم التالي لمغادرتها له ، فوجده
خاليا من عايده ، عاريا من الغلاف الذي صنعته

له من ملفات واوراق وكتب تملأ الارفف ، وصور على الحائط ، وبعض مزهريات تحمل نبتات داخلية ، لم يبق من كل ذلك الا الهيكل العظمي المتكون من الطاولة ، والارفف الفارغة والجدران العارية ، وكان خشب الطاولة والارفف بلونه الضارب الى الصفره يعطي للغرلفة منظرا قبيحا كوجه انسان يحتضر. ولامر ما بدت سونيا اكثر نشاطا ومرحا وحيوية ، وكأن وجود عايده في المكتب كان يشكل عبئا عليها ، رغم ان عثمان الحبشي لم يكن يلحظ أي خصومة او تنافس بين المرأتين ، فلكل واحدة عملها الذي لا يتعارض ولا يتقاطع مع عمل الاخرى ، ربما سبب ا لضيق ، ان عايده صارت مع الايام تتمتع بحظوة لديه ، تدخل مكتبه متى تشاء ، وتجلس معه الوقت الذي تريد ، ثم تذهب بصحبته في بعض الاحيان لتناول طعام الغذاء وتتصرف في سيارته الحكومية وسائقه كأنهما سيارتها وسائقها ، لعل هذا كله اثار شيئا من الغيرة المهنية لديها ، وجعلها ترى في خروج عايده من المكتب ، عودة للحياة الادارية المالوفة لهذه الادارة التي تمثل سونيا العصب الحيوي فيها منذ ما قبل ان يصبح الحبشي مديرا لها ثم ازدادت اهميتها مع مجيئه ورجوعه اليها في كل صغيرة وكبيرة بما في ذلك شئونه الشخصية وحياته الخاصه خارج المكتب . لم يكن قد تناول أي كلام مع عايده قبل مغادرتها ، لانه لم يدع لها فرصة لتوديعه ، فقد غادر المكتب مبكرا للمشاركة في مباراة لتنس الطاوله بالمصيف ، وجاء اليوم وجلس في مكتبه مطرقا ، يفكر في طريقة ما يعالج بها الفراغ

الذي حل فجأة في حياته بسبب غيابها، الا ان طرقا على الباب اخرجه من تفكيره ، ورآى وجه عايده يطل باسما من بين ظلفتي الباب ، تسبقها خصلة نافرة من شعرها الذي تهدل فاحم السود حول وجهها الباسم المضيء قائلة بصوتها الدافىء الجميل :

- صباح الخير .

نهض من مكتبه وذهب بخطى سريعى يمد اليها كلتا يديه ، كان يدا واحدة لا تكفي لمصافحتها ووقف ممسكا يدها بين يديه ، يتأمل وجهه ويستعذب لحظة حضورها ، قبل ان يدعوها الى الجلوس في الكرسي الذي امامه ، ويعود الى مكتبه

- لم تكن موجودا بالامس لكي استطيع توديعك فرأيت ان اعود لاقول لك شكرا جزيلا على ما فعلته من اجل المشروع ، لانه لولا عونك ما صار لهذه المدرسة وجود.
- اعتقد ان علاقتنا تجاوزت مشروع المدرسة الى ماهواكثر خصوصية وحميمية .
- صدق او لا تصدق ، اذا قلت لك انني فكرت في العودة الى الشام للتدريس هناك ، بعد ان اضجرتني جلسة البيت ، ووجدت الابواب مقفلة في وجهي .
- لا تقولي هذا الكلام . لم تكن الابواب مقفلة ابدا . كانت فقط بحاجة لمن يدفعها كي تفتح وهذا ما حدث بعون الله ، فالشكر لك انت في البدء وفي الختام. الم يكن ممكنا ان يستمر مكتبك هنا ؟
- تعلم ان ذلك المبنى حلم من احلام حياتي ، ولذلك فانا هناك المديرة والمعلمة والحاجبة التي تكنس البلاط.

- ولكننا تعودنا على وجودك بيننا في هذا المكان ، واراه اليوم مسلوبا من الروح التي كانت تمنحه الحياة.
- المكان عامر باهله ، وسوف لا انسى الايام التي قضيتها فيه .
- ماهي الخطوة القادمة ؟
- الخطوة القادمة هي الافتتاح الكبير لاول مدرسة نسائية في تاريخ البلاد ، وسيكون سيادتكم نجم الحفل باعتباركم مؤسس المشروع .
- سندعو الوالى لافتتاح المدرسة ، فقد ابدى ترحيبا بانشائها منذ البداية . هذا على المستوى العام ماذا عن المستوى الخاص ؟
- مهما حدث على صعيد العمل ، فان الصداقة التي بيننا ، تتجدد بتجدد الايام.
- متى استطيع ان ادعوك للغذاء او العشاء.
- امهلني الى ان انتهي من افتتاح المدرسة ، لانني سانشغل بالتحضير لهذا الافتتاح صباح مساء هيا ، الى اللقاء .

نهضت وغادرت مكتبه دون ان تعطيه فرصة استبقائها لوقت اطول ، وضرب الجرس بعصبية لتأتي سونيا مهرولة فيسألها ان تفعل شيئا لاحياء حفلاته المنزلية في اقرب وقت ممكن ، فقد اوشك الصيف على الرحيل دون ان يقيم خلاله حفلة واحدة ، خاصة وان لديه حديقة كبيرة ، اراد دائما ان يستغلها لاقامة هذه الحفلات التي تسمى حفلات الحديقة ، وسيستدرك ما فات باقامة حفل كبير قبل ان يلفظ الصيف انفاسه الاخيره، فقد اصبحت هذه الحفلات ، بالنسبة له ، اشبه بحبة الدواء المسكن التي لابد ان يتناولها كلما صادفته هزة كهذه الهزة العاطفية ، اذا صح ان يسميها كذلك ، فهي حالة من الكدر نتجت عن حقيقة ان المرأة التي تعود

على رؤيتها كل يوم ، انتقلت للعمل في مكان آخر ، وحرمته بالتالي من دفء وجودها بجواره ، بالاضافة الى خوفه من ان يؤدي ابتعادها عنه مكانا ، الى ابتعادها عنه عاطفة ووجدانا لانها ماكانت لتحتل هذه المساحة من مشاعره واحاسيسه ، لو لم تكن قد حطت كعصفورة الربيع في الحقل الذي يعمل فيه ، لتنشأ الالفة التي ادت الى مراحل ابعد واعمق في العلاقة ، اما الان وقد طارت العصفورة من الحقل ، فان الامل في الابقاء على علاقته بها متوهجة ساخنة يبدو باهتا ضعيفا ، والدليل هذه الزيارة الاخيره ، التي ارادتها زيارة وداع ، وبدت فيها مستعجلة ، مترددة في قبول دعوته ، ولجأ لاستشارة تلك الذبذبات السرية التي تنتقل بين رجل وامرأة ربطت بينهما علاقة عاطفية ، فلم تزده الا إحساسا بالفقدان لقد أحس بهذا الشرخ في علاقته بها ، منذ ان بدأت نشاطها الحزبي مع محمد الجن ، وتوقع ان ينجح في اصلاحه وترميمه ، الا انه بدلا من الاصلاح ، صار يزداد تفاقما واتساعا ، حتى اتخذ حجم هذا الفراغ الموحش الذي يراه امامه ، ولكن الله حباه بامرأة أخرى ، تستطيع ان تقدم له العزاء والسلوى ، هي سونيا فلتستأنف الاحتفالات في بيته دورتها ، وليمتلىء الكأس برحيق الكروم ، ويرن الوتر في جوف الليل ولتأت نساء المتعة العابرة ، يملان هذا الفراغ بالمرح واللعب والرقص

وبهمة ونشاط بدأت سونيا تجري اتصالاتها من اجل حفلة الصيف ، وتتفنن في تطوير صيغة الحفل ، ليكون مناسبا لاجواء الحديقه ، متفقا مع المناخ الصيفي ، واستخدمت كلمة لم يفهمها

عثمان الحبشي ، ولم يدر من اية لغة جاءت بها
هي كلمة "بارباكيو" ، اشارة الى عشاء اللحم المشوي
الذي يقام في الحديقه ، وفي حالته سيتولاه
طهاة من الفندق ، يشوون اللحم على شوايات
منصوبة وسط المكان الذي يقام فيه الحفل
ورغم تكلفتها العالية ، لم يتردد عثمان الحبشي
في القبول بالفكرة ، فالمال صار يرد اليه من مصادر
متعددة ، اهمها التجارة التي يتولاها شريكه انور
ثم المزرعة التي يديرها اخاه صلاح ، ومن بعيد
تابع عايده عبد السلام ، وهي تواصل الاعداد لحفل
افتتاح المدرسة ، الذي سيكون عيدا وطنيا للبلاد ، لانها
لم تترك شخصا معروفا لم تقم بدعوته ، واستعانت
اكثر من مرة بعثمان الحبشي في عمليات التحضير
للحفل ، مثل التوسط لها لاحضار الفرقة الموسيقية
لمدرسة الفنون والصنائع لتقديم الاناشيد الوطنية
والتنسيق مع الوالي في اختيار اليوم الذي
يناسبه للافتتاح ودراسة ان تتولى الاذاعة نقل
الحفل على الهواء وجلب الات تمكنها من مثل
هذا النقل الذي يحدث لاول مرة في البلاد
وعلاوة على ذلك فقد قرا اكثر من تحقيق صحفي معها
مصحوبا بصورة المبنى المدرسي وصورتها ، بتلك
الخصلة من الشعر النافرة فوق جبينها ، والابتسامة
العريضة التي تملأ وجهها ، مع تعليقات تبارك
المشروع وتقدم واجب الشكر والتحية لصاحبته
عايده عبد السلام ، ورغم ان هذه التعليقات لا تأتي
على ذكره في اقامة هذا المشروع ، الا انه كان سعيدا
بان يساهم في انجاح هذا الحفل والتحضير له حتى
يوم حلوله ، الا ان حدثا جللا جعله يعتذر لعايده عن
حضور الحفل ، ويامر سونيا بالغاء كل الدعوات
والتحضيرات التي قامت بها لحفل الحديقه ، اثر لقائه

بعبد المولى الذي كان عائدا من القرية يحمل
رسالة من امه ، وخبر عنها ، اما الرسالة فهي
مجرد ظرف يحتوي على صورة امرأة جميله
قال عبد المولى ان امه امرته ان يسلمه اليه يدا
بيد ، وان يبلغه بان امه اختارت هذه الفتاة
التي تنتمي لاحدى عائلات اولاد الشيخ ، فوالدها
الحاج عبد الكريم ، يقيم بعائلته في غريان
منذ سنوات ، حيث يملك اكبر مخازن الدقيق ، وقد
ضمن لابنته تعليما دينيا ، وما ان رأت ابنته
عندما جاءت صحبة امها لزيارتها حتى تأكدت
انها لن تجد فتاة اجمل منها ، تكون زوجة
لابنها واما لاحفادها من عثمان ، متاكدة ان
حكمة الله جعلته يتأخر في الزواج حتى تظهر
هذه الفتاة الجميلة التقية التي تنتمي لاكرم
عائلات اولاد الشيخ ، متمنية عليه ان يحقق لها حلم
حياتها بان ترى حفيدا من احفادها قبل ان تموت
ثم اضاف عبد المولى والعبرات تفيض من عينيه
بانها للاسف الشديد لن تستطيع ان ترى هذا الحفيد
لانها انتقلت صباح اليوم الى جوار ربها ، وسينتظرون
بالجنازة الى ظهر الغد ، لكي يحضر دفنها
وتقبل العزاء فيها . تقدم عبدالمولى ليحتضن
عثمان الحبشي معزيا ، الا ان الرجل دفعه عنه
قائلا له بلهجة غضب واحتجاج ، كيف لا يخطره
احد بمرضها ليقوم بواجب علاجها في المدينة
وتسخير افضل الاطباء الايطاليين والانجليز
لاداء هذه المهمة ، فافهمه عبد المولى ان امه
كانت دائما طبيبة نفسها ، ولهذا طردت الممرض
الذي ارسله اليها ، لانها تعتقد ان اعشابها
افضل مما لدى الممرض من حقن وعقاقير
وعندما اشتد عليها مرض القلب اعلنت انها ستدخل

صالحه ، وهي وصفة علاجية نفسيه لا يجيدها
الا قلة من الناس منهم والدته التي كانت تتطوع
احيانا بتقديمها لنساء القرية والاشراف على
علاجهن بها ، وارادت هذه المرة ان تعالج بها
علتها ، حيث اقتضى الامر ان تقتطع جزءا من
البيت ، وهو غرفة الضيوف ودورة المياه الملحقة
بها ، وتقوم باسدال ستائر سوداء حول هذه
المنطقة من البيت ، تمنع النور من ان يتسرب
اليها اطلاقا ، وتدخل هذه العزلة ، التي يلفها
الصمت والظلام ، بعد ان تكون قد بدأت صيامها
وارتدت ملابس جديده ، واشترت ادوات جديدة للطهي
تقوم باستخدامها لاول مرة في هذه العزلة
واخرى لكي تتناول فيها طعامها الذي يتكون
من حبات التمر والسويق والزيت واية اطعمة
جافة لا يدخل فيها الملح ، مع عدة الشاي ، وموقد النار
وكلها جديدة هي ايضا ، وتضع بجوارها مايلزمها
من ماء ومؤن ، لكي لا تحتاج لشي من خارج
عزلتها ، لمدة اربعين يوما ، لا ترى فيها ضوء
الشمس ، ولا تكلم احدا ، ولا تقابل خلالها
انسانا ، ولا تخرج دقيقة واحدة من عزلتها ، تصوم
وتصلي وتتلو التسابيح والاوراد ، وما تحفظه من
سور القرآن ، ولا تأخذ من الادوية الا صنفا واحدا
هو رحيق زهور نبات البردقوش ، وهو رحيق
يصفه الاطباء الشعبيون لانواع كثيرة
من امراض الشيخوخة
وقد انتهت عزلتها على خير ، وخرجت معافاة
من داءالقلب ، ووجهها يتلألأ نورا ، تكاد ترمي
عصاتها وتمشي كانها في مرحلة الشباب ، الا ان
هذه الصحوة لم تستمر غير خمسة ايام ، وفي
صباح اليوم السادس ، بينما كانت جالسة بين ابنائها

وبناتها اثناء وجبة الفطور ، احنت رأسها على
صدرها وتوقفت عن الكلام ، وعندما حركوها
وجدوا انها انتقلت الى دار البقاء
تلقى هذا الخبر ليلا ، وكان لابد ان ينتظر حتى
الصباح ليتولى تأجيل الاعمال الموجوده على جدول
انشغالاته ، ويخطر الوالي بسفره المفاجىء لقريته
وارسل عبد المولى عائدا الى القرية في نفس
الليله ، بعد ان زوده بما يحتاجه من مال لتجهيز
سرادق العزاء ، وشراء الكباش التي تنحر لاطعام
الضيوف الذين سيأتون لتقديم العزاء . صرف
عبد المولى ومد يده يتأمل صورة المرأة التي
ارسلتها اليه امه . امرأة ذات وجه صبوح وملامح
رقيقة ناعمه ، يستغرب انتماءها الى قرية جدباء
غبراء ، ذات ملامح صخرية مثل اولاد الشيخ
ولكن الى أي مدى يمكن ان يطابق الاصل
الصورة ؟ هذا هوالسؤال . ترك الصورة فوق الطاولة
ودخل ليهجع الى غرفة نومه ، ودون ان يتعمد
البكاء ، بدأت العبرات تهطل من عينيه في صمت
وواصلت الهطول جزءا كبيرا من الليلة حتى
واتته غفوة آخر الليل ، التي صحى بعدها ليباشر
الترتيبات التي تقتضيها رحلته الطارئة الى
اولاد الشيخ ، ثم انطلق يقود السيارة بنفسه
وبسرعه بعد ان ترك السائق يجلس بجواره عاطلا
لاعتقاده بان قيادة السيارة في هذا الطريق الطويل
سيساعده على استهلاك طاقة الالم والحزن ، بافضل
من جلوسه في المقعد الخلفي للسيارة لا يفعل شيئا
الا الانغماس في هواجس الموت التي تستدعيها
المناسبة ، ورغم وجود هذه الهواجس حتى
اثناء قيادته للسيارة ، فانها تبدو اقل وطأة على نفسه
لو استفردت به جامدا عاطلا بدون هذا المقود الذي بين

يديه ودواسة البنزين تحت قدميه يطلق من خلالها الطاقة المحبوسة في جسمه
وقبل الظهر بقليل كان يجتاز ممرا بين الجبال العارية الجرداء الا من صخور الصوان واحجار بركانية سوداء ، اتحيط بها كثبان الرمال الحمراء ، لتظهر امامه قرية اولاد الشيخ ، قابعة في فجوة بين الجبال ، وبيوتها الطينية تتسلق قدم الجبل وتصبح جزءا من صخوره الكبيرة الناتئة ، وسحنته الشاحبة الصفراء ، بينما انتشرت اشجار النخيل في اسفل هذا التجويف تصنع بخضرتها المضئية تباينا جميلا مع مستوياته العليا ، وتدريجيا ظهرت اسفل الاشجار مساحات اخرى خضراء ، مزروعة بغلال الموسم ، ومحصورة في هذا الحيز الذي تحده الجبال . وبمحاذاة هذه الجبال وخلفها تترامى صحراء بلقع لا يحدها حد ، وتقضي فيها القوافل الشهور الطويلة قبل ان تصل الى العمران من جديد ، لان اولاد الشيخ هي اخر نقطة فيما يسمى اقليم طرابلس ، لتبدأ منها المفازات الصحراوية الشاسعة التي تفصل بين هذا الاقليم واقليم فزان
ولهذا سميت بوابة الصحراء ، لانه لا يقع خلفها الا تلك الارض المسطحة التي تخلو من الجبال والرمال والوديان ، مجرد بهو كبير بحجم السماء ، يسمونه الحمادة الحمراء . بينما تختلف طبيعة الارض التي تقع قبل اولاد الشيخ اختلافا كبيرا عن تلك الصحراء ، فهي ذات هضاب اواودية عامرة بالاشجار ، تحيط بها كثبان الرمال واليها يذهب اهل القرية في موسم الامطار لحرث الارض بالشعير والقمح اوغرس البطيخ والشمام والخيار والقرع ، كما يرحلون اليها في فصل

الربيع بعائلاتهم لقضاء بضعة اسابيع هناك
عندما تكتسي الارض بغلاف نباتي اخضر
ترعى فيه الاغنام ، ويلعب الاطفال وهم
يطاردون الخراف والجديان ، ويعيش الناس على
الالبان والاجبان والزبدة التي يحصلون عليها
من اغنامهم طوال مدة بقائهم في الريف
ولم يكن عثمان الحبشي يجد في طفولته اياما
اجمل يستذكرها ويستعيدها ويستمتع بذكرياتها
غير تلك الايام التي يرحل فيها مع اهله لملاقاة
الربيع ، وفي احدى هذه الرحلات ، التي كان فيها
صحبة امه وهي تطوف الوادي تبحث عن الاعشاب
الطبية ، سمعها ترتجل ابيات شعر شعبي ، عن بهاء
الربيع وجمال الحياة في الارياف ، على ضفاف
هذه الاودية
لم يستطع الاستجابة لمحاولة السائق ، او الحارس
الجالس في الكرسي الخلفي ، لفتح أي حديث معه ،
لانه لم يكن يجد عقلا ينصت به اليهما فهو منشغل
بحديثه مع نفسه ، وما اثاره رحيل امه من تداعيات
لا تستطيع ذاكرته ان تستحضر شيئا من تلك الايام
التي عاشها في بيت امه وابيه ، لانها كانت سابقة لمرحلة
الوعي لديه ، فقد فارقت امه والده ، وهو لا يزال
طفلا في الرابعة ، الا ان لحظة صغيرة ظلت طافية
على سطح الاحداث ، من تلك المرحلة الغاطسة
في سديم الطفولة ، لحظة الفراق بين امه وابيه
فقد حدث هذا الفراق خارج القرية ، اثناء رحلة
ملاقاة الربيع ، حيث ينصبون خيامهم عند الوهاد
القريبة ، تحيط بها برك الماء المتبقية من السيول
وكان والده قادما من القرية باتجاه الخيمة ، وراته
امه قادما فهبت تستقبله بالصراخ ، وتكتح التراب
في وجهه ، وتساله ان يعود من حيث اتى ، وعندما

تراجع هاربا من صراخها وترابها ، ركضت خلفه ترميه بالحجارة ، فقد سمعت انه عقد قرانه على امرأة اخرى في القرية ، واثار منظرها وهي تجري وراء زوجها فضول اهل النجع فتركوا خيامهم او احطابهم التي يجمعونها اواغنامهم التي يقومون برعيها ، يركضون نحوها ، واطلقت كلاب النجع نباحها وجاءت تضيف ضجيجا الى ضجيج البشر ، وامسكت نساء النجع بامه يقنعنها بالعودة الى الخيمة ويقلن لها بان ما تفعله ليس وسيلة لحل الخلاف مع زوجها ، فصرخت فيهن بانه لم يعد هناك اية رابطة تربطها به ، ولن ترضى بالبقاء معه ساعة واحدة بعد الان . هذا هو الحادث الذي يذكره من تلك الفترة ووقوفه يبكي ويرتعش ازاء ما يحدث دون ان يعرف له تفسيرا ولا يذكر أي شيء قبله ، كما لا يذكر ماذا حدث مباشرة بعد هذا العراك ، او ما تلاه من احداث الى ان وجد نفسه في كنف رجل آخر هو الحاج ابوبكر ، زوج امه ، الذي كان يملك بيتا محاذيا لجامع القريه ، ويعمل راعيا وساقيا ومؤذنا للجامع ويأخذه معه ليصلي الاوقات الخمسة بما في ذلك صلاة الفجر ، ويستعين به في مشواره الصباحي لجلب الماء من البئر الى المسجد ، ويدع له مهمة نقل الماء من السطلين الكبيرين اللذين يأتي بهما مربوطين الى لوح خشبي يحمله على كتفيه ، الى اباريق الفخار التي يستخدمها المصلون للوضوء وما ان ينتهي من هذه المهمة صباحا ، حتى ينتقل الي صحن الجامع ، او تحت قبته اذا كان الطقس لا يسمح بالجلوس في الخارج ، وينضم الى التلاميذ الذين يتحلقون حول الفقيه ابو ماضي

يعلمهم القرآن قبل ان ينتقل في فترة لاحقة
الى زاوية السيد السني
حاول ان يتذكر الاهزوجه التي كانت تنشدها
امه تحية للربيع ، واندهش انه مازال يحفظ
بعض مقاطعها التي تقول :
قلبي عليهم من بعيد ينادي
ويسال على غزلان خشوا الوادي
وجديان ترتع في ربيع بلادي
وطيور حامت بين جاي وغادي
مطمان ليهم يحفظوا ميعادي
مسح بنظراته الصخور ذات التكوينات الغريبه
التي تغسلها شمس الظهيره في اعالي الهضاب
وقد بدا منظرها بائسا ، كانها كائنات تتعذب
بهذا القيظ ، يلمع سوادها البركاني ، وبياض
صوانها ، ويصنع وهجا يعطي لقيظ الظهيرة
شكلا ومعنى ، وتحت هذه المشارف الصخرية
تقبع بيوت القرية وازقتها المتربة التي تنحدر الى
مستوى غيطان النخيل ، وهي الازقة والغيطان
التي قضى جزءا من عمره يجوس خلالها ، وكانه
فعل ذلك في عصر سابق عن هذا العصر ، وفي
حياة سابقة لحياته هذه ، بل ويستغرب كيف
استطاع ان يقضي اكثر من عشرين عاما في
هذه البقعة المعزولة لا يغادرها ، او كيف استطاع
اخرون من اهل القرية ، وبينهم رجال من
جيله ، ان يقضوا اعمارهم كاملة ، في هذاالثقب
بين الجبال الذي اسمه اولاد الشيخ ، غير مدركين
شيئا عن العالم الكبير الواسع الزاخر بمباهج
الحياة ، ليس في حياتهم الا هذه الاثربة ، وهذه الصخور
وهذا الفراغ الموحش الكبير الذي يحيط بقريتهم
الى الحد الذي اشعره ، عند التقائه بهم بعد

عودته ، وتأمله في ملامح وجوههم وهي
تبدو كانها ملامح منحوته في الصخر ، وسحناتهم
المتربة المغبرة ، وحياة الكفاف التي يعيشونها
بشحها وجفافها ، ان ظروف البيئة ومناخها
ورياحها وقيظها وجفافها قد انعكست على
حياة كل واحد منهم وطبعت بصماتها على
روحه وجسمه . انه ليشعر احيانا بالغبطة
لانه استطاع ان يفلت من هذا المصير الذي
تنتهي اليه حياة الناس في قريته ، ويذكر انه
منذ طفولته الى ان غادر القرية ، وهو يعيش متبرما
بوجوده فيها ، لا يشعر براحته وحريته الا عندما
يخرج الى الفضاءات اللامحدودة للصحراء التي لا
يحدها حد ، او يتسلق الصخور الى قمة احدى
الهضاب ، ليقف فوقها يتأمل المتاهة الكبيرة الضاربة
الى الحمره ، كانه واقف امام الابديه ، ويتصور
احيانا ان كائنا الاهيا ضخما سوف يأتي
هابطا من السماء بجناحين على امتداد الافق
حتى يحط في هذا الفراغ ، ويملأه بحضوره
الجليل ، وكان ينتظر ببالغ الشوق رحلة
الربيع التي يغادر فيها اهله القرية ، مستمتعا بقضاء
تلك الفترة بين الاودية والشعاب وفي صحبة الاغنام
والحمير التي يفضلها احيانا على صحبة الناس
ولم يكن ضيقه بالحياة في القرية ، ناتج عن اية
مضايقات او مشكل يلقاها في البيت ، فامه كانت
تبالغ في تدليله ، وكان يلقى معاملة كريمة من
زوجها الحاج ابوبكر ، الذي كان رجل صلاح
وتقوى وليس في حياته غير العبادة وخدمة
الجامع ، لا يؤذي احدا ، ولا يرفع صوته في وجه
احد ، ولم يكن هو يتطلع في لباسه وطعامه ومسكنه
الى اكثر مما يعيش عليه كل الناس ، ويتوفر

في البيت الذي يعيش فيه ، فافطاره كان مثل
افطارهم ، كوب شاي ، وكسرة من خبز الشعير
وغذاءهم كان عجين الشعير المطبوخ(البازين)
محاطا داخل الصحن بدائرة من المرق الذي يسمونه
مرق اللوسه بلونه الاصفر المستمد من مادة هذا المرق
الرئيسية وهي الكركم ، وقد يتحول الى مرق احمر
في مواسم الطماطم ، تخالطه في اوقات نادرة جدا
بعض قطع اللحم المقصورة على المناسبات الدينيه
وفي الليل مرق من نفس النوع الا انه هذه المرة
في شكل غموس لارغفة من خبز الشعير الذي
لا يوجد خبز سواه ، وقد يصنعون بديلا لهذا الغموس
طبقا من السلطة الخضراء ، او شرائح من البطيخ الاحمر
في مواسم جني البطيخ صيفا ، وبين الوجبات هناك
دائما حبات من التمر جاهزة لاي طفل يطلب طعاما اضافيا
او يسأم عيش اللوسة وخبز الشعير
ولانه لم يخرج من اولاد الشيخ لاية قرية قريبة
او بعيده خلال اعوام طفولته ، فانه لم يكن يدرك ان
هناك حياة غير هذه الحياة ، او اسلوب معيشي غير هذا
الاسلوب ، كما لم يكن في القرية اغنياء ، يعيشونه
حياة اكثر ترفا يمكن ان يتطلع اليها بقية اهل القرية
ويحاولون الارتفاع اليها ، اويحلمون ببلوغ مستواها
كان يدرك فقط ان هناك عالما اجمل واكبر واكثر
زحاما وتنوعا من حياة القرية ، يعرفه عن طريق
السماع ، هو عالم المدينة ، أي طرابلس التي لا لم يكن
يعرف ان هناك مدينة في الدنيا سواها ، والتي ارتسمت
في ذهنه صورة زاهية جميلة عنها منذ اولى مراحل
الوعي ، تختلف عن صورة القرية ، وكان كل شيء
جميل يصل القرية ، يقولون عنه ، انه قادم
من طرابلس ، سواء كان فاكهة او عرائس والعابا
او ملابس جديده ، اواشياء مثيرة كبيرة مثل

السيارات ، او الصالونات ، حتى صارت طرابلس
في ذهنه مثل المدن الاسطورية في الخرافات التي
يسكنها اناس قادرون على فعل كل شي ء
ارض الاطعمة الفاخرة والملابس الفارهة
والشوارع العامرة بالبشر والعربات والسيارات
والاسواق الحافلة بكل انواع البضائع والغلال
والالعاب ، يسكنها اناس ينتمون لمختلف
الاجناس ويرتدون مختلف الازياء ويختلط في
شوارعها واسواقها الرجال والنساء اللاتي
يمشين في الشوارع حاسرات الرؤوس والوجوه
واكثر من ذلك هناك في طرابلس ذلك الشيء
المهول ، الذي ما ذهب احد الى طرابلس الا وعاد
مندهشا ، فاغر الفم ، وهو يتحدث عنه
أي البحر ، الذي لا ضفاف له ، يستحمون
فيه ويعومون ويشاهدون على شواطئه نساء
اجنبيات جميلات ، عاريات الا من قطعة قماش تشبه
ورقة التوت ، حتى صار حلم حياته ان يذهب
الى طرابلس ، ويتعجل الفرصة التي تتيح له
الانتقال الى تلك المدينة البعيدة الساحره
كان الحاج ابوبكر قد ترك كل حوائج البيت
وشئونه لامه التي كانت تتولى ادارة العائلة
وتدبير معيشتها بالمبلغ البسيط الذي تتلقاه
من زوجها والذي لا يتعدى بضع فرنكات
واحيانا بضع بيضات مما يقدمه التلاميذ
لفقيه الجامع في نهاية الاسبوع . وكانت هي
التي تتعامل مع الرعيان الذين يرعون شياه العائلة
مع اغنام اهل القرية في الاودية القريبة ، وهي التي
تشرف على حصاد الشعير في موسم الحصاد
وتدبير الاجراء الذين يقومون بالمهمه ، بعد ان يكون
زوجها قد شارك مع اهله في حرث حصته من

ارض العشيرة ، كما كانت حريصة على الا يترك ابنها عثمان الدراسة في المدرسة القرآنية لاي سبب من الاسباب ، حتى يصل اعلى مراحل الدراسة فيها بل كانت تقف على راسه عندما يعود بواجب للحفظ ، فلا تتركه يخرج حتى يحفظ الواجب المكتوب في اللوح ، وعندما انجبت اولادا اخرين من زوجها الثاني ، ظل عثمان، باعتباره ابنها البكر، هو الذي يحظى بالمكانة الارفع بين اخوته ، حيث يصله طعامه وشرابه قبل الجميع ، وساعد اجتهاده في حفظ القرأن على ان ترى فيه فقيها من فقهاء المستقبل ، تفخر به بين اهل القرية ، وتساعده على استكمال مشواره في هذا الطريق

وكان هذا ايضا امل الحاج ابوبكر الذي ظل يوصي به شيوخه حتى بلغ اقصى مراتب التعليم زاوية السني لم يكن موجودا في القرية ليرى حجم الصدمة على امه بعد ضبطه في الخرابة مع المرأة الزنجية فقد ترك البلده في اول سيارة شحن ذاهبة الى المدينه ولم يعد الا بعد اكثر من عام هاربا من التجنيد حيث عاش معزولا عن الناس ، خائفا من القبض عليه ، يتحين الفرصة للعودة الى المدينه في اسرع ما يستطيع من وقت ، لانه لم يكن ممكنا بعد ان ذاق خبز المدينة ، ان يتحمل الحياة في ثقب بين الجبال اسمه اولاد الشيخ . انتمى لامه اكثر مما انتمى لابيه الذي لم يكن يراه الا في المناسبات الدينيه ، وبطلب من امه ، التي تحظه على الذهاب اليه في بيته ، وطلب السماح منه والالتقاء باخوته من ابيه ، فيذهب دون حماس ، الا انه سرعان ما يشعر بالارتياح عندما يجد فرحة ابيه برؤيته ، ويجد في انتظاره قميصا او حذاء اولعبة اوورقة نقديه ، يعود

بها الى امه ، ويبقى بعيدا عن ابيه فلا يراه الا
عند حلول مناسبة دينية اخرى . وبرغم هذه
الهدايا ، وما يلقاه من محبة عند ابيه ، فقد
ظل ينظر لابيه كنظرته لرجل من اهل القرية
المتقدمين في العمر ممن يقتضى الواجب
تقديرهم واحترامهم ، الا انه لا يحس باية علاقة
خاصة تربطه به ، كأنه ليس والده
ورغم مرور هذه الاعوام الكثيرة عن تلك
الحادثة التي ارغمته على مغادرة القرية ، ظل يشعر
بالذنب كلما التقى بها ، لانه خيب املها وامل عمه
الحاج ابوبكر في ان يرياه فقيها يعلم التلاميذ
في جامع القرية ، يحذوه الامل وهو يعود اليها
بعد غيبته الطويلة ، مسئولا حكوميا كبيرا
تحيطه بعض مظاهراهل السلطه ، ان يعوض
ذلك شيئا من احساسها القديم بالخيبه ، وهاهي ترحل
ويرحل معها شعوره بالاثم الذي لم يشعر به ازاء
أي انسان سواها ، لانه لا وجود لاحد علق عليه
الامال الكبار كما فعلت هي
دخل بسيارته الشوارع المتعرجة الفارغة ، التي
تخلو من الناس في وقت الظهيره ، وقد
انعكست عليها كآبة روحه ، فرآها كئيبة ، حزينه
لا يصدر من اركانها الا طنين الذباب الذي يزيدها
بؤسا وتعاسه ، ولا يرى الا بعض اشخاص من
اهلها يتحركون بمحاذاة الحيطان الواطئة كانهم
يسيرون نياما ، حتى وصل امام الجامع ، قبل
دقائق من اذان الظهر ، وهرع بعض اهله
الذين كانوا بانتظاره ، يصافحونه ويعانقونه
ويتجهون به الى الداخل ، بانتظار ان تبدأ
الصلاه ، فتوضأ والتحق بالمصلين ، الذين
الحقوا بصلاة الظهر ، صلاة الجنازة على المرأة

المتوفاة ، وتقدم عدد من الرجال يحملون نعشها
الى المقبرة ، فسار خلفهم يحاذيه بعض اخوته
ووالده والحاج ابوبكر ، وعدد من شيوخ القرية
وعندما رآهم يتناوبون على حمل النعش
تقدم اكثر من مرة للمشاركة في حمله لدقيقة
او اكثر ، ويراه نعشا خفيفا كانه فارغ من أي حمولة
ربما بسبب ما وصلته امه من ضعف وهزال قبل ان
توافيها المنية ، فيسير بالنعش بضع خطوات الى
ياتي من ياخذ مكانه ، ويعود هو الى الصف الذي
يسير خلف الجنازة يردد مع المشيعين عبارة " لا اله الا الله"
حتى وصلوا المقبرة وهم يتصببون عرقا
من شدة القيظ ، حيث اودعوها حفرة ليست
بعيده عن الضريح الكبير ، الذي ترفرف فوقه
اعلام البركة الخضراء ، الذي يحتضن الجد الاكبر
لعشيرة اولاد الشيخ ، حيث اهالوا عليها التراب
وانتقلوا الى الباب الكبير لسور المقبرة حيث
وقف عثمان الحبشي على رأس الطابور العائلي
يتلقى العزاء من اهل القرية ، وقد وضع في يده
منديلا يجفف ما ترقرق في عينيـــه من دموع
وقبل حلول المساء ، انتصب ذلك السرادق الكبير
الذي يليق بمأثم المرأة التي انجبت صاحب
المنصب الرفيع ، عثمان الحبشي ، ومدت البسط
الفاخرة داخل الساردق وخارجه ، استعدادا
لاستقبال الوفود القادمة لتقديم واجب العزاء
من داخل البلدة وخارجها ، وفي ركن منه
جلست حلقة من الشيوخ تقرأ القرآن ، في حين
ارتدى عثمان الحبشي بدلة عربية وجلس في
الهواء الطلق ، خارج الساردق وقد بدأت انسام
الليل تمحو اثار قيظ الظهيره ، يستقبل الناس
الذين بدأوا يتوافدون فرادي وجماعات ، فكان

يقف لكل قادم جديد ، يتقبل منه العزاء ، ويدعوه للجلوس على المراتب والوسائد الموضوعة فوق البسط ، وكان احد اول القادمين الكابتن تاور حاكم الواحات الغربيه ، مصحوبا برئيس مركز الشرطه وعدد من موظفي البلده ، قبل ان تتوافد السيارات من المدينه تحمل عددا من زملاء العمل في مقدمتهم الدكتور وهبي ، ومجموعة من الخبراء المشارقه الذين عادوا الى المدينة في نفس الليلة وعلى مدى الايام الثلاثة التي اعقبت الوفاه ، انهال عليه المعزون من طرابلس باعداد كبيره ، بينهم اصدقاء لم يكن قد قابلهم لعدة سنوات ، من رفاق الاسر في مصر ، ورفاق الحبشة الخمسه ومندوبون عن الاحزاب والاندية بما فيهم النادي الايطالي والنادي اليهودي ، واستغرب ان يكون من ضمن الوافدين للعزاء مندوب عن حزب الجبهة الوطنيه ، ينقل تعازي رئيس الحزب محمد الجن ، وخمن بان هذه المبادره جاءت بتأثير من عايده ، لانه لايمكن ان يقوم بها من تلقاء نفسه

وبسبب استمرار قدوم المعزين ، ظل السرادق قائما لمدة سبعة ايام ، وعثمان الحبشي جالسا بين الناس ، لا يترك الا في بعض الفترات الصباحية المبكره ، عندما يأخذ سيارة الموريس الصحراوية التابعة لمركزالشرطه ، مصطحبا سائقه وحارسه واحد معاوني الشرطة المحليين من ابناء المطقة يقود السيارة في التيه الصحراوي ، توغلا في الحمادة الحمراء ، حتي يصل الى نتوء او شجرة لها ظل وارف ، يتوقف عنده ، ويهبط مع رفاق رحلته ، لاعداد الشاي وقضاء لحظات في قلب الخلاء ، وقد بدت السماء كانها

خيمة عملاقة زرقاء تغطي هذه المتاهة الحمراء
قبل ان يعود مع ذات الطريق مستمتعا بالصمت
الابدي لعالم الصحراء ، ورؤية كائناتها الجميلة
كبعض الظباء والغزلان التي تتجول في
الجوار ، وقد احترم القرار الذي اصدره
الكابتن تاور بمنع اصطيادها ، فلم يترك احدا
من رفاق رحلته الذين اعتبروا ان القرار
لا يعنيهم ، يطلق رصاصة واحده باتجاهها
اقام ، خلال الايام التي قضاها في القرية ، في ذات
الغرفة التي خصصها له والده في بيته الكبير ، وجاء
من يقترح عليه بناء بيت لنفسه في القرية ، كما
يفعل امثاله من ابناء البلدة المهاجرين ، الذين
يحرصون على بناء بيوت يستخدمونها اثناء
زياراتهم القصيره ويهيئونها للاقامة الدائمة
بعد التقاعد ، فلم يبد قبولا ولا اعتراضا تاركا
الفكرة لاختبارات الزمان ، ووجد في زوجة
والده بديلا لامه في التحريض على الزواج
وتنفيذ وصية الوالدة الراحلة التي ارسلت له
من وراء قبرها صورة لزوجة المستقبل ، احضرت
له امرأة الاب ، الاصل الحي لتلك الصوره ، فقد
استدعته اكثر من مرة الى صحن البيت الداخلي
للسلام على قريبات له ، اردن تقديم
العزاء ، وفي المرة الاخيره التي استدعته لمهمة
مماثله ، وجد بين النساء امرأة تجلس على
كرسي غير النساء الجالسات على الارض، سافرة
الوجه ، ترتدي ملابس حديثه وتضع على رأسها
وشاحا من الحرير ، فانتبه الى انه رآى هذا الوجه
الجميل من قبل ، دون يذكر متى واين رأه ، وعندما
مدت يدها للعزاء ، قدمتها له زوجة ابيه بانها خديجة
بنت الحاج عبد الكريم تاجر الدقيق في غريان ،

فتذكر الصورة التي ارسلتها امه مع عبد المولى ولم تخفي عليه امرأة الاب ، الهدف من تقديمها اليه ، عندما عاد الى غرفته ولحقت به هناك لتعيد عليه وصية امه باعتبارها واجبة التنفيذ قائلة في ختام حديتها تلك الجملة التي تؤكد على اتمام الاتفاق :

- ربنا يتمم بخير .
- كل شيء قسمة ونصيب .

رد عليها بما يعني ان المسالة لم تحسم بالنسبة له ، رغم انه خرج من المقابلة مبهورا بجمال المرأة ، الذي يفوق بكثير جمالها في تلك الصورة ، التي اعتبرها تزويقا وتنميقا لواقع اقل جمالا ، بينما العكس هو الصحيح . كان وجه الفتاة الصبوح ، وبشرتها النظيفة الممزوجة بحمرة الورود ، وملامحها ذات الرواء والبهاء ، منظرا غريبا وسط وجوه بنات القرية ذات السمرة الداكنه ، وامهاتهن اللاتي لا يرى غير نصف وجوههن تحت اطراف الاردية المسدلة فوق الوجوه ، ليست اقل رمادا من وجوه بناتهن ، ومعاصمهن وايديهن الجافة المخشوشبة التي تعكس واقع القرية وبيئتها الصحراوية المجذبة القاحلة ، وذكرت احدى الحاضرات تفسرا لهذا التباين بينها وبينهن بان خديجة ولدت وعاشت في غريان حيث يملك والدها بساتين اللوزوالتين والكروم التي تغذت بها ودخلت في تكوينها عاد لضيوفه الذين ينتظرونه في السرادق ، فوجد بينهم رجلا متقدما في العمر، جميل المظهر في بذلة عربية انيقه ، تعلوها عباءة شفافة ناصعة البياض وغطاء رأس احمر له زر حريري داكن السواد ، نهض وقدم له واجب العزاء

وعرف من احد الحاضرين ، انه تاجر الدقيق
المقيم في غريان ، الحاج عبد الكريم ، الذي اضاف
لكلمات العزاء كلمات اخرى تزخر بالمديح لعثمان
الحبشي ، قائلا بانه مصدر فخر واعتزاز لكل
من ينتمي لهذه القربه ، وانه كان يتمنى
ان يتعرف عليه ويتشرف بلقائه منذ امد
بعيد ، الى ان جاءت هذه المناسبة الحزينة لتتيح
له هذا الشرف ، فشكر له الحبشي ما ابداه
من مشاعر طيبة ، ودعاه لزيارته في مكتبه عندما
يجد نفسه في العاصمة
في اخر يوم يقيمه في القرية ، ذهب لزيارة قبر
امه طالبا ان تسامحه عن كل تقصير اواثم ارتكبه
في حقها ، كما زار ضريح الشيخ الاكبر جد
اولاد الشيخ طالبا ان ينفعه ببركاته ، وترك القرية
عارفا انه لن يزورها ثانية الا بعد زمن طويل
لان الرابطة القوية التي كانت تربطه بهذه القرية
هي امه التي رحلت الان ، ورغم وجود والده
فانه لا يشكل ابدا قوة جذب ، ترغمه
على المجي الى هذا التجويف الجبلي كما
كان الحال معه امه . لعله كان مقلا في زياراته
لها ، الا انها كانت ماثلة في ذهنه ، وكان حنينه
لرؤيتها يسكن قلبه ، لولا انشغاله بعمله ، الذي
اعاقه عن زيارتها بالقدر الذي يريد ، ولم يتخل
عن امله في ان يراها تاتي للعلاج في العاصمة
الا انها كانت تؤجل رحلة العلاج حتى جاءت الرحلة
التي لا تقبل تأجيلا ، رحلة الانتقال الى العالم الاخر
اعطته وفاة امه اجازة اجبارية ، احس خلالها
برغم الاسى ، اهمية ان يبتعد انسان مثله ، عن
ضغوط العمل وصراعاته لفترة قصيرة من الوقت
ليكتشف حقا كأنه تحرر من حجر كان مربوطا

على صدره ، فهاهو يعيش عشرة ايام بعيدا
عما يحدث من صراعات ومؤامرات وتحقيقات
قضائية وحوادث وجرائم في المدينه ، لا يقرأ
خلالها التقارير السريه ولا العلنية ولا جرائد الجمعيات
المتطرفة التي تصدر في الخفاء ، ولا صحف الاحزاب
السياسية التي تصدر في العلن ، ولا يسمع اخبار
المحافل الدولية وصراعاتها ولا ما دونها من اخبار
سياسية على مستوى البلاد ، عدا احاديث اهل القرية
عن زرعهم وحرثهم واوديتهم ومراعيهم ونخلهم
وزراعاتهم ، او ذكريات الشيوخ عن ماضي القرية
وتاريخ الاجيال السالفه ، او ذكريات الاقارب عن والدته
وما كانت تجيده من وصفات شعبية تعالج بها بعض
الامراض ، وما كانوا يحفظونه من بعض الازجال
التي تقولها في المناسبات
اصطحب معه في طريق العوده الى طرابلس
اخيه صالح ، وقريبه عبد المولى ، يتراصان
مع الحارس في الكرسي الخلفي ، في حين جلس هو
بجوار سائقه رمضان ، ورغم انه لم يكن ممكنا
ان يناقش شئون المزرعة بالتفصيل في حضور
السائق والحارس ، الا ان جلوسه لمدة ساعتين
مع اخيه ، اتاح له فرصة الاقتراب قليلا من هذا
الاخ الذي يعمل معه دون ان يعرفه معرفة الاخ
لاخيه ، فهو احد اخوته من ناحية الاب ، يصغره
بما يقرب من خمسة عشر عاما ، فلم يكن متاحا
ان يعرفه قبل ان يغادر القرية لانه تركه وعمره
لا يتجاوز الخامسة ، كما انه لم يعش معه او يلتقي
به الا للحظات قصيرة بعد ان صار فتى يافعا
لقد اختار ان يواصل طريقه في التجاره ، وان يبدأ
بهذا العمل الذي يمارسه الان في المزرعة، ويجد فيه
فرصة لاظهار مواهبه واستيعاب القواعد التي يعمل بها

سوق من اكثر الاسواق صعوبة ، هو سوق الغلال ، فاهل هذا السوق اكثر دهاء وقدرة على الغش والخداع من كل الاسواق الاخري لان سلعتهم ليست مثل السلع التي تتعامل بها اسواق القماش او الحديد او الخشب او مواد البناء انها سلعة قابلة للعطب ، ولابد من تصريفها في وقت قصير والا ضاع الربح ورأس المال معا ، واذا كانت العقود الاخيرة قد شهدت انتاج البرادات الكبيرة التي تحفظ بعض هذه الغلال لبعض الوقت ، فان تراث القرون الطويلة انتج ركاما من التقاليد التي تجعل من يدخل هذا السوق محتاجا لاستخدام كل مايملك الانسان من ملكات الاستشعار لكي لا يقع في الشبكات والمطبات التي تملأ هذا المجال ، ولم يكن غريبا ان يسمع ان اخاه يسعى للاستفادة من هذه الاختراعات الجديده وشراء ثلاجة كبيرة ينصبها في المزرعة لتخزين الغلال الموسمية التي يرتفع ثمنها الى ثلاثة واربعة اضعاف عندما تباع خارج موسمها لقد نال تحصيلا علميا متوسطا يكفيه للانطلاق في عمله التجاري ، ولا يريد ان يسعى وراء مزيد من العلم الذي لن يجديه شيئا غير تعطيله عن العمل المريح المربح الذي يقوم به الان ، كما قال ردا على اخيه عثمان الغول عندما اشار الى امكانية ان يتيح له فرصة الحصول على تعليم ارقى ، مما اتاح لاخيه ان يعرف المزيد عن عقليته العملية النفعية التي تقيس كل شي بحسابات الرح الذي يدخل الجيب ، دون اعتبار لاية ارباح اخرى يمكن ان تدخل الرأس . كان عثمان الحبشي واثقا من انه سيجد في ا خيه صلاح عونا كبيرا له في انشطته الخاصة ذات الطابع التجاري والزراعي

عاد الى طواحين العمل وأكداس الورق التي وضعتها سونيا على مكتبه . لقد قامت بتصفية وغربلة ما تستطيع غربلته من هذه الأوراق ، وأحالت الى مدير عام الأمن ما يحتاج الى قرار عاجل ، وتركت له كل ما يحتمل الانتظار ، لاتخاذ قرار فيه ، او ما يحتاج لمجرد الاطلاع لكي يبقى في الصورة بالنسبة لما يجري من أحداث ، مثل التقارير التي تنقل ما يدور في أقسام الشرطة والسجون ونتائج جلسات التحقيق مع المتهمين وغيرها من تقارير الإدارات والمحاكم والقضايا الجنائية ، التي احتاج ان يأخذ بعضها للبيت لإكمال قراءته ، واحال ملفا كبيرا خاصا بشكاوى المواطنين فيما يحدث من تجاوزات يقوم بها أفراد الشرطة الى اقرب الخبراء الأمنيين المشارقة الى نفسه وأكثرهم استحواذا على ثقته ، يوسف العسلي لكي يتولى التحقيق في هذه المخالفات الكثيرة . لقد حاول منذ بداية عهده مع هذه الاداره ، فرض سيطرة اكثر على تصرفات إفراد الشرطة لضبط الانحرافات والتجاوزات والقضاء عليها ، إلا أن هذه السيطرة ضعفت قليلا بعد أحداث الشغب ، واعطاء صلاحيات اكثر لمراكز الشرطة ، وإضافة أعداد جديده لمواجهة الأنشطة المتزايدة للعناصر المعادية ، كما وجد انه لم يعد بإمكانه مد تأجيل التحقيقات مع المشاركين في أعمال الفتنة الماضية ، اكثر مما فعل ، فقد أن لمثل هذه المسائل المعلقة منذ امد طويل ان تصل الى خواتيمها ، رغم خوفه مما يمكن ان تثيره المحاكمة من ردود فعل غاضبة لدى المواطنين ، لا بد من اخذ كل التدابير للسيطرة عليها ، ودراسة توقيت إقامة المحاكمة دراسة دقيقة مع الوالي ، مثل إقامتها في ظل حدث كبير ينشغل به الناس ، ويصرف أذهانهم عن المحاكمة حتى تنتهي في سلام ، كحدث

العودة المرتقبة لهيئة تحرير ليبيا من مقرها في القاهرة ، برئاسة زعيمها بشـــير السعداوي او وصول إحدى اللجان الدولية الموكل لها إجراء استطلاع الأوضاع في ليبيا فيما يسمى رحلة بحث عن الحقائق ، او القيام باستفتاء بين المواطنين حول الاستقلال ، او غيرها من احداث تستقطب انتباه الرأي العام ، وتعيقه عن متابعة أشغال المحكمة . نقل هذه الأفكار الى الوالي فوافقه على رأيه ، وامر بانتظار الوقت المناسب لإجراء المحكمة ، التي سيتم تشكيلها بما يرضي قاطني طرابلس من عرب واجانب ، إذ سيكون رئيس المحكمة عربيا مسلما ، مع اثنين من المستشارين أحدهما من أبناء الجالية اليهودية والثاني من أبناء الجالية الإيطالية

لم ينس بعد يومين من مباشرة العمل ، ان يذهب لزيارة عايده عبد السلام في المدرسة التي تم افتتاحها أثناء غيابه . لم تكن قد بدأت في استقبال الدارسين ، إلا إنها كانت تضج بالحركة والنشاط ، وعدا بعض الرجال المتقدمين في السن الذين يعملون كحراس ومشرفين ، فان المتحركين داخل فناء المدرسة وأروقتها وقاعاتها، الطالعين والهابطين مع سلالمها الواسعة ، العريضة المضيئة ، التي يسقط عليها ضوء الشمس من بنوار زجاجي على امتداد الجدار ، كلهن من النساء التي جئن الى المدرسة يرتدين أزياء حديثه وتقليديه الى حد ان ظل عثمان الحبشي يسأل نفسه ، عن متى وكيف استطاعت امرأة بمفردها ان تجمع هذا الحشد من آنسات وسيدات المجتمع ، اللاتي كن لعهود طويلة ، قابعات في بيوتهن ، لا يعرفن منظر الشمس ، او يتنسمن الهواء خارج حيطان

تلك المنازل ، وتجعل منهن رواد ثورة في مجال التعليم
صعد سلما رخاميا الى مكتب المديرة ، حيث كانت عايده عبد السلام تلتقي بعدد من النساء ، وقد تركت الباب مفتوحا ، وجلست مع ضيفاتها في صالون المكتب . نقر على الباب المفتوح نقرا خفيفا ليشعرها بوجوده ، فنهضت فور ان عرفت من يكون ، وهرعت لاستقباله بحفاوة شديدة استأذنت من مجموعة النساء اللاتي غادرن المكتب ، وقادته الى الصالون ، ودون ان تقفل باب المكتب جلست أمامه تبلغه كلمات العزاء في وفاة والدته ، قبل ان تنهمك في حديث طويل عن الاستعدادات التي قامت بها للعام الدراسي الجديد ، الذي يحل بعد عدة أيام ، حيث لن تكتفي بفصول محو الأمية ، كما كانت فكرتها عندما بدأت المشروع ، لان هذا المبنى الكبير الذي تم تجهيزه وفقا لارقى المواصفات التعليمية التربوية ، شجعها على ان تتوسع في طموحاتها قليلا ، وان تفتتح مدرسة لتلميذات المرحلة الابتدائية في الصباح ، و تترك الفترة المسائية لتعليم الكبار ، وأخبرته بما جرى في حفل الافتتاح الذي كان مناسبة للوحدة الوطنية ، التقت فيه كل القوى السياسية والاجتماعية بمختلف اتجاهاتها ومستوياتها ، وأدركت منذ ذلك اليوم مدى العبء الذي تتحمله هذه المدرسة في تأكيد مناخ الوحدة والتكاثف بين أبناء المجتمع ، واستشعرت مدى الحماس للمدرسة والإقبال الذي ستحظى به من كل الناس ، لدرجة قد يزيد عن قدرة المدرسة على استيعاب كل من يريدون الانضمام اليها من الصغار والكبار ، واتضح هذا عندما بدا القيد ووجدت ان التسجيل في المدرسة

الابتدائية لم يقتصر على الفصل الأول ، وانما
هناك بنات يردن التسجيل في مختلف فصول
هذه المرحلة لأنهن بدان التعليم في ارض المهجر
او في مدرسة دينية ولم يجدن فرصة لإكماله
إلا الآن ، وابدى الوالى عند حضوره حفل الافتتاح
استعداده لتغطية أي نقص أو عجز تعاني منه
المدرسة ، وامر بدعم المدرسة بمعلمتين من
مدرسة الجالية البريطانية ، لتدريس اللغة الانجليزيه
مع توفير الكتب التعليمية الخاصة بهذه المادة
ونتيجة لعدم وجود ما يكفي من المدرسات الليبيات
فقد استعانت بزوجات الخبراء المشرقيين العاملين
بالادارة ، فاغلبهن سيدات متعلمات ، لا يجدن فرصة
لعمل يليق بالمرأة ، وكذلك الحال مع سيدات ليبيات
كثيرات عائدات من المهجر ، صارت تسعى
وراءهن وتنشر الإعلانات في الصحف تدعوهن
فيها للمشاركة ، وهي راضية بما تحقق من
استجابة ، سعيدة لان كل شيء يسير بأفضل
مما كانت تتوقع ، دون ان تنسى توجيه الشكر
له لأنه أول من أعانها على قيام المشروع
وجد عثمان الحبشي امرأة يشغلها العمل ، الى حد
نسيان كل شيء آخر ، بما في ذلك العلاقة الخاصة
بينهما ، التي لم تحظ منها بأية كلمة او إشارة
الى ان بحث هو عن فرصة لتذكيرها بذلك ، عندما
أخبرته بأنها تريد أن تستعين به في مجلس الأمناء
الذي سيتولى رعاية المشروع ووضع الخطط
المستقبلية له ، فقال بانه سيشرف بأي عمل تسنده
إليه ، ويتيح له فرصة ان يكون قريبا منها
ومع ذلك فهو ينتظر ان يكون له مكان
خاص ، خارج هذا الزحام ، فأجابته إجابة
غامضة ، فهم منها أنها تضع اللوم عليه ، لأنه

لم يقم بالخطوة التي تحيل هذه العلاقة الى علاقـــــة شرعيه . قالت له:

- أنت الذي عليه ان يحدد هذا المكان يا سيد عثمان.
- ماذا تعنين؟
- اعني ان لك عالمك الذي تآلفت معه ، ولا تستطيع تغييره فيما يبدو ، وأنا لا ألومك أو انتقد اختياراتك فأنت أدرى بنوع الحياة الذي يلائمك ويسعدك .
- قلت لك أنني أسعى للاستقرار ، وأريد منك العون والمساعدة .
- المرأة ليست كالرجل ، فهو يستطيع ان ينتظر وهي لا تستطيع ، وإيقاع الزمن بالنسبة لكليهما إيقاع مختلف ، هي تراه يمضي سريعا بينما لا يعطيه الرجل كبير اهتمام .
- لا أرى هذا الفرق ؟
- دع عنك حديث العنوسة الذي تخشاه الأمهات اكثر مما تخافه بناتهن ، ودعنا نقول ان مرحلة الخصوبة عند المرأة قد تنتهي في مطلع الأربعينات من عمرها بينما تستمر مع الرجل الى آخر العمر . اليس هذا فرقا كبيرا ؟

وجوه كثيرة ، رجالية ونسائية ، كانت تطل من الباب المفتوح ، يقف أصحابها قليلا عند الباب ، ثم ينسحبون عندما يرون صاحبة المكتب مشغولة مع ضيفها . قال طامعا في لقاء خاص خارج أجواء العمل والمكاتب :

- لاشك أننا نحتاج الى الجلوس في مكان اكثر هدوءا، فمتى تأذنين بذلك؟
- أرجو ان تعذرني إذا قلت لك سأتوقف عن أي خروج للاماكن العامة ، طالما صرت مسئولة عن بنات الناس في هذه المدرسة ، لان أية كلمة تصدر من جهة مغرضة ، يمكن ان تدمر

هذه الثقة التي أحظى بها اليوم .

- إذن كيف سنناقش أمور المستقبل ؟
- اعتقد أننا ناقشناها بما يكفي .

ظهرت على وجهه علامات خيبة الامل ، وهو يراها تقفل الباب في وجهه ، فقالت تواسيه :

- إنني مدينة لك بهذه الوقفة الشجاعة النبيلة مع المشروع ، وفخورة بالصداقة الشريفة التي تجمع بيننا ، وسيتواصل بيننا اللقاء طالما انت عضو في مجلس الأمناء ، وما تبقى بعد ذلك فهو أمر يخضع للقسمة والنصيب.

قالت كلمتها ، والتفتت لأول طارق يقف على الباب تأذن له بالدخول ، فإذا به مسئول المخازن الذي جاء بسجل كبير يطلعها من خلاله على حركة المخزن هذا اليوم ، وما ورد اليه من أثاث وكتب وأدوات تعليمية ، وما صدر عنه ، وهي تناقشه بأسلوب ربة البيت التي تناقش أحد الناس في أمور تتصل بميزانية بيتها ، وكان الرجل قد ادخل معه رسالة موجهة الى المصرف يتنازل فيها عثمان الحبشي عن حق التوقيع مع مديرة المدرسة الى المراقب المالى كما تنص اللائحة . وضع امضاءه على الورقة التي قدمتها له ، وتركها تنهمك في رويتنها الجديد وانصرف يسحب معه إحساسه بخيبة الأمل لما وصلت اليه العلاقة التي تجمع بينهما

أحس بفراغ كبير وهو يستأنف حياته العملية بعد فترة الانقطاع ، فالمصيف البلدي الذي تعود ان يجد فيه التسلية واللعب، بدأ يقفل أبوابه وانتهى أمد الكابينة التي استأجرها الدكتور

وهبي لفصل الصيف ، ووجد ان ليس من
اللائق ان يستأنف حفلاته البيتية قبل مرور
أربعين يوما على وفاة أمه ، ولم تستطع أجواء
العمل الصباحي ، او زياراته المسائية لدكان
انور،ان تعطيه بديلا لجو المرح واللعب والعوم
ومصاحبة النساء الذي وجده في المصيف
ورغم ارتياحه للنجاح الذي يحققه مشروعه التجاري
مع صديقه ، فانه لم يكن يطيق صبرا على
حديث الأرقام والصفقات التي يرد ان يعرضها
عليه انور ، قائلا له بأنه يثق في كل ما يفعل
ولا يريد ان يتدخل في شيء من العمل الذي عهد
به إليه ، إلا إذا احتاج منه الى بطاقة توصية
او مكالمة هاتفيه لتسهيل مهمة ما ، بعد ذلك
فان على انور ان يعتني بالتفاصيل ، التي لا يريد
ان يكون طرفا فيها ، كما لا يريد ان يكشف علاقته
بهذه الشركة ، فهي أمور يجب ان تبقى قيد
الكتمان على طول المدى
كانت علاقته بالسنيوريتا ايزابيلا ، قد توثقت
خلال الفترة التي قضاها بالمصيف ، الى حد انه لم يعد
يجده تطفلا ان يتصل بها في بيت أسرتها ، ويدعوها
لزيارته في بيته متى شاء ، فهاتفها من متجر انور
وقال لها بأنه يشعر بشي ء من الضيق ولم يجد
إنسانا آخر في هذا العالم الواسع يطلب منه إنقاذا
سريعا قبل ان يقذف بنفسه من فوق إحدى
البنايات ، سواها . فاستجابت ايزابيلا لندائه
ووافقت على الالتقاء به في بيته بعد لحظات
لتثبت له ، ان هذا العالم مازال يستحق الحياة
لان فيه بشرا عطوفين وجميلين مثلها . جاءت
ترتدي ثوبا لامعا وردي اللوم ووضعت في يديها
وذراعيها قفازين أبيضين حريريين يعطيان

طابعا جماليا لفستانها ، وضمت شعرها الذهبي
في تسريحة فوق رأسها ليكون تاجا يجللها
ويعطي فرصة لجمال جيدها يظهر فاتنا دون
عائق او حاجز ، عدا الخصلات التي تناثرت من الشعر
هنا وهناك كشرارات من نار تعطي مظهرها
طابعا فوضويا مشاغبا والقرط الذهبي في الاذنين
بفصي الألماس يلمعان على جانبي
وجهها كنجمتين صغيرتين
بدت جميلة وهي تطوف صالة البيت وحجراته
بثوبها الوردي الاحتفالي ، كأنها فراشة تبحث
عن غصن تقف فوقه ، قائلة بأنها اختارت
هذا المظهر المعادي للكآبة ، لكي تضفي به
بهجة ومرحا على أجواء البيت ، وتطرد الشعور
الحزين في قلبه كم ظهر من لغة الفزع والفجيعة التي
خاطبها بها في الهاتف ، فقال لها بأنها لم تكن تحتاج
لارتداء أي شي ، لتفعل ذلك ، فوجودها نفسه
هو مبعث الفرح والمرح ، ومضى يتبادل معها الأنخاب
والرقصات ويستمتع معها بسماع صوت الموسيقى
وينتقل بها الى غرفة الطعام حيث المائدة التي أعدتها
" الجازيه " ، بعد ان تفرغت لخدمته ، ونقلت
حوائجها من بيت الدكتور وهبي لتقيم معه في
بيته ، ولا يدري لماذا ، بدت له ايزابيلا هذه المرة
اكثر قربا الى نفسه ، واكثر جمالا ورقة وعذوبة
وهو يقارن صورتها بصورة عايده ، ربما جاءه
هذا الإحساس لان ايزابيلا حاضرة معه هذه
اللحظة ، وتلك غائبة ، وربما لان التوقيت
لعب دورا في انبثاق هذا الإحساس في نفسه
مرتاحا للتعامل مع امرأة ندرت نفسها للعب
والضحك والعلاقة الحرة ، لا تضع عليه
عبئا ، ولا تطلب منه التزاما ، ولا ترغمه

على التفكير في المستقبل ، لينسى ان يستمتع باللحظة التي بين يديه . امرأة عمليه، قدمت له عروضا مالية ، بشيء من الذوق و الأناقة دون ان تظهر تهافتا أو طمعا ، أو تمن عليه وتزهو بما فعلت. بيسر وسهوله وحرية تمضي علاقته بها ، كأنه يركب بصحبتها قاربا ، يتهادى فوق بحر هادئ جميل . نزهة بحريه ، يعود بعدها الى أرضه وشاطئه ، راضيا هانئا ، دون ان تكون قد ترتبت على نزهته هذه تبعات ، أو يجد ان وراءها استحقاقات يجب ان يسددها مستقبلا . لقد جاءت إليه فتبدد الضيق الذي كان يحس به فور اللحظة التي رآها فيها ، لأنه كان مدركا انه لن يجد في صحبتها إلا ما يمتعه ويبسطه ويرضيه. لقد وضعت عايده حدا لأي لقاء بينهما مستقبلا خارج إطار العمل ، ولعلها وضعت حدا لأي نمو أو تطور في علاقتهما الخاصة ، ومع ذلك فهو لا يجد في نفسه الآن ، أدنى إحساس بالأسى والأسف لأنه سيفقد هذه الصلة بعايده ، التي امتلأ قلبه إعجابا بها منذ ان رآها لأول مرة ، فقد نظر إليها بعين تختلف عن العين التي نظر بها لبقية النساء وكان لظهورها في ظل الغياب الكامل لأي طيف لامرأة ليبية ، ظهورا مذهلا ، خاصة وهي تتوافر على مؤهلات جمالية وعلمية ونظرة متفتحة للحياة تجعلها موضع إعجاب وتقدير من أي رجل ليبي على درجة من التعليم وزادت الأيام التي قضتها في العمل بجواره ، من ازدياد إعجابه بها ومحبته لها ، إلا انهما إعجاب ومحبة مرتبطان ومشروطان بهذا الركن الاجتماعي الذي يطالبه المجتمع باستكماله بشكل شديد

الإلحاح ، ركن الزواج . وهاهي ايزابيلا أمامه
بثوبها الوردي المتوهج ، الذي ينحسر عن جزء من
جسمها اكثر توردا وتوهجا ، وسينتقل بها قريبا
الى غرفة النوم ليجعل هذا الثوب ينحسر عن الجسم
كله ، يضمه بين أحضانه ، ويقضي بصحبته
بقية الليل يختبر مواهبه الجنسية ، وسيظل
مسهدا بعد ان يغزو النوم هذا الجسد ، الا انه
لن يجد في السهاد مصدرا للتعب والألم
لأنه سيكون سعيدا وهو يرقب فتنة هذا الجسد
ويسمع عزفه حتى الصباح
كانت مفاجأة ان يفتح صحيفة اللواء ، ويقرأ في برواز
صغير ، بالصفحة الأخيرة تهنئة يقدمها المحررون
لرئيس الحزب ، بمناسبة خطبته على ربة الصون
والعفاف ، المربية الفاضلة ،الآنسة عايده عبد السلام
مديرة لجنة المرأة بالحزب
لقد سمع منها ، أثناء زيارته لها في المدرسة ، ما يوحي
بأنها لم تعد ترى جدوى من استمرار علاقتها به
او ترى لنفسها مستقبلا مشتركا معه ، لكنه لم يكن
يظن ان ذلك يعني قطعا نهائيا للعلاقة ، وارتباطا
برجل آخر ، هو محمد الجن دون غيره من كل
رجال الدنيا . خاصة وأنها أخبرته ذات يوم بعرض
الزواج الذي رفضته عندما جاءها من محمد الجن
وما بذلته من جهد لمقاومة ضغوط العائلة ، فما
الذي حدث حتى يتحول الرفض الى قبول
ومجابهة الضغط العائلي الى خنوع واستسلام له ؟
هل اكتشفت شخصية جديده ، لدى محمد الجن
غير شخصيته التي أبدت نفورا منها في البداية ، ام
ان هذا النفور زال بفعل الألفة والعادة ، حتى
تحول الى حب وارتباط شرعي . لم يتردد في
ان يرفع سماعة الهاتف ، ليكلمها في مكتبها

ويهنئها بالمناسبة السعيدة ، فلم ترتبك او تقول شيئا يوحي بالحرج ، وإنما قالت له بوضوح إنها تريده ان يتأكد من رغبتها في ان تستمر الصداقة وعلاقة العمل التي تجمع بينهما في إطار المدرسة ، الا انها على صعيد الحياة الشخصية تأكدت بان لكل منهما طريقا يختلف عن الآخر وهي تشكره على تهنئته وترجو ان تزجي له تهنئة مماثلة في وقت قريب

لم ير ضرورة لتمديد عمر هذه اللحظة الحرجة . ودعها واقفل الهاتف ، وانتقل الى مكتب الدكتور وهبي :

- سيمضي وقت طويل قبل ان يجد الإنسان امرأة مثل عايده.
- كانت أمامك ، فلا تلوم أحدا غيرك ، على فقدك لها .
- لقد فاز بها ذلك الوغد .
- عموما لا يبدو انك تأثرت كثيرا بما حدث .
- اعترف ان خبر خطبتها كان مفاجأة.
- لا اعتقد انك أحببتها بالقدر الذي يدفعك للارتباط بها ، حتى لو بقيت بلا خطبة فلا أرى انك ستتقدم لخطبتها.
- ربما ، ولكن ليس في الوقت الحاضر.
- لا في الوقت الحاضر ولا اللاحق ، فلنرجو لها الهناء والسعادة في حياتها المقبلة.
- مع رجل مثل محمد الجن ؟ لا أظن .
- لعلها تكون عامل تفاهم ومصالحة بينك وبينه .

إلا أنها لم تكن كذلك ، فالهمز واللمز من قناة عثمان الحبشي تواصل في صحف الجن العلنية والسرية ، لان الجن ، كما بدا واضحا ، يتخذ من قضية عثمان الحبشي والعداء له ، مسالة مبدأ ، لا تقبل المهادنة او المساومة ، واتخذ من قضية التعذيب في السجون وسيلة للتهجم على عثمان الحبشي باعتباره المسئول عما يحدث

للسجناء السياسيين بالذات ، بسبب قرب
انعقاد المحكمة وحرص المسئول الأمني في
المدينة ، على تقديم متهمين مدانين ، بفضل ما
انتزعه منهم من اعترافات
ولان الحدث السياسي الكبير الذي تحتاجه الإدارة
العسكرية ، لتمرير المحكمة في ظله ، لا يأتي
بعد ان تأجلت عودة هيئة التحرير وزعيمها السعداوي
الى اجل غير معروف ، بسبب الخلافات الناشبة
بين بعض زعماء طرابلس ، وعدد من اتباع
الأمير السنوسي من رؤساء العشائر في برقه
بالإضافة الى ما يتردد في الأجواء الدولية
عن اتفاق بريطاني إيطالي يعترف بالحقوق
التي تدعيها إيطاليا في طرابلس ، جعل المزاج
السياسي في البلاد يهدد بالانفجار ومشاعر
العداء للإنجليز جاهزة لمن يحركها باتجاه
الثورة والتمرد ، رغم ان هذا الاتفاق ليس ا
تفاقا نهائيا ، لان تقرير مصير ليبيا خرج
من سيطرة الدول الأوروبية المتحاربة في
الحرب الأخيرة ، وصار قضية دولية من
اختصاص الهيئة الأممية ، التي تكثر فيها أصوات
الدول الحرة ، التي تطالب باستقلال الشعوب
من ربقة الاستعمار ، بل ان عثمان الحبشي ، سمع
من الوالي كلاما مناقضا لما يتردد عن
الاتفاق بين الوزيرين البريطاني والايطالي
بيفن وسفورزا ، قائلا بصراحة ان مهمته هي
إبطال وعرقلة أية جهود تقوم بها إيطاليا
لخلق رأي عام لصالحها ، فطمأنه عثمان الحبشي
بأنه لا سبيل ولا أمل لإيطاليا في الحصول
على تعاطف المواطنين الليبيين الذين لا ينسون
معسكرات الاعتقال وأعواد المشانق ومجازر

الإبادة التي ارتكبتها في حقهم ، وإذا كان هناك بين الليبيين من قال للإيطاليين عكس ذلك فهو نصاب يريد ان يسطو على نقودهم.

- ليس هناك أي سبب يجعل البريطانيين يخشون مساعدة الشعب الليبي لإيطاليا، بينما يملك الليبيون أسبابا كثيرة للخوف من مساندة بريطانيا للطليان.

قال عثمان الحبشي ذلك ، مشيرا الى التقارير الصحفية الموجودة على مكتب الوالي ، فرد عليه قائلا :

- لا تصدق هذه التقارير ، فهي تتحدث عن السطح الذي لا يعكس عمق ما حدث تحته.
- ولكن الناس يحكمون بما يقرأون ويسمعون، ولا استبعد ان يتفجر الغضب الشعبي ، ونرى مظاهرات جارفة تغمر البلاد ضد مثل هذا الاتفاق.
- سنقيم حفلا بمناسبة مرور أربعة أعوام على خروج الإيطاليين ، ودخول قوات الحلفاء ، بسينما الهامبرا ، وندعو اليه كل صغير وكبير من أعضاء الأحزاب والأندية السياسية وسنقول أثناء الحفل كلاما قاطعا ضد عودة إيطاليا لطرابلس ، وعن التزام بريطانيا بضمان استقلال ليبيا.

واصدر الوالي تعليماته لكل أجهزة الولاية وإدارتها للتحضير لهذا الحفل ، الذ ي تحدد موعده بعد أسبوع واجري تحويرا على عنوانه فاقتصر على إنهاء الاحتلال الإيطالي للبلاد ، دون ذكر لدخول الحلفاء لضمان اكبر قدر من التجاوب من طرف الليبيين واستجابة لبعض السياسيين الذين ابدوا تحفظاتهم من المشاركة في احتفال بذكرى دخول قوات الحلفاء ورآى الوالي ان تكون بلدية طرابلس هي الجهة التي تتولى الإعلان عن الحفل ، لرفع الشبهة

عن المجلس البلدي ورئيسه الليبي بأنهم يمالئون الحكومة الإيطالية ويتعاطفون مع دعوتها للعودة الى طرابلس ، فيظهرون أمام الناس بما يناقض هذه الشائعة ، على ان تساعد بقية الأجهزة ، كل في نطاق اختصاصها ، بما يضمن ظهور الحفل بأفضل صورة ممكنة ، ووفقا لذلك تم حجز السينما واعدادها لهذا الحفل التاريخي ، وملأت المدينة اليافطات واللوحات والمناشير المعلقة على الجدران تدعو الناس لحضور الحفل ، ووقفت يوم الافتتاح الفرقة الموسيقية لمدرسة الفنون والصنائع الإسلامية أمام السينما تعزف المقطوعات الموسيقية ابتهاجا بهذا المهرجان الخطابي الذي توافد جمهور كبير لحضوره ، واستهله أعضاء المجلس البلدي بكلمات تشيد بهذه المناسبة ، بينهم شخص إيطالي تقدمي ، يناصب العداء للتوجهات الاستعمارية لحكومة بلاده، ويصدر في طرابلس صحيفة تهاجمها اسمها " التقدم" ، اما الكلمة الرئيسية فهي تلك التي ألقاها الوالي واشاد فيها بالبطل الشهيد عمر المختار ، ورفاقه الذي دفعوا ضريبة الدم من اجل استقلال ليبيا ، واثبتوا فيها انهم أبناء شعب أصيل جدير بالحرية ، وقال ان دور بريطانيا في ليبيا ليس دورا استعماريا ، وان وجودها في هذه البلاد وجودا مؤقتا هدفه تأمين استقلال البلاد ، وان الاستعمار الإيطالي خرج من ليبيا ولن يعود اليها ، وهاجت الصالة وعلت موجات التصفيق ترحيبا بهذه الكلمات ، وتعالت الهتافات بحياة ليبيا وحريتها ، واستطاع بخطبته هذه إطفاء مشاعر الغضب التي ألهبتها أخبار الاتفاق البريطاني الإيطالي ، وإسكات

الدعاوى التي كانت تطالب بالتظاهر ضد الاتفاق . نجح الحفل ، واستدعى الوالي عثمان الحبشي يشكره على فكرته ، ويعرض عليه فكرة جديده يريده ان يتولى تنفيذها معه ، وهي فكرة تأسيس حزب سياسي ليبي ، تدعمه الإدارة العسكرية ، وتدفع به الى مركزالصداره واستلام الحكم بعد انسحابها مقابل ان يقوم بتنفيذ تعليماتها ومخططاتها ، والعمل بالتنسيق والاتفاق مع الحكومة البريطانية مستقبلا

وكانت قناعة عثمان الحبشي بأنه من السهل تأسيس حزب يدين بالولاء للإدارة العسكرية فهذا ما فعلته قوى لا شعبية لها مثل فلول العهد الاستعماري الإيطالي المباد ، اما تأسيس حزب سياسي يستمد قوته من قواعده الشعبية ويستطيع ان يقود البلاد في مرحلة ما بعد الاستقلال ، فهو أمر صعب يحتاج الى زعامات سياسية لها تاريخ نضالي يحترمه الناس ، ولابد ادن من حل هذا المعضلة قبل التفكير في القيام بمثل هذا المغامرة السياسية الكبيرة ، فوافقه الوالي على ان الاداره العسكرية لها أصدقاء مهمون بين الشخصيات السياسة الموجودة على الساحة المحلية ، ولكن ليس الى حد التطابق في الأفكار والآراء او العمل بموجب الأوامر والتعليمات ، والحل الذي يراه يبدأ بمرحلة أولى هي وضع خطة منذ الان لتفريخ الزعماء الذي يبدأون صغارا ثم يكبرون ، تماما كما هو الحال مع الحزب الذي يقترح إنشاءه ويبدأ صغيرا ثم يكبر لان الإدارة لديها مهمات يستطيع ان يؤديها

الحزب مهما كان صغيرا مثل الحفل الذي أقامته الولاية بمناسبة ذكرى انتهاء الاستعمار الإيطالي ، فلاشك ان تأثيره في الرأي العام سيكون اكبر وابلغ لو ان الإدارة أقامته من خلال حزب شعبي وطني ليبي ، تمسك بخيوطه وترسم له سياساته
ودون ان يعطي وقتا طويلا لنقاش مبدأ إنشاء الحزب، انتقل الوالي لمناقشة الشخصيات الليبية المرشحة لتأسيس هذا الحزب ، باعتبار ان فكرة إنشاء الحزب كانت محسومة في ذهنه ، الى الحد الذي ظن معه عثمان الحبشي أنها تعليمات من لندن ، جاءته للتنفيذ لا للنقاش . قال وكأنه يرد على ما قاله عثمان الحبشي عن ضرورة وجود الزعامات ذات الوهج والتاريخ لتأسيس مثل هذه الأحزاب وإعطائها درجة من المصداقية :

- في هذه المرحلة لا نريد زعيما ، أو شخصية معروفه ، نريد موظفا يقوم بالإجراءات ويلتزم بالتعليمات ، وسنبحث له على أنصار ومؤيدين فيما بعد ، ولا أجد في ذهني ، في هذه اللحظة اسما افضل من الدكتور وهبي ، للقيام بهذا الدور .
- الدكتور وهبي لا يرى لنفسه دورا خارج دور الموظف.
- وهذا بالضبط ما نريده.

ودون ان يتابع المناقشة مع عثمان الحبشي ، دق الجرس للكاتبة وسألها ان تهاتف الدكتور وهبي وتدعوه للحضور على وجه السرعة
وعندما جاء، وعرف سبب استدعائه ، بدا شديد

الاندهاش لفكرة اختياره لهذه المهمة التي لم تكن تخطر له على بال ، قائلا بأنه نأى بنفسه عن عالم السياسة والأحزاب والصراعات ، وقد كانت أمامه ، لا نقصا في ثقته بنفسه وقدرته على الوقوف في وجه المنافسة والتحدي ، ولكن كراهية لمثل هذا العمل ونفورا منه ، واختار حياة الوظيفة الفنية التي تنتهي انشغالاته بها بانتهاء ساعات الدوام ، لانه يحب ان يحتفظ بحياته الشخصية لنفسه ، وان يحيا حياته وفق ما يريده هو لا وفق ما يريده العمل السياسي او القيادي الذي لا يعرف ساعات بدء وختام ، فدوامه ساعات النهار كلها ، ومجاله حياة الإنسان ليلا ونهارا ، وهو نوع من الحياة لا يريده ، ولم يهيئ نفسه له ، ولا يتفق مع تكوينه الشخصي . تكلم بغضب وانفعال مستخدما صوتا عاليا الى الحد الذي اقتضى عثمان الحبشي ، وهو يجلس بمحاذاته، ان يلكزه بمرفقه اكثر من مرة لتذكيره بان يراعي آداب الحديث وهو يخاطب حاكم البلاد ، الا ان الرجل لا يرعوي ولا يهادن فيما رآه عدوانا على الأسلوب الذي اختار ان يعيش به حياته . قاوم بلا هوادة ، ودون فائدة ، فقد أصر الوالي على ان يتأسس الحزب علي يديه وان يتولى هو قيادته في المرحلة المبدئية والي حين توفر الأسس التي تحتم إجراء انتخابات عامه لاختيار قيادات الحزب حيث يمكن النظر في إعفائه إذا أراد شرط ان يجتهد منذ الان في تجنيد واعداد هذه القيادات البديلة له. وافهمه الوالي ان المهمة الجديدة لن تتعارض مع عمله في الترجمة ، وساعات دوامه ستبقى ثابتة ، ولن يحتاج لغير ساعة واحدة

كل مساء يكرسها للعمل الجديد ، ويحتسبها
عملا إضافيا مدفوع الثمن إذا أراد
خرج عثمان الحبشي من مكتب الوالي وهو يسحب
معه صديقه ، ليبدأ بمساعدته وتحت إشرافه
تأسيس الحزب ، قائلا له بان يهدئ من روعه
و يريح أعصابه ، ويترك له الأمور التنفيذية كاملة
له ، فلا يشغل باله بها ، وعندما وصلا الى
مكتب الدكتور وهبي ، كان الرجل لا يزال في حالة
انزعاج وقلق ، كأن كلمات التهدئة التي يقوله
لها الحبشي لا تزيده الا سوءا ،غير ان الحبشي
لم يستسلم لليأس من حالة انهيار صاحبه ، وانما
مضى في إقناعه بان المهمة أشبه بتمثيل دور في
مسرحيه ، لمدة محدودة ، يعود بعدها الى روتين
حياته العادي إذا أراد ، الا ان الحبشي يعرف
انه لن يكون مستعدا للعودة الى روتينه القديم بعد
حياة الإثارة التي سيعيشها خلال قيادته الحزب
وما سيتعرض له من اغراء وهو على رأس المسئولية
ثم ان المسألة الان تجاوزت مرحلة الرفض والقبول
وصار أمام مسئولية محددة لابد ان يقوم بها أراد او لم يرد .

- اقترح ان نقيم احتفالا كبيرا لان كوكبا جديدا ساطعا قد اشرق اليوم في عالم السياسة .
- اللهم لا نسألك رد القضاء ولكن نسألك اللطف فيه.
- لا تنس إنني بجوارك في كل خطوة من هذا العمل .
- ولماذا لا تتولاه أنت يا أخي ، وتعفيني من هذا العناء .
- لن يصدق الناس ان ضابطا في الشرطة تحول الى العمل السياسي من تلقاء نفسه.
- ولماذا يصدقون إذا كان إنشاء الحزب مفروضا من أعلى ؟
- لابد من شيء من المصداقية ، حتى مع الأشياء التي لا مصداقية لها .
- المشكلة انني لا ادري من أين ابدأ.

- أنا الذي سأبدأ ، فلا تحمل هما .
- كيف ؟
- الوالي يريد عملا سريعا ، وسنبدأ باجتماع تأسيسي نعقده الليلة في بيتي عند الساعة التاسعة ، هل يناسبك الموعد ؟
- مع من هذا الاجتماع ؟
- دعك من هذا الآن ، وسأتركك لاستيعاب هذه المفاجأة لكي أراك اثناء الليل هادئا، رائقا ، كما أنت دائما .

عاد الى مكتبه ليهاتف صديقيه انور ونعمان ويدعوهما للاجتماع في بيته بعد ان أعطاهما فكرة سريعة عن طبيعة الاجتماع ، كما رأى تكليف أحد العاملين معه ، من أصحاب الثقافة القانونية، والعارفين بإسرار الإدارة لحضور ا لاجتماع ، واختار يوسف العسل ، الذي يثق فيه اكثر من غيره ، لهذه المهمة
وعندما التأم شمل الجماعة في بيته ، لم يشأ ان يخاطب صديقيه عن الدوافع السياسية او المبدئية التي تستوجب انشاء مثل هذه الأحزاب ، ولكنه أراد ان يكون واضحا وصريحا معهما ، قائلا بأنه عما قريب ستترك الإدارة الإنجليزية البلاد ، لتقرير مصيرها ، وسينشأ فراغ في الهيئة الحاكمة ، ستملأ ه القوى السياسية المنتظمة في أحزاب سياسية ، ومن ليس له حزب او تنظيم سياسي ، فلن يجد له مكانا في الدائرة العليا التي تنشئ الوزارات وتصنع القرارات وتملك الوظائف والميزانيات بعد الاستقلال ولا مجال للانظمام الى طبقة الحكام الجدد ومشاركتهم غنائم الحكم ، الا بتأسيس حزب يبدأ عمله منذ الآن ويكون جاهزا لدخول

اللعبة السياسية مع اللاعبين ، ويأخذ حصته
مثلهم ، عندما يحين الوقت . هناك أحزاب كثيرة
نشأت بهذا الغرض ، وبعناصر لا تزيد عن عدد
الموجودين في هذه الجلسة ، ولا يملكون
دراية سياسية اكثر منهم ، او يبتغون أهدافا
من وراء عملهم الحزبي ، غير تأمين مصالحهم
فالحزب صفقة رابحة لكل من يشارك فيه ، وسيكون
اوفر حظا في الفوز والنجاح اذا وجد دعما
وعونا من السلطة الحاكمة في البلاد
مثل الحزب الذي يقترح انشاءه
بسبب علاقة الود والصداقة والزمالة التي تربط
بين الوالي وبين مؤسسي الحزب
وابلغهم بان الاسم الذي يقترحه للحزب، ولم يجدعليه
اعتراضا من الوالي باعتباره رئيس لجنة تصاريح
الأحزاب ، هو حزب المستقبل والحرية ،لأنه
حزب معني بالمستقبل قبل الماضي والحاضر
أما أهدافه ومقاصده ، فتتلخص في إرساء
مبادئ الحرية للوطن والمواطن ، والعمل
من اجل استقلال البلاد وتحقيق مبادى الحق
والعدل والمساواة بين أبناء الشعب ، وافهمهم
انه احضر زميله يوسف العسلي ، باعتباره خبيرا
قانونيا اسهم في صياغة لوائح حزبية واداريه
لوضع لائحة الحزب التي تتضمن شرحا
وتفصيلا لهذه الأهداف ، كما تحتوى على القواعد
والإجراءات التي تنظم العمل داخل الحزب
اسوة بما هو موجود في الأحزاب الأخرى
وسيبدأ الحزب عمله منذ الآن باعتباره
حزبا تحت التأسيس ، الى ان يتم جمع التوقيعات
من المنتسبين والمؤسسين التي ينص عليها
قانون الأحزاب لكي يتم إشهاره . وابلغهم

ان هذه المجموعة ستكون اللجنة التأسيسيه التي تتولى إدارة الحزب في مرحلته الأولى برئاسة الدكتور وهبي الذي أعطى لصديقيه فكرة عنه ، كما قدم له فكرة عنهما ، وعما يريده منهما وهو العمل على حشد الدعم والتأييد من الأوساط التي يتعاملون معها فسيأخذ نعمان استمارات الانتساب الى الوسط التعليمي ليجمع اكبر قدر منها ، كما سيفعل نعمان نفس الشي مع زملائه في الوسط التجاري ، وسيقوم هو وزميله وهبي باستنفار العاملين في الاداره وموظفي الإدارات والمصالح الحكومية للاكتتاب في الحزب ليبدأ بداية قويه ، تؤهله للنجاح في مستقبل الأيام ، وراى ان إحدى أهم مقومات النجاح هي المقر ، الذي يجب ان يكون في موقع ممتاز بوسط المدينة ، وان يحتوى على مساحات واسعة تصلح للاجتماعات والندوات ، والتفت الي زميله يوسف العسلى طالبا منه انتقاء آنسة أو سيدة مثقفة من بنات الجالية المشرقية لتتولى العمل الإداري في الحزب ، دون ان تكون عضوة فيه ، وانما موظفة بمرتب كبير يتكافأ مع المؤهلات المطلوبة ، لتكون عامل جذب لنساء ليبيات للانضمام للحزب اسوة ببعض الأحزاب الأخرى التي صارت تبني نجاحها على استقطاب العناصر النسائية استأثر عثمان الحبشي بالكلام ، واكتفى بقية الحاضرين بالاستماع والتصديق على ما يقول راجيا ان يشاركه الجميع في اختيار ثلاثة رجال آخرين يكتمل بهم نصاب الهيئة الإدارية المؤقتة لحزب المستقبل والحرية ، دون ان

يعطي كبير اهتمام لما كان يصدر عن الدكتور
وهبي من تعليقات تعني عدم حماسه للمشروع
ورغبته في العثور على من يتحمل عنه
مسئولية القيادة في الحزب الجديد
بعد يومين وجد عثمان الحبشي مبلغا بعشرة آلاف
مال ، محولا في حسابه الخاص بالفرع الرئيسي لبنك
باركليز حيث يوجد الحساب الذي يتلقى فيه مرتبه
من خزانة الإدارة العسكرية ، وكان المبلغ
الإضافي قادما من نفس الجهة ، ليباشر به
الإنفاق على ما يحتاجه الحزب من
مصاريف، وذهب مع الدكتور وهبي الى المقاهي
التي يرتادها سماسرة العقارات ، للطواف معهم
على الشقق المتوفرة للإيجار في وسط المدينة
حتى وجدوا شقتين متجاورتين في الطابق الاول
لاحد المباني المطلة على البحر ، بجوار الفندق
الكبير ، فأتما إجراءات تأجيرهما من صاحبهما
التاجر الإيطالي ، واسلماهما للمتعهد الذي
سيقوم بتحويلهما الى مقر للحزب بعد دمجهما
في شقة واحده ، تتوفر فيها قاعة للاجتماعات
والندوات وكافيتيريا واكثر من غرفة للألعاب
مع عدد من المكاتب التي تحتاجها الاداره
وعلى امتداد الواجهة المطلة على الشاطئ
علقت في اليوم التالي يافطة كبيرة تحمل اسم
حزب المستقبل والحرية، وفور انتهاء
الإصلاحات ، تم اختيار السيدة التي تتولى الشئون
الإدارية في الحزب ، وتعيين اكثر من حارس
يتناوبون على العمل وفتح وقفل المقر في
الساعات المحددة لذلك خلال فترتي الصباح
والمساء ، كما تم تأثيثه بالمكاتب والصالونات
الفاخرة والستائر والابسطة ، وبعد مرور شهر

من تأجير المقر ، كان الحزب حقيقة من حقائق الحياة السياسية والاجتماعية وصار له رواده من العاملين في الإدارة الذين صدرت لهم الأوامر بالانضمام الى الحزب ، وارتياده من قبل الموظفين الوافدين من بلدان أخرى ، ممن لا تجوز لهم العضوية ، لخلق جو من النشاط والحركة جعلت مقر الحزب يبدو مثل خلية من النحل ، وزاد من إقبال الناس عليه ان عثمان الحبشي حرض هؤلاء المشارقة على اخذ نسائهم وعائلتهم إليه ، وتقديم تخفيضات في المشروبات والحلويات والوجبات التي تقدمها الكافيتيريا ، ولم يجد حرجا من المداومة على ارتياد الحزب بنفسه واستقبال ضيوفه وأصدقائه في مكتب الدكتور وهبي ، بل ان الوالي صار يأتي ليلعب مع الحبشي شوطا او شوطين على طاولة التنس، ويلتقي ببعض أصحاب الحاجات ، ممن لم يستطيعوا الوصول اليه في الولاية ، فجاءوا يترصدون له في مقر الحزب ، وغالبا ما تم استدراجهم للتوقيع على الاستمارات الخاصة بالانضمام لهيئته التأسيسيه ، لاستيفاء العدد القانوني من التوقيعات ، وهي مسألة اقتضت من عثمان الحبشي إرسال عبد المولى الى والده في أولاد الشيخ لتجميع ما يمكن تجميعه من توقيعات أهل القرية للإسراع بإشهارالحزب وشاع بين السياسيين وأعضاء الأحزاب ، ان حزب المستقبل والحرية هو حزب الحكومة ، ونقلت صدى ذلك صحف ودوريات ، دون ان تبادر قيادة الحزب بنفي هذه التهمه ، بل سعت

الى تأكيدها رغبة في استقطاب جمهور
من بين أصحاب الحاجات الذين يريدون ممالأة
الحكومة لقضاء حاجاتهم ، والانتفاع من
تأييد حزب الحكومة وتأكيد اقترابه منها
والمتأزمين في معيشتهم الذين يتوسلون
بالانضمام الى حزب الحكومة ، الحصول
على وظيفة او تسهيلات في أعمالهم
الخاصة ، وتشجيعا لهذا الاتجاه اصدر الوالي
توجيها الى بعض المصالح الحكومية مثل مكتب
العمل والميناء ومصلحة الضرائب والجمارك
وغيرها ، لاعطاء حامل بطاقة حزب المستقبل
والحرية أولوية في معاملاتها وتسهيلاتها
وان تكتسب البطاقة صفة تصريح مرور لبعض
هذه الأماكن ، مما حدا بالكثيرين للازدحام
أمام باب الحزب للحصول عليها ، حتى
استطاع الحزب بعد بضعة أسابيع من تأسيسه
ان يضاهي في حجم أعضائه الأحزاب الكبيرة
العريقة ، التي سبقته الى ميدان العمل السياسي
بأعوام كثيرة ، وصار رئيسه الدكتور وهبي
شمس الدين ، يدعى لكافة الاجتماعات الشعبية
والرسمية ويشارك فيها بالمناقشة او الخطابة
باعتباره يمثل قوة سياسية لها وزنها بين بقية القوى
وكل من رآى تردده واعتذاره عن قبول هذه المهمة
في لحظات الإعداد لإنشاء الحزب لا يستطيع
ان يصدق هذه الكفاءة التي ابداها في عمله
وهذه الفصاحة التي كان يتكلم بها في
المنتديات العامة ، شارحا سياسة حزبه
ورؤيته لمستقبل البلاد، وبأسلوب جذاب
يستحوذ به على إعجاب الحاضرين ، كما
أجرت معه بعض الصحف المحلية اكثر

من مقابلة أبدى فيها آراء عميقة في السياسة والحياة ، وتحليلا للواقع السياسي الدولي في تعامله مع القضية الليبية الصحيفة الوحيدة التي أسفرت عن عدائها الشديد له ، وكشفت دوره كواجهة للحاكم الإنجليزي هي صحيفة اللواء الجديد الناطقة باسم محمد الجن ، واستخدمت عبارات قاسية في وصفه ووصف المشاركين معه في هذه اللعبة القذرة لتزييف الحياة السياسية في البلاد واطلقت على الحزب حزب " بلاكلي "

- ما رأيك الان في العمل السياسي ؟ الا تراه يضفي عليك أثواب الوجاهة والسلطان ؟
- لم تكن تستطيع ان ترتاح حتى تراني هدفا مثلك لهجوم صاحبك محمد الجن؟
- انك مثلي لا تلقي بالا لأكاذيبه وأراجيفه .
- اشهد بأنه لم يقل بشأني غير الحقيقة ، فالحزب حقا حزب بلا كلي ، وما أنا الا واجهة للحاكم الإنجليزي ، فأين الكذب في كل ذلك؟
- دعني أقول لك شيئا ، انت باق والوالي الى زوال ، كذلك حزب المستقبل ، فهو الذي سيبقى ، بينما تعد الإدارة العسكرية البريطانية نفسها للانسحاب من هذه البلاد بعد أمد قصير . انهم ينتمون الى الماضي ، وأنت تنتمي الى المستقبل ، فلا تنس .
- ما اعرفه ان الإدارة العسكرية موجودة واعدت هذا الحزب للقيام بدور لصالحها لابد ان يقوم به فلماذا نخدع أنفسنا.
- وأين هو الخداع ؟ هل رأيت حتى الان شيئا يتناقض مع قناعاتك ، هل قلت في المحافل والاجتماعات واللقاءات الصحفية غير ما

يتفق مع ما تؤمن به وتراه يخدم القضية الوطنية .

- انه حزب الحكومة ، الذي سيقوم بتقديم ما تريده الحكومة وما يتفق ما سياساتها اليوم وغدا ، مهما كان شكل الكلام الذي اقوله .
- هناك مناطق تتقاطع فيها المصالح بين الداخل والخارج والعمل الوطني المحلي ، والعمل الدولي فليكن حزبنا صاحب اختصاص في هذه المنطقة المشتركة ، ودعنا نعتمد عليك في شراكة حقيقية بيننا وبين الإنجليز في مرحلة ما بعد الاستقلال . هل هذا أمر سيئ؟
- لم اكن متحمسا للحزب في بدايته ، ولن أتحمس له الان ، ولن يكون بعيدا اليوم الذي افك فيه ارتباطي به ، ومع كل مهاراتك الكلامية في إقناعي ، فليتك تستخدم بعضا منها في إقناع محمد الجن أننا لسنا عملاء للإنجليز.
- محمد الجن حالة ميئوس منها .

يدرك عثمان الحبشي في أعماق نفسه ، ان السبب الرئيسي وراء حماسه لإنشاء هذا الحزب هو محمد الجن ، لكي يجعل من الحزب حائطا يتقي به الهجوم الذي سيشنه عليه الجن عندما تسقط الأبنية التي يحتمي بها الان ، فلن يبقى لديه غير هذا الحزب الذي سيمنحه أرضا يقف فوقها وسلاحا يرد به الهجوم وحائطا واقيا يتقي به ضرباته ، لانه علي يقين بان الجن لو وصل الى أية سلطة في البلاد ، بعد انتهاء مرحلة الحماية ، لما جعل له هدفا غيره الإجهاز عليه ، ولكنه سيكون في مأمن منه بهذا الحزب ، لانه سيكون على قدم المساواة معه وشريكا في السلطة الجديدة وبجزء من تفكيره الذي ينشغل بأعمال محمد الجن وأساليبه في المناورة والهجوم

قال لصاحبه :

- لماذا لا تكون للحزب صحيفته الخاصة .

فانتفض الدكتور وهبي كمن لسعته حشرة سامه ، قائلا :

- أرجوك ثم أرجوك لا تأتي على ذكر هذا الموضوع إطلاقا ، فلن نجد مع المقالات الكثيرة التي تحتاجها الصحيفة ، ما يتطابق دائما مع رأي الحكومة وسنظهر بمظهر هزيل ، حزين ، يكشف عن جوانب اكثر بؤسا لمشروعنا ، فأحذر ان تفتح بابا لن نحصد منه الا المتاعب والهوان ، ونخسر بسببه رضا الناس ولن نكسب رضا الحكومة .

واقتنع الحبشي مع صاحبه ان للحزب طبيعة خاصة ، لا تجعله محتاجا لمنبر إعلامي مثل بقية الأحزاب ، وهذا يؤكد ما كان يقوله مبكرا ، وهو ان للحزب مهمة مؤجلة للمستقبل فلا صالح لديه في ان ينهمك في مشاكل الحاضر التقى في هذه الأيام ، اكثر من مرة ، بالسيدة عايده عبد السلام ، في اجتماعات مجلس امناء المدرسة ووجد اكثر من فرصة للحديث معها على انفراد قبل وبعد الاجتماعات ، فلم يتطرق معها إطلاقا لأي حديث شخصي ، ولم يجرؤ ان يسألها عن كيفية حياتها مع محمد الجن بعد ان صارت زوجة له ، كل ما أشارت اليه عرضا في حديث معه ، هو انها لم تعد تستطيع القيام بثلاث مهمات في وقت واحد ، أي ربة البيت ومديرة المدرسة ، ورئيسة النشاط النسائي في الحزب ، ووجدت نفسها مرغمة على التضحية بالمهمة الثالثة ، أي نشاطها الحزبي ، وكرست كل ما لديها من وقت بعد عملها المنزلي ، لرعاية

المدرسة الى حد لم يترك لها وقتا لمتابعة الشأن العام وقراءة ما تقوله الصحف ، الأمر الذي أحس معه أنها تريد ان تبرئ ذمتها مما يدور في اجتماعات الحزب من حديث ضده وما تنشره صحف محمد الجن من هجوم عليه ، وكان يحاول أثناء لقائه بها ان يستبطن مدى ما حدث من تغيير عليها بعد ان انتقلت للحياة مع زوجها وعن وجود أي تأثير سلبي او إيجابي عليها ، الا انه لم يستطع ان يلحظ شيئا ، وكان الزواج لم يضف لحياتها أي شيء جديد ، وانه لم يكن يمثل غير انتقال روتيني من بيت أهلها الى بيت زوجها ، وضلت المدرسة هي بيتها الحقيقي بالنسبة له فان رؤيتها لم تعد تحرك فيه شيئا من تلك المشاعر التي كان يحملها لها ، كأن يدا امتدت الى داخل قلبه وأطفأت مصادر الوهج والحرارة والانفعال التي كانت تطرأ عليه عندما يراها ، لقد طرحها من حياته ، بمثل ما طرحها من وجدانه ، فصار لا يرى فيها وهو يلتقي بها في هذه الاجتماعات الا ما يراه في أي صديق غيرها ، قد يسعده ان يلتقي به بعد فترة من الغياب

أعطى وقتا اكبر للعمل الحزبي ، ووجد فيه متنفسا لطاقات لا تجد تصريفا لها عبر العمل الأمني والإداري ، ورغم انه عمل من وراء الستار ، يقوم به دون ان تكون له أية صفة حزبيه ، ولا حق له في اكتساب هذه الصفة ، الا انه ارتضى ان يضع هذا الجهد التطوعي الإضافي ، وان يكون القوة المحركة وراء نجاح الحزب ، كاستثمار للمستقبل ، وكان

حريصا وهو يؤدي عمل الحزب ، الا ينسى
الوظيفة ، ويكون هذا العمل على حساب
مسئوليته الرسمية ، التي يكرس لها ساعات
الدوام كاملة ، ويتولى مباشرتها بنفسه دون
ان يعتمد على أحد سواه ، فالملفات القديمة
مثل قضية الضابط الإنجليزي القتيل ضلت
مفتوحة ، الا أنها لم متعد تمثل ضغطا
مستمرا ، او تتطلب وقتا وجهدا وعناصر تتفرغ
لملاحقة المشتبه بهم ، خاصة بعد تصريحات
الجواسيس الهاربين من لندن الى موسكو
بان موته كان على أيدي زملائه في الجهاز
الذي يعمل فيه . انه خط لا يستطيع
ان يتابعه ، ولن يجد معلومات ينطلق منها
لو أراد ، والأرملة الجميلة التي استقطبت
مشاعره ذات يوم ، اختفت خلف ضباب
بلادها ، ولم تظهر منها غير بطاقة معايدة في
رأس العام الماضي ، رد عليها ببطاقة
مماثلة ، وتوارت ذكراها في ذهنه حتى كاد
ينساها . التحقيقات في حوادث الشغب أخذت
وقتا اكثر من غيرها ، الى ان اكتملت
الملفات ، ولم يعد هناك ما يشكل عبئا من
هذه الناحية ، سوى عبء المتهمين المحتجزين
في السجون بانتظار المحاكمة ، وقد طالت مداولات
المسئولين في الولاية حول الزمن المناسب
لإقامتها ، وقد تبت ان إرجاء المحاكمة كل هذه
المدة ، كان افضل للحالة الأمنية ، لان الناس
بدأوا ينسون النتائج المؤلمة لتلك الكارثة ، وتقادم
الزمن أزال التوتر الذي كان قائما بين الحكومة
والمواطنين بسبب ما حدث ، متى تعقد المحكمة ؟
هذا شأن الوالي ، لان الحبشي جاهز بملفاته

ومتهميه وما عاد بحاجة الي تحقيقات وتعذيب
لانتزاع الاعترافات بعد الان
تغيرت وجوه من حوله وبقيت وجوه ، ومرت
حياته بتحولات كثيرة منذ ان انخرط في سلك
العمل العسكري ، وانتقل من بلد الى بلد ، وقضى
وقتا في السجن ووقتا في الخنادق ووقتا في
مقعد السلطة ، شيء واحد ظل ملازما له من
قبل ان يغادر بر الأحباش هو هذا السهاد الذي
يأبى ان يتركه طوال هذه الأعوام وغيبوبة
النوم التي لا تريد ان تبقى لغير دقائق
وتمضي ، ولم يترك طبيبا مختصا في مثل
هذا المرض لم يذهب اليه ، عرب واجانب ، أطباء
علم حديث وأطباء شعبيين ، أصحاب حكمة
وخبرة ، وأصحاب نصب وشعوذة ، ذهب إليهم
جميعا دون فائدة ، حتى المهدئات والمنومات
والأعشاب المخدرة التي يعطونها له ، لم تكن
قادرة على خلق أي مفعول معه ، وصار
مسكن الألم الوحيد هو تدبير صحبة نسائية يعبر
بها وحشة الليل ، ويلعب الكأس في هذه
الحالة دور العامل المساعد ، الذي يضفي
متعة الى لعبة الجنس ولذته ، وقد يطيل عمر
الغفوة او يعجل بحدوثها لبضع دقائق
وها قد مرت بضعة اشهر على وفاة أمه ، ولم
يعد هناك حرج في استعادة حفلاته البيتيه، بأعضائها
القدامى والمحدثين ، مدركا انه سيجد من
سونيا ذات الحماس الذي لا يفتر لاداء
مثل هذه المهمة التي تباركها أرباب المرح
واللعب ، خير معين
المقاصد في الحفلات الماضية كانت مقاصد
عاطفية ، ترفيهية ، لا هدف من ورائها الا متعة

الرقص والشراب والطعام والتعرف على وجوه جديدة من الجنس اللطيف ، الا انه الان وقد أضحى صاحب مشاركة في السياسة الحزبية ، فلابد من إجراء تعديل طفيف في أغراض هذه الحفلات ، بحيث تتسع لهدف سياسي أيضا ، لتعزيز حزبه ، حزب المستقبل والحرية . نعم حزبه الذي لا يرى لنفسه مستقبلا الا به ، والذي يسعى لانجاحه وتأكيد حضوره وقوته على الساحة الوطنية وقد وضع هدفا للحزب هو ان يتقدم على حزب محمد الجن ، لتكون له اليد العليا ولحزب الجن اليد السفلى ، هدف حتى لو لم يصل اليه فيكفي ان يضع الحزب في أفق قريب من أفق ذلك الحزب ، فان لم يستطع إسقاطه من المنافسة فلا اقل من ان يكون شريكه في اقتسام الغنائم بعد انتهاء معركة الاستقلال

لم يكن يريد ان يشرك سونيا في هذا الجانب السياسي ، فاختصاصها العاطفي يجب ان يبقى له احترامه وتقديره ، كما لا يجب لأي شيء آخر مهما كان مهما ان يشغلها عن هذا الاختصاص علاوة على انه لا يثق ان لسونيا من الحصافة السياسية ما يؤهلها لتقديم أي إبداع او تجديد في هذا المجال ، كما تفعل عادة في المجال العاطفي ، وليس أمامه للاهتمام بالجانب السياسي ، غير رئيس الحزب نفسه ، الدكتور وهبي ، الذي تقتضي اللياقة ضرورة إشراكه في إنجاح هذا الجانب . انتقل اليه في مكتبه وبادره قائلا :

- هناك شخصيات ذات وزن في المجتمع خارج إطار الأحزاب ، أريدك ان تفكر معي

في طريقة لاستقطابها .

- مثل من ؟
- رؤساء التجمعات الأهلية التي تمثل فئات المجتمع كالتجار ، والعمال ، والفلاحين ، والصيادين والحرفيين .
- لا علم لي بوجود اتحادات مهنية في البلاد .
- هناك من يقوم مقامها ، وينتظر الفرصة ليتحول الى اتحاد مثل جمعية الزراعيين ، وجمعية الصيادين ، ونادي العمال ، والغرفة التجارية.
- الا يقع اغلبها تحت سيطرة صاحبك الجن؟
- بعضها ، ولكن هذا لا يمنع من انتزاعها منه جميعا .
- وما هو المطلوب؟
- ان نبدأ بالاتصال برؤساء هذه التجمعات.
- هل هي تعليمات الكولونيل بلاكلي ؟
- ولماذا تكون تعليماته ؟
- تعيلماته لأنني لست شغوفا بان أتتطوع بالتعب والعمل من تلقاء نفسي.
- ليس تطوعا وانما عمل نؤديه بإرادتنا الحرة لإنجاح الحزب ، فهو حزبنا نحن، بعد ان يمضي بلاكلي لنصنع به مستقبلنا ، لماذا لا تريد ان تفهم؟
- لا ادري ما الجدوى مما تقول ؟ هل ما تعنيه هوان نقوم بزيارات لهم ونعرض عليهم برنامج الحزب؟
  ـ واكثر من ذلك ، كسبهم كأصدقاء على المستوى الشخصي ، وإدماجهم في الحياة الاجتماعية معنا.
- كيف ندمجهم ، في حياتنا الاجتماعية ؟

هل نبحث عن عرائس لأولادهم وعرسان لبناتهم ؟

- لا نريد أولادهم ولا بناتهم وانما نريدهم هم نزورهم ونعرف من له ميل للسهر والشراب

واللعب فندعوه لحضور حفلاتنا ونضعه تحت سيطرتنا ، هذه هي أصول العمل السياسي .

- ارأيت ؟ لقد بدأ الأمر بساعة من العمل الإضافي تحولت الى عمل يستغرق الليل والنهار .
- وهل تسميه حقا عملا ، انه تسلية ومتعة وإثارة .
- ألا تحمل دعوة هؤلاء الناس الى حفلاتنا شبهة الرخص والابتذال ؟
- أعوذ بالله ، ماذا تقول ؟
- أقول ما سمعت ، فهكذا سيرى هؤلاء الناس سلوكنا .
- إنها وسيلة ناجعة للسيطرة ، بحيث يصبح الواحد منهم كالخاتم في أصابعنا.
- افعل ما تراه في حفلتك ، ودعني بعيدا عن هذا الموضوع .
- لن تكون بعيدا بعد ان ترى نتائج ما يحدث منذ الحفل القادم الذي سأقيمه في بيتي ، ولا حاجة بك او بي لكي نذهب إليهم ، سنبعث لكل واحد منهم ، واحدا من أبناء مهنته ، كان نبعت بزميلنا نعمان لرابطة المعلمين ، وزميلنا انور للغرفة التجارية وهكذا مع البقية .
- معنى ذلك ان هذه الحفلات ستكبر الى حد لن يتسع له بيتك او بيتي.
- لا يهم ، سيتسع لها بيت الوالي ، الذي لن يبخل بتقديمه لاداء هذه المهمة ، إذا عرف أنها ستعود بالفائدة على الحزب .
- نعم ، نعم ، دع الوالي يتولى هو الدعوة ، ولن يتأخر أحد عن الاستجابة له ، فالحزب حزبه قبل ان يكون حزب أي أناس آخرين.

إلا ان للوالي خططا مختلفة لانجاح الحزب، لم تكن تخطر على بال رئيسه الدكتور وهبي ، ولا على صاحب المبادرات الكبيرة عثمان الحبشي ، فقد

استدعى الحبشي الى مكتبه في اليوم التالي
ليسأله ألا يذهب للحزب هذا المساء ، وعندما
استفسر عثمان عن سبب هذا الأمر ، ذكر له
بأنه يريد ان يجنبه إحراجا سيحدث له
لو ذهب ، فقد كثرت الأقاويل والشائعات والمقالات
التي تؤكد صلة الوالي بالحزب ، واعتباره حزب
الحكومة ، وهو لكي يزرع في أذهان الناس
الشك في هذه الأقاويل سيعمد لاتخاذ إجراء
يظهر فيه النادي كأنه في حالة صدام
مع الحكومة ، و دون ان يكشف له عن
تفاصيل العمل الذي سيقوم به ، أمر الكاتبة بإدخال
أحد الموظفين الراغبين في مقابلة الوالي ، فلم
يستطع الحبشي سؤاله عن هذه التفاصيل
واستأذن ليعود الى مكتبه ، ثم الى بيته
لا يغادره خلال فترة المساء ، منتظرا ما ستأتي
به الأخبار ، مكتفيا بإرسال عين من عيونه
الى النادي لنقل الأحداث فور حدوثها ، ولم يجد
في نفسه القدرة او الشجاعة على إخبار صديقه
وهبي بما قاله الوالي خوف ان يظهر أمام
رئيسه بمظهر الرجل الذي يفشي ما يسمعه
من أسرار . بعد فترة من جلوسه في البيت أحس
بالضجر ، فذهب الى متجر انور ليجلس أمام
دكانه ، يشرب الشاي و يشارك في الثرثرة مع
أصدقاء صاحب الدكان ، وترك سائقه
رمضان هذه المرة يذهب على الأقدام
الى مقر الحزب ، لينصت ويراقب ، ثم يأتيه
بأخبار ما يحدث ، ولم تمض غير ساعة او بضع
ساعة حتى جاءه رمضان مفزوعا ، يرتعش
قائلا بان قوة من عناصر البوليس الحربي
التابعة للجيش ، هاجمت مقر الحزب ، وفتشت

حجراته ومكاتبه وأدراجه وقبضت على رئيس
الحزب واحد حراسه ، وان الدكتور وهبي
رفض ان يذهب معهم ، فاستخدموا القوة
في سحبه الى إحدى سياراتهم ، ومنعوه
من استخدام الهاتف في الاتصال
توقع بعد سماعه تحذير الوالي من الذهاب
الى النادي ، ان تحدث مثل هذه الحملة التفتيشية
الوهمية على مقر النادي ، الا انه لم يتوقع ان
يتم القبض على الدكتور وهبي بهذه الطريقة
المهينة . لقد جاء الى هذه المهمة مرغما، فإذا
بنفس الوالي الذي اجبره على القيام بها ، يرسل
جنوده للقبض عليه ، إنها إحدى المفارقات
العجيبة التي صار الدكتور وهبي موضوعا
لها منذ ان ظهر في طريقه هذا الحزب
لم يكن أمام عثمان الحبشي ، الا ان يتحرك باتجاه
مكتبه في قصر الولاية ، ليباشر من هناك اتصالاته
بأمل ان يجد حلا للمحنة التي تعرض لها صديقه
مع يقينه بأنها مجرد عرض مسرحي ، للإيهام
بوقوع تناقض بين الحزب والحكومة ، تعزز
من مكانته أمام الأحزاب الوطنية الأخرى
لم يكن في قصر الولاية غير العسس
وأفراد الشرطة الذين يحفظون الأمن ، واحد
الموظفين المناوبين الذي تنتهي مناوبته بعد فترة
وجيزة ، والذي غالبا ما يكون بحوزته سجلا
يحتوي على الأرقام الخاصة لكبار الموظفين
لمهاتفتهم في حالات الطاورىء ، بما في ذلك
الهواتف الخاصة بالسيد الوالي ، وفور
وصوله ، طلب منه عثمان الحبشي ، ان يوصله
ببيت الوالي ، الذي لم يأبه لما كان يقوله الحبشي
وانما سأله عن رأيه في هذه الحركة ، فأبدى

عثمان الحبشي إعجابه بالفكرة الا انه تأسف لما حدث للدكتور وهبي الذي ساقه أفراد البوليس الحربي، بالقوة الى سيارة الحجز ، والقوا به في السجن ، فأجابه الوالي بان الخطة لن تثبت مصداقيتها الا بالقبض على رئيس الحزب ، وإيداعه السجن ، لما ارتكبه من مخلفات وانتهاكات لقانون الأحزاب ، ولم يشغل نفسه بسؤاله عن طبيعة هذه المخالفات لان لديه سؤالا اكثر إلحاحا وهو عما إذا كان سيطلق سراحه هذه الليلة ، فقال له بأنه أمر مسئول السجن الحربي بان يهيئ له مكانا مريحا في السجن يقضي فيه ليلتين او ثلاث على الأقل ، من اجل الحبكة القصصية كما اسماها ، ثم أضاف ضاحكا :

- ومن جهة أخرى لكي يتوقف عن وصف الحزب بانه حزب بلا كلي .

وشرح للحبشي ، كيف ان أناسا كثيرين ينقلون له هذه العبارة على لسان رئيس الحزب ، وهي عبارة لا يستغرب ان يسمعها من المعارضين للحزب ، ولكن ليس من رئيسه . وعندما قال الحبشي بان هناك رأيا داخل الحزب يعرفه الوالي ، وربما كان من أنصاره في البداية ، لا يرى مانعا من الترويج للعلاقة الخاصة التي تربط حزب المستقبل والحرية بحكومة الولاية لإغراء الناس بالانتساب اليه والانتفاع من المزايا التي ينالها الأعضاء من الحكومة ، فأجابه بأنه فعلا كان من أنصار هذا الرأي في المرحلة الأولى لتأسيس الحزب ، لكن ليس الى حد تكرار هذه العبارة على لسان رئيسه ، وهو يرى الآن ان هناك أحداثا قادمة تستوجب ان يدخل الحزب مجال المنافسة في المجال الوطني بقوة

وفعالية ، اكثر من ذي قبل ، وبعلاقة مع الحكومة اكثر متانة في العمق ، ولكن متباينة على السطح . مما يستوجب عملا شديد الدقة والبراعة في المستقبل

وصدرت صحف اليوم التالي تنقل الحادثة على صفحاتها الأولى ، دون ان تستطيع التكهن بسبب الخلاف ، او ما الذي وجدته قوة البوليس الحربي من مواد رأت ان تتحفظ عليها ، خاصة وأنها غادرت مقر الحزب ، تحمل رئيسه واحد حراسه ، وأكواما من الملفات والأوراق الخاصة بالحزب ، وتتكهن بإمكانية وجود سبب جنائي وراء القبض على الحارس ، مثل وجود أسلحة بحوزته ، إذ ماهي التهمة السياسية التي يمكن ان توجه لعامل أمي يقوم بالحراسة ؟

ظل الموقف غامضا ، ولم يفعل الوالي شيئا لإزالة غموضه ، الا ان تهمة حزب الحكومة ، صارت الآن تجد من يشكك فيها ، وعلى رأس هؤلاء المشككين بعض أعضاء الحزب الذين انضموا إليه بسبب هذه التهمه التي اعتبروها ميزة ومنفعة

وكان اكثر الناس إحساسا بالصدمة والدهشة هو رئيس الحزب نفسه ، الذي أطلق سراحه بعد ان قضى في السجن ثلاثة أيام ، ليجد عثمان الحبشي بانتظاره ، ليأخذه في سياراته الى مكتبه ، شارحا له هدف الوالي من وراء هذه العملية ، الا انه شتم الوالي ، وشتم الحزب واقسم انه سيستقيل من عمل الحزب ويعود الى ممارسته حياته موظفا بسيطا في قسم الترجمة لا علاقة له بهذه الألاعيب والمناورات ، بل لعله يسعى لترك العمل الوظيفي مع الحكومة ويفتح مكتبا خاصا للترجمة القانونية يكون فيه

سيد نفسه ، يحصل على رزقه من بسطاء الناس وليس من سلطة الاحتلال . ناشده عثمان الحبشي ان يريح أعصابه ، ويعود الى بيته ، ليستحم ويرتاح ، ووضع سيارته وسائقه تحت أمره ، وذهب هو الى الوالي ينقل له حالة الغضب التي خرج بها الدكتور وهبي من السجن ، ويرجوه ان يستقبله في الغد في مكتبه ، ويشرح له بنفسه الهدف من وراء القبض عليه ، حتى يقتنع ويهدأ ويتراجع عن فكرة الاستقالة من الحزب . وكان الوالي في اليوم التالي اكثر أريحية مع الدكتور وهبي مما سأله الحبشي ، فقد اعتذر له بعبارات صريحة عن المعاملة التي عاملها له أعضاء الشرطة العسكرية أثناء القبض عليه ونقله الى السجن ، لان هذه الأيام الثلاثة التي قضاها في السجن هي جزء من إعداده كزعيم سياسي ، فلا وجود لزعيم لم يقض جزءا من عمره في سجون المحتلين ، وصار من حقه ان يشير في أحاديثه وخطاباته ومنتدياته عن الأيام التي قضاها في السجن كما يفعل بقية الزعماء ، ومع ذلك ظل الدكتور وهبي غاضبا ، قائلا بان هناك فرق بين الزعماء الحقيقيين ، وبين الزعماء المزيفين ، وهو لا يريد ان يكون زعيما حقيقيا ولا مزيفا وأبدى الكولونيل بلاكلي شديد إعجابه ببراعة الدكتور وهبي في إدارة الحزب ، وقوة وعيه السياسي ، التي تجلت في الأحاديث البليغة التي يعطيها للصحف والاذاعه ومساهماته في المنتديات العامة ، ولذلك فهو يريده ان يواصل

هذه الجهود ، وسيجد ان مداهمة الحزب واخذه
الى السجن ، قد صنعت له رصيدا وطنيا
وزادته شعبية لدى الناس ، وأشار الحبشي
الى خشيته من ان تكون قد تركت اثر
سلبيا على الأعضاء الذين دخلوا الحزب
بهدف المنفعة ، فقال الوالي بانه مستعد
لتقديم اية معونة يواجه بها الحزب هذا
الأثر السلبي ، وكان عثمان الحبشي جاهزا
باقتراحه الذي يعيد التوازن للحزب وهو ان
يتيح الحزب لكل عضو يحمل البطاقة فرصة
ان يشتري مذياعا بنصف القيمة ، فلم يتردد
الوالي في الموافقة على الاقتراح ، مضيفا
الى ذلك انه اعترافا بنجاح الجهود التي
بذلاها هما الاثنان ، الحبشي والدكتور
وهبي ، فانه سيأمر لهما بزيادة في المرتب ، وإزاء
هذا الأسلوب الذي استقبله به الوالي
وما خاطبه به من جميل العبارات التي أنهاها
بهذا العرض السخي لأعضاء الحزب والمكافأة
له ولزميله ، وجد الدكتور وهبي نفسه غير قادر
على مواصلة احتجاجاته او تكرار المطالبة
باستقالته ، فسكت مؤجلا موضوع الاستقالة
الى فرصة قادمة
قبل إعلان الخصم الذي قرره الحزب لأعضائه
على شراء أجهزة المذياع ، تم الاتفاق مع
الوكالة التي تستورد هذه الاجهزه ، بإحضار شحنات
إضافية يدفع الحزب نصفها ، وقد عهد
الحبشي بالمهمة الى صديقه انور ليقوم
هو بالاتصال بالوكالة والدخول في شراكة
معها لجلب هذه الصفقة الكبيرة ، التي
سيكون ربحها مضمونا

استغرقته الأحداث التي مرت على الحزب
الى حد نسي معه الترتيبات الجارية لاقامة
الحفل في بيته ، فقد مضت سونيا في إرسال
الدعوات وإجراء الاتصالات لضمان قبول
الدعوة ، والتنسيق مع الفندق الذي يتولى إعداد
الطعام والشراب وإرسال الجرسونات لخدمة
الضيوف دون ان ترى حاجة للرجوع الى
الحبشي في أي جزء من هذه الإجراءات
التي صارت تقوم بها بطريقة روتينية لكثرة
تكرارها ، كما مضى كل من انور ونعمان ، ومعهما
اكثر من زميل من أعضاء الحزب ، في تنفيذ
خطة الحبشي التي تقضي باستدراج بعض
القيادات العمالية والمهنية لحضور الحفل
ولم ينتبه الحبشي للموعد الوشيك لهذا الحفل
الا في اليوم السابق لقيامه عندما جاءت سونيا
لابلاغه بان عمال الفندق يريدون تهيئة
الحديقة للحفل ، ويستأذنون في دخول
البيت ومباشرة مهمتهم منذ الآن ، فارسل
سائقه رمضان يفتح لهم البيت ويبقى معهم
الى حين الانتهاء من عملهم ، ولم يسأل
سونيا عما دعته او لم تدعه من صديقات
لكي لا يقضي على عنصر الإدهاش والمفاجأة
ليلة الغد ، ومن باب اللياقة راى ان يهاتف
ايزابيلا ويذكرها بالموعد ، ليتقي لومها
عندما تأتى وتقول له بانه لا يتصل بها
الا عندما يكون متأزما وحيدا فقط
افلح زملاء الحزب في استقطاب أربعة من
الشخصيات القيادية المهنية ، التي بدت نشازا
بين المدعوين ، فالأربعة كانوا رجالا كبارا
في السن ، جاءوا بإغراء الخمر والنساء

الا انهم لا يجيدون الظهور بهندام أنيق يليق
بمثل هذه الحفلات البيتية ، لانه لا عهد
لهم بها ، فهم تعودوا على ارتياد الحانات الشعبية
واختيارالاركان المظلمة بها ، لانهم غالبا
لا يجاهرون بعادة احتساء الخمر التي تضعف
شعبيتهم أمام الناس ، ولا يرون المرأة
خارج محيطهم العائلي ، الا في المواخير
وبيوت الدعارة ، فظنوا ان جميع نساء الحفل
من ذلك النوع ، فابدوا استهتارا بقواعد التعامل
مع الحاضرات من نساء أجنبيات ، الى حد
ان ايزابيلا غادرت بيت الحبشي قبل انتهاء
الحفل ، غاضبة من سلوك مدرس يرأس إحدى
الجمعيات ، عندما امسك بيدها يريد ان يسحبها
بالقوة للجلوس معه ومؤانسته في ركن
معتم من أركان البيت ، فانتزعت يدها
من يده ، وتركته يترنح يكاد يسقط فوق الأرض
من شدة السكر ، وكان عثمان الحبشي قد رآى
ما حدث ، فتقدم من الرجل يذكره بالتزام السلوك
السليم ، ولم يكن بقية زملائه وهم تاجر ومزارع
وقصاب ، بأكثر تهذيبا منه ، او اقل ثمالة
بل ان أحدهم كان يتفوه بكلمات نابية بصوت
مرتفع وصل أسماع الجميع ، مما حدا
بالحبشي ان يستعين بكل من انور ونعمان
والدكتور وهبي ، لمساعدته في إخراج
هؤلاء الرجال الأربعة من البيت بالحيلة
وإفهامهم ان الحفل قد انتهى ، ليستطيع
بقية المدعوين ان يهنأوا بالساعات الباقية
منه، ويعودوا لاستئناف متعتهم بهذه الأجواء
الجميلة ، أجواء الليل والحديقة والموسيقى
والشواء والشراب ، واطباق الطعام الجانبية

التي وضعها عمال الفندق على شكل بوفيه مفتوح واعتنوا بتسخينها وتزويد المأدبة بأطباق جديدة منها كلما فرغت الأولى ، كما عادوا للتناوب على الرقص في المكان المخصص للرقص بعد خروج أولئك الدخلاء وانتهاء ما اثاروه من توتر وفوضى . لم يأسف عثمان الحبشي لخروج ايزابيلا غاضبة ،لان وجودها حتى آخر الحفل كان سيضع قيدا على حركته مع مجموعة البنات اللاتي لم تقم سونيا بدعوتهن الا من اجل هدف واحد هو إرضاء غرائز رئيسها . كان قد عاشر اغلبهن ، ووجد واحدة منهن ، لم يرها من قبل ، فتاة إيطالية ، جميلة وصغيرة السن لم تتجاوز العشرين من عمرها ، ولاتعرف أحدا من المدعوين غير سونيا فظلت طوال مدة الحفل ملتصقة بها ، وتحدث بشأنها مع سونيا فبدت مطمئنة لاستجابة الفتاة لدعوته إذا ما شاء ان يبقيها معه بعد انتهاء الحفل ، الا انها اشارت عليه بان ينفحها مبلغا كبيرا من المال ، لانها من أسرة فقيرة ولم تأت لهذا الحفل الا بهدف ان تفك الأزمة التي تمر بها أسرتها . وعندما اقترب منها وجدها خجولة ، حيية ، تضع رأسها في الأرض ولا تفتح فمها بكلمة واحدة ،وعندما انتهى الحفل واختلى بها رآها تحاول إرضائه وتسرع لتنفيذ كل كلمة يقولها لها ، يعطيها قفطان نوم احمر ويسألها ان ترتديه فترديه دون اعتراض ، ويسألها ان تدخل الحمام وتستحم فتذهب في صمت الى الحمام وتأخذ حماما ، ويمد له كأسا من النبيذ ويسألها

ان تشرب فتأخذ الكأس وترتشفه جرعة
جرعة ، ويضع في الحاكي اسطوانة موسيقى
راقصة ويسألها ان ترقص فتمتثل لأمره
وترقص في بطء وخجل ، ويقودها الى
غرفة النوم فتسلم له قيادها ، وتدخل السرير
استجابة لتعليماته ، كما تخلع قفطان النوم فور
ان يأمرها بذلك ، ثم تبقى جامدة دون حراك
تنتظر ما يقوله لها ، وتسمع كلمة اقتربي
فتقترب ، وهاتي شفتيك فتعطيه
شفتيها ، حتى انتهى الأمر لإطفاء
النور والتصاق الجسدين والتفاف الساق
بالساق ، ورغم استمتاعه بالجسد الفتي العفي
المتفجر شبابا ورواء، الا انه لم يكن سعيدا
بدم البكارة الذي سال على فخديها ، واكتشافه
ان الفتاة عذراء وانه أول رجل يمارس الجنس
معها ، فهو لازال برغم اندماجه في هذه
الأجواء الأجنبية المفتوحة ، ينظر الى
مثل هذه المسالة بالمقاييس الليبية التقليدية
التي تعتبر العذرية ، اثمن واعز ما تمتلكه
المرأة ، وان انتزاع غشاء البكارة بغير
الزواج ، إفساد للفتاة وجناية عليها ، وهو لم
يكن يريد ان يحمل وزر الجاني ، وانما يترك
الوزر لغيره ، دون اعتراض على ان يستفيد
من نتائج الجناية ، عندما تأتيه الفتاة وقد
تخلصت من عذريتها عن طريق رجل غيره
كانت الفتاة الإيطالية قد توجعت كثيرا من المعاشرة
الأولى ، فلم يكررها معها المحاولة . تركها تنام
وظل مسهدا حتى الصباح . لم يشأ ان يوقظها
عندما حان موعد ذهابه للعمل . وضع في حقيبة
يدها المبلغ الذي أوصت به سونيا مضاعفا

وتركاها لعناية الجازية
الأرق ، هو العدو الأول لعثمان الحبشي
وهاهو يبدأ عمله هذا الصباح منهكا، شاعرا بالكدر
رغم أفراح الليلة الماضية . كان السؤال المتكرر
الذي يسمعه من الأطباء هو عن المناسبة التي
ترتبط في ذهنه بهذا الأرق ، وكان ينفي وجود
هذه المناسبة ، مع انه يعرفها ، لانه لم يكن
ممكنا ان يعترف لاي طبيب بالمؤامرة التي
حاكها لقتل صديقه فتحي . كانوا يلحون عليه في
تذكر الماضي والعودة الى أول يوم بدأ فيه
هذا السهاد ، وسرد الأحداث التي سبقت ذلك اليوم
فكان يتظاهر بانه يستجيب لإلحاحهم ويذكر
أسبابا لا علاقة لها بالسبب الحقيقي ، الذي يدعون
بأنه لو عرفوه لاستطاعوا وضع أيديهم على
سبيل العلاج
اليوم فقط يمكن ان يذهب الى الطبيب ويرد على
سؤاله بصدق وأمانة دون ان يخشى النتائج المترتبة
على مثل هذا الاعتراف ، لان الطبيب الذي حدد موعدا
لرؤيته هذا المساء ، غير كل الأطباء
السابقين ، فهو قسيس يتبع دولة الفاتيكان
جاء من روما الى طرابلس ، لبرنامج طبي
إنساني تقدمه كنيسة مريم العذراء ، خدمة
لجمهورها من المسيحيين ، كما أخبرته سونيا
التي استطاعت ن تؤمن له موعدا مع هذا الطبيب
القسيس مساء نفس اليوم ، حيث ذهب له
في الكنيسة ، وعرض عليه مشكلته متوقفا عند
السؤال التقليدي الذي تعود سماعه من كل
من رآه من الأطباء ، بمن فيهم هذا الراهب
الإيطالي ، ولم يجد عثمان الحبشي حرجا
هذه المرة في ان يصارح قسيسا ممن

يجلسون أمام كرسي الاعتراف يستمعون الى
اعترافات الآثمين ، في ان يسرد له حقيقة
ما حدث ، وكان وراء هذا الأرق ، قائلا
بان الشيطان ، وسوس له ، ان يتخلص
من صديقه ، الذي رآه يمثل العقبة الوحيدة
أمام الوصل الى حبيبته ، وهي فتاة كان
قد احبها وتواعد معها على الزواج ، ولكن
ظروفا حالت بينه وبينها ، ليأتي صديقه
هذا ويتزوجها ، ومنذ ذلك اليوم الذي مرت
عليه اكثر من عشرة أعوام ، والأرق
ملازم له ، لا يفارقه ليلة واحدة
ورفع بصره الى الراهب ، ينتظر سماع
ما يقوله ، فظل الرجل صامتا لبرهة صغيرة
يستوعب خلالها أبعاد هذه الجريمة قبل ان
ينهمر بأسئلته الكثيرة المحرجة على عثمان
الحبشي ، كأنه نائب عام يتولى إجراء
التحقيق معه فيما اقترفت يداه في ذلك
الزمن والبلد البعيدين ، ويحاول الإحاطة
بكل تفصيلة صغيرة او كبير من تفاصيل ما حدث
في تلك اللحظات المشئومة ، ولا يفرغ
من الإجابة على سؤال حتى يهاجمه بسؤال
ثان ، عما حدث بالضبط ، وماذا قال من كلمات
لصديقه لاقناعه بالذهاب في المهمة التي لاقى
فيها حتفه وماذا كانت الكلمات التي رد بها
عليه ، وعما كان يفعله أثناء انتظاره لخبر
مقتل صديقه ، وكيف استقبل الخبر ، ومن كان
شريكه في معرفة السر ، وماذا فعل بعد ذلك
وأسئلة أخرى كثيرة جعلت عثمان الحبشي
يتصبب عرقا وقد توهم ان الرجل سيكتب تقريرا
مفصلا عن جريمته لتقديمها لسلطات الأمن ، يفضح

فيها جريمته ويطالب بأخذ القصاص منه ، وانتهى التحقيق بسؤال الراهب له ، عما إذا كانت المرأة التي ارتكب من اجلها فعلته ، قد صارت زوجته التي تعيش معه الآن ، فاعترف له بانه أضاع صديقه ، دون ان يحقق هدف الزواج من حبيبته ، ولاشك ان لله حكمته في ذلك كله ، راجيا ان يغفر له جريمته ، مؤكدا للراهب الكاثوليكي انه فعل ما فعله في ازمنة الحرب التي تبطل خلالها كل حرمة للحياة الانسانية وتصير لرؤية الدم البشري المسفوح غدرا روتنيا يوميا

فذكر له الراهب ، ان الله غفور رحيم، ولكن الإنسان أحيانا لا يستطيع ان يرحم نفسه ، او يغفر لها هذا الإثم الذي يراه كبيرا ، كما حدث معه ، فالناس الذين يعانون من آثار ما بعد الجريمة ، سواء في شكل انهيارات عصبيه، او ارق مثل الذي أصابه ، غالبا ما يكونوا من أصحاب الضمائر السليمة ، التي لا تغفر لاصحابها ما ارتكبوه من أفعال الشر ، بعكس أصحاب الضمائر الضعيفة ، الذين لا يعانون من تأنيب الضمير مهما ارتكبوا من آثام في حق البشر ، فهم أناس نفوسهم مجبولة على حب الإجرام ، يزدادون صحة وعافية بارتكاب أفعال الشر وإيذاء الآخرين . الا ان ما يهم عثمان الحبشي معرفته من هذا الرجل هو العلاج الذي يكن ان يشفيه من هذا الداء

وجاء الجواب تأكيدا على ان اعترافه هذا هو البداية الصحيحة لتحقيق العافية ، انه خطوة أولى لابد ان تعقبها خطوات ، أهمها ان يجد طريقا للتحررمن الإحساس بالإثم ، فهل هناك من خدمة يستطيع تقديمها لذكرى

صديقه المغدور ، او أي شيء يعطي عثمان
الحبشي الإحساس بسداد جزء من فاتورة
الأذى الذي ألحقه بصديقه وبالدائرة الاولى لاهله ومحبيه
هذا شق من العلاج كما يقول الراهب ، والشق الثاني
الذي لابد ان يقوله طبيب ملتحق بخدمة الكنيسة ، يتصل
بسداد حق الله ، فعمل الشر بمثل ما هو إثم تجاه
الضحية ، فهو إثم يغضب الله ويستوجب طلب
الصفح منه ، فماذا فعل هذا الجاني للوفاء بحق
الله إزاء الإثم الذي ارتكبه ؟ ، الراهب يعرف ان
عثمان الحبشي ينتمي لقوم لهم دينهم الذي
يختلف عن دينه ، ولهم طقوسهم وأسلوبهم في
التواصل مع الله ، وهو لا يعنيه الدين الذي ينتمي
اليه الإنسان الذي جاء ينشد لديه العلاج ، ما يعنيه
هو ان يجد هذا الإنسان وسيلة تتفق ومعتقداته
لتحسين علاقته بخالقه ، وإزالة العقبات التي
تقف في الطريق بينه وبين الفوز برضا
الخالق . الجزء الثالث من العلاج كما يراه
الراهب ، هو ان هناك توازنا لابد ان يتحقق في
حياة من ارتكب مثل هذا الإثم الجسيم ، وهو
انه بمثل ما توغل عميقا في ارض الشر ، لابد
ان يتوغل عميقا في ارض الخير والبر ، لقد سخر
جهده ووقته وعقله لتدبير مكيدة لإنسان أودت
بحياته ، والان عليه ان يسخر جهده وعقله
ووقته لتقديم اقصى ما يستطيع من أعمال
الخير ، وان يمضي بقوة في هذا الطريق
كتعويض وتعديل لمسيرته السابقة ، كيف
سيضع هذه الأفكار موضع التنفيذ ، هذا ما
يتركه الطبيب لتدبير وتفكير صاحب الشأن
وبعكس الأطباء الذين كانوا يعطونه علبا من الأدوية
لاستخدامها في محاربة الأرق ، فان الراهب لم يعطه

أية مهدئات او أقراص منومة ، مشككا في جدواها قائلا له بانه سيهتدي الى النوم عندما يهتدي الى جوهره الغائب خلف ركام السنين
طريق طويل ذلك الذي يقترحه الراهب لعلاج الأرق ، قد لا يستطيع السير فيه الى نهايته ولكنه لن يخسر شيئا إذا بدأ في تنفيذ المرحلة الأولى منه ، وهي محاولة إرضاء روح صديقه الراحل ، بتقديم ما يقدر عليه من عون ومساعدة الى أهله ، وفي مقدمتهم ابنه .انه لن يسعى لرؤية هذا الابن او الاتصال به لكي لا يكون مصدر ألم وتوتر بما سيثيره في نفسه من ذكرى ما حصل لوالده ، وانما سيساعده عن طريق وسيط هو عبد المولى ، الذي يعرف بيت ثريا ، وسينتظر حلول اقرب مناسبة دينية ، ويتخذها فرصة لإرسال كمية من الملابس والأدوات المدرسية واللعب والحلوى للصبي ، وبعض المواد الغذائية لأهله ، مما جرى العرف على تبادلها في مناسبة مثل ذكرى المولد النبوي ، ودون ان ينتظر مردودا سريعا من هذه الخطوة ، أرسل عبد المولى بحمولة كروسة من الهدايا ، وسأله ان يقدمها باسمه لأسرة المرحوم فتحي ، ولم يكترث فيما بعد ، بالدعوى التي عاد بها اليه عبد المولى لزيارة العائلة وقبول دعوتهم للغذاء او العشاء فقد فعل ما فعله كجزء من العلاج الذي نصحه به الراهب الطبيب ، ورغبة في تنفيذ الشق الثاني من العلاج الذي أمر به ، اشترى لنفسه سجادة صلاة ، صار يستخدمها في أداء ركعات يؤديها دون انتظام ، او التزام بالأوقات الخمس للصلاة لا يفعل اكثر من ان يتوضأ ويتجه نحو القبلة ، في أي وقت من الليل او النهار ، عندما يجد

الوقت ، والاستعداد النفسي لذلك ، ورغم ان
هذا العلاج النفسي والروحي لم يفلح في إطالة
الغفوة التي تأتيه قبل الفجر ، آلا انه صار ينامها
بدرجة اكثر عمقا وراحة من أوقات سابقة
لم يكن له موقع في قيادة الحزب ، الا ان
المشتغلين بالعمل السياسي من قيادات حزبية
يعرفون انه القوة المحركة للحزب ، ويلتقون
به في المناسبات العامة والخاصة ، فيباركون
نشاطه ويشعرونه بأنه ليس مجرد
جندي مجهول ، وانما قائد معروف لحزب
المستقبل والحرية
ووجد ذات يوم قائد حزبي من الجيل القديم ، هو
علي الفقي حسن ، رئيس حزب الكتلة ، يهاتفه
في مكتبه ويطلب ان يلتقي به لقاء خاصا ، فابدى
ترحيبه بلقائه ، وذهب اليه في بيته كما اقترح
وجلس معه في المكتبة الواسعة التي سبق ان رآها
في زيارة سابقة لهذا المناضل السياسي الشريف
هذه المكتبة العامر ة بالمجلدات ، والمصاحف
المفتوحة والموزعة في أركان الغرفة
موضوعة في حوامل خشبية
تضفي على الجلسة شيئا من جلال التاريخ
والإرث الديني ، وجاء الشاي الأخضر والكعك
ثم بدأ الشيخ يفاتحه في الموضوع الذي من اجله
اقترح هذا اللقاء :

- اعلم انك تبدل نشاطا كبيرا لانجاح حزب
بلاكلي ، ورغم وجود الدكتور وهبي كرئيس
للحزب، فان الجميع يعرفون انك الرجل الثاني
في الحزب بعد الوالي ، فالدكتور وهبي كما عرفت
منه زاهد في المنصب ، راغب في ترك
العمل بالحزب في اية فرصة تسنح له.

- لا أنكر أنني ساعدت الدكتور وهبي في تأسيس الحزب ، ومازلت أساعده في تسييره ، ولن اختلف معك في انه حزب تدعمه حكومة بلا كلي لأسباب تختلف عن الأسباب التي تدفعني لمساندة هذا المشروع .
- هل يمكن ان اعرف هذه الأسباب ؟
- نعم فهي أسباب لا تحاول الإدارة الإنجليزية إخفاءها ، من أهمها وجود أداة سياسية تناصر الإدارة وتدافع عنها في مواجهة القوى السياسة المحلية التي تعادي الإنجليز وتطالب بطردهم .
- وما هي اسبابك أنت ، إذا جاز لي ان اعرف ؟
- سأخبرك بصراحة عن قناعاتي ، التي لا علاقة لها بكوني موظفا في الإدارة ، ومسئولا عن الأمن فيها ، وانما كمواطن يريد الخير لبلاده ويدرك أهمية ان ترتبط بعلاقة قوية ومتميزة مع دولة كبرى مثل بريطانيا . فبلادنا محدودة الموارد ، ولن تستطيع إطعام أهلها وتعليمهم إلا بدعم من دولة لا تغرب الشمس عن ممتلكاتها مثل بريطانيا ، تستطيع ان تقطع الفرصة امام بديل آخر مثل ايطاليا .
- وهل ترضى بان نتخلص من الطليان لنقع في أيدي الإنجليز؟
- طبعا لا ، فالحرية شعارنا ، والاستقلال مطلبنا ولكن دولتنا المستقلة ستبقى دولة حليفة لبريطانيا ، وترتبط بمواثيق الصداقة معها .
- بريطانيا تريد ان تحتفظ بحق الوصاية على التراب الليبي لمدة عشرة أعوام .
- لا علم لي بمثل هذه الخطة ، الا انها لا تخضع لرأي حزب من الأحزاب ، وانما يجب ان تطرح أمام الشعب الليبي في استفتاء عام ، إذا قبل

بها قبلنا ، وإذا رفض رفضناها معه.
- قد لا تعلم ان هناك دراسات تقول ان بلادا شمالية مثل الجزر البريطانية معرضة لنوع من الطقس يجعل الحياة مستحيلة فيها . عودة ثانية لعصر الجليد، وهم منذ الآن يريدون وضع الخطط التي يواجهون بها هذه الازمه ، ونقل أربعين مليون من سكانهم الى هذه البلاد .
- هذه خطط لا علم لي بها .
- وماذا سيفعل حزب مثل حزبكم إزاءها ؟
قال عثمان الحبشي ضاحكا:
- هذه تحولات تحدث عبر آلاف بل ملايين الأعوام ولا ادري ماذا سيكون موقف الحزب بعد مليون عام .
لم يضحك الشيخ ، مجاراة للحبشي في ضحكته ، وانما واصل حديثه محتفظا بملامح وجهه في سمتها الصارم الجاد ، قائلا بان حزب المستقبل ، لا مستقبل له ، مهما حاولت الإدارة العسكرية النفخ في روحه ، لانه مولود غير طبيعي ، وان اسلم طريقة لحفظ ماء الوجه بالنسبة له ولزميله الدكتور وهبي ومسح العار الذي سيلحقه بهما هذا الحزب هو العمل على إدماج حزبهما في حزب الكتلة ويصبحان جزءا منه ، يعملان في إدارة الحزب تحت قيادته ، وينخرطان في عمل سياسي شعبي وطني ، يتشرفان به حاضرا ومستقبلا وابلغه انه يقول له هذا الكلام بدافع واحد هو المودة التي يحملها لكل منهما ويرى ان ما يقومان به من جهد جدير بان يصبح إضافة للحركة الوطنية لا خصما من رصيدها
ابلغه الحبشي بانه ليس مؤهلا للحديث باسم

قيادة الحزب ، ولا يرى ان هذه القيادة ستوافق
على ذوبان الحزب في أي حزب آخر ، والا ما
كان هناك ضرورة لإنشائه ، بالإضافة الى
وجود تباين في الأهداف بين الحزبين ، كما
ان لحزب المستقبل والحرية قاعدة شعبية
تتنامى وتتسع مع كل يوم جديد ولن يستطيع
أحد في الحزب التضحية بها
مرت اشهر كثيرة قبل ان تصبح فكرة الاندماج
بين الأحزاب ، فكرة تحظى برواج كبير بعد
ان طبقها الأمير السنوسي في برقه ، وجاء من هيئة
تحرير ليبيا موفدون يمهدون لعودة الهيئة
من القاهرة الى طرابلس ، ويطالبون بتوحيد
الحركة الوطنية وإنهاء حالة التشرذم التي تعاني
منها ، وتنظيم صفوفها تحت لواء الهيئة ورئاسة
الزعيم بشير السعداوي ، وذلك في مواجهة
المؤامرات الدولية التي تحاك ضد استقلال
ليبيا ، خاصة وان اللجنة الرباعية ، الموفدة
من الأمم المتحدة ، لمعرفة اتجاهات الشعب الليبي
بالنسبة لتقرير مصيره ، في طريقها الى البلاد
بعد الانتهاء من مهمة مماثلة تقوم بها في إحدى
المستعمرات الإيطالية السابقة وهي إريتريا
الظاهرة التي رافقت هذه الأخبار المثيرة عن
قرب تقرير المصير ، هي ظاهر ة الشعبية الكاسحة
التي صار يحظى بها حزب الجبهة الوطنية ، والتي
أعطت رئيسه محمد الجن حق الهيمنة على حياة
المجتمع الطرابلسي ، لا في الجانب السياسي
فقط ، ولكن ايضا في الجوانب الاجتماعية والرياضية
فلم يعد أحد يستطيع ان ينجح في انتخابات الأندية
والجمعيات التي تعنى بهذه القضايا ، او يحصل على
مركز في أجهزتها القيادية ، الا إذا كان من اتباع

محمد الجن ، وهو الأمر الذي تكرر مع التنظيمات الحرفية والمهنية ايضا ، مثل جمعيات المزارعين والنساجين والقصابين واندية التجار والموظفين التي بدأ أنصار محمد الجن يزحفون عليها ويسيطرون على هيئاتها الإدارية
ولم تعد هذه الشعبية الطاغية التي يحظى بها محمد الجن وحزبه ، مصدر قلق لغريمه عثمان الحبشي فقط ، وانما ايضا للوالي بلاكلي الذي يرى في الدعاوى المتطرفة لهذا الزعيم الشعبي مصدر تهديد لاستقرار البلاد واحد أسباب التوتر والإزعاج لسلطة الاحتلال ، وعندما استدعى الوالي عثمان الحبشي ، وفاتحه في موضوع الخطر المتمثل في سيطرة رجل متشرد مثل الجن ، على الرأي العام في مدينة طرابلس ، ظنه يريد ان يبحث معه طريقة ما لكسر هذه الموجة الطاغية التي يركبها الجن ، الا ان الوالي كان يحمل خبرا ، راى فيه بداية النهاية لظاهرة التطرف في الحركة الوطنية الشعبية كما يجسدها محمد الجن

الزعيم السعداوي

وكان الخبر هو وصول الزعيم بشير السعداوي الى طرابلس في الأيام القريبة ورغم ان الوالي ابلغه الخبر بكثير من الحماس والتفاؤل ، الا ان عثمان الحبشي لم يستطع ان يرى هذه الرابطة التي تربط بين مجيء السعداوي وانحسار الموجة المتطرفة التي يركبها الجن ، ونقل شكه هذا الى الوالي الذي افهمه ان زعامة السعداوي ستبطل اية زعامة أخرى ، وان صوت الحكمة

والاعتدال والوسطية ، الذي ينطق به الزعيم العائد من المهجر ، سيبقى الصوت الوحيد الذي ينصت اليه الناس ، لانه هو الذي يراعي مصالحهم وامنهم ويبعد عنهم المشاكل والعنف ، بدلا من أصوات التهور التي لن تجلب الا المتاعب والمشاكل والدمار ، واشار بشيء من الفخر ، الى ان لبلاده دخلا في اختيار بشير السعداوي لهذه المهمة وان لمسئول السياسة البريطانية في المنطقة العربية ، المارشال كلايتون ، يد في إقناع السعداوي بان يتخلى عن وظيفته كمستشار للملك عبدالعزيزآل سعود ، والعودة الى بلاده واستلام القيادة في طرابلس ، ولكي لا يترك شبهة لوجود أي ظلال تشوب نقاء الصورة التي يعرفها للسعداوي ، أسرع عثمان الحبشي بالقول ان زعيما بحجم ومكانة وتاريخ بشير السعداوي لا يمكن ان يترك وطنه في مثل هذه المرحلة المفصلية في مهب الريح ، وكان لا بد ان يأتي ليأخذ مكانه في قيادة سفينة الاستقلال ، سواء التقي بالمارشال كلايتون او لم يلتق به ، وما كان يمكن لوظيفة في البلاط الملكي السعودي ان تمنعه من استئناف المسيرة النضالية التي بدأها في سوريا عندما انشأ هيئة الدفاع عن برقه وطرابلس . ولم يكن الوالي ليعترض على هذا الكلام الذي يؤكد به عثمان الحبشي معرفته بالشخصيات البارزة في تاريخ المقاومة الشعبية ، ولذلك سأله ان يعد له تقريرا لكل ما يعرفه من معلومات عن الزعيم السعداوي بما في ذلك نسبه وعشيرته والقرية التي ينتمي اليها ، وعندما حان يوم وصول السعداوي الى طرابلس ، اصدر الوالي تعليماته الى عثمان الحبشي بان يذهب لاستقباله

في المطار نيابة عنه ، وسيلتحق الوالي بالمستقبلين فور وصول الزعيم الى فندق المدينة الذي اختار ان يقيم فيه حتى يهيئ لنفسه سكنا
انضم الدكتور وهبي الى صديقه الحبشي وهو يهم بركوب السيارة ، من اجل ان يذهب معه للقاء السعداوي والترحيب به باسم حزب الاستقلال والحرية ، وكانت المفاجأة التي وجدوها بانتظارهم فور ان تحركت السيارة ، هي أمواج الحشود البشرية التي خرجت تملأ الطرقات وتسد المنافذ لاستقبال الزعيم السعداوي وتتراص في صفوف على أرصفة الشوارع المؤدية لفندقه ، أعداد لا حصر لها تحمل صور الزعيم واليافطات التي ترحب به ، وسط مظاهر الزينة التي غمرت الشوارع بشكل عفوي ، فكل بيت وضع أمام بابه او في شرفاته أقواسا من سعف النخيل وأغصانا تحمل الزهور ، كما قام كل صاحب دكان برسم عبارات الترحيب بالألوان فوق يافطة أو لوحة علقها على باب دكانه ، علاوة على ما سار يحمله الناس الذين خرجوا من أنديتهم او جمعياتهم او التلاميذ الدين خرجوا من مدارسهم يحملون ما أعدوه من صور ويافطات ، تصدح حناجرهم بما حفظوه من هتافات وأناشيد ، وبعض المجاهدين الذين حملوا أعلام الجهاد السوداء وأعضاء الفرق الصوفية برياتهم الخضراء ودفوفهم وصاجاتهم يغنون ويرقصون وقد اختلط الرقص والغناء بهاتفات الحشود الأخرى التي تهتف ترحيبا بالزعيم وتعبيرا عن أملها في ان يقودها الى النصر والحرية ، كرنفال فني سياسي شعبي ، تم كله بجهود شعبية وخارج أي جهد او إيعاز حكومي

مضت سيارتهم تخترق الزحام حتى وصلت
الى منفذ عبر الشوارع الخلفية يقودها
الى طريق المطار ، فإذا بهذا الطريق نفسه
مليء بالسيارات الصغيرة ، والشاحنات
والعربات التي تجرها الحمير ، والاخرى التي تجرها
الجياد ، مليئة بالناس الذاهبين لاستقبال الزعيم
حتى فاض بهم الطريق واختنق المرور ، ووجدت
هذه المركبات نفسها تقف بلا حراك تحت الشمس
لفترات طويلة ، وهو الأمر الذي رآه عثمان
الحبشي مثيرا للدهشة ، فكيف لرجل غادر البلاد
منذ ربع قرن ، وما عاد أحد من الأجيال الجديدة
يذكر جهاده او يعرف عنه شيئا الا من خلال
الأصداء الشحيحة لنشاطه السياسي
في المهجر ، ان يستقطب هذه الأعداد الهائلة
من الشباب ، وان تخرج له جماهير الشعب
بعائلاتها ، في تظاهرة اختلطت فيها هتافات
الرجال بزغاريد النساء ، ولم يجد تفسيرا لدى
صاحبه الدكتور وهبي سوى ان الشعب وسط
أجواء الفوضى والحيرة والغموض ، التي
تحيط بالمستقبل السياسي للبلاد ، تتطلع
الى شخصية شعبية تاريخية تنتمي الى
مرحلة المقاومة الوطنية مثل شخصية
بشير السعداوي تسلم لها قيادها وتمضي وراءها
في هذا الطريق المعتم الشائك وصولا
الى يوم الخلاص
وعندما اكتشفوا ان الوقت سيمضي بهم
وقوفا في الطريق المؤدي الى المطار ، قرروا
العودة الى وسط المدينة ، واستقبال الزعيم
عند وصوله الى فندق المدينة ، بدلا من ان تضيع
عليهم فرصة استقباله هنا او هناك . وكانت

ردهة الفندق ايضا تعج بزعامات وطنية وقيادات
حزبية ، وشيوخ قبائل وعشائر جاءوا من البوادي
والأرياف ، لم تتسع الكراسي لهم جميعا فوقفوا
في الأروقة والردهات ينتظرون وصول
الزعيم ، ووجد عثمان الحبشي من بين عمال
الفندق عاملا يعرفه أسرع بإحضار كرسي خشبي
له واخر لزميله كما احضر لهما فنجاني قهوة
فجلسا وسط هذا الحشد يشربان القهوة وينصتان
لأخلاط الأحاديث الدائرة بين الناس عن تأثير
وصول الزعيم على المشهد السياسي
في ليبيا ، ووجد عثمان الحبشي بجواره زعيما
من أبناء الجيل الماضي ، وأحفاد غومه
المحمودي ، فخطر له ان يسأله عن سر
هذا الحب الذي يحمله الناس لبشير السعداوي
وكيف وصل زعيم مثله الى هذه الشعبية الطاغية
وهو خارج البلاد ، فاجابه بانه منذ ان
شنق عمر المختار ، وانتهت المقاومة
المسلحة ، وهاجر أبطالها او اعدموا على أيدي
الإيطاليين ، خلت الساحة من أسماء تستقطب
الأنظار وتواصل السير على طريق النضال
وتكون موئل الأمل والرجاء لاهل البلاد في الخارج
والداخل ، عدا اسم واحد هو اسم بشير السعداوي
الذي ظل وحده من جيل الجهاد ، يحمل الراية
في الخارج ويكافح وينافح ويغشى المحافل
الدولية حاملا قضية بلاده الى العالم ، ورغم
الحصار الإيطالي المضروب على اسمه
وانشطته فان الناس كانوا يتناقلون أخباره
سرا ، ويتداولون بعض المطبوعات التي يتم
تسريبها وتهريبها الى الداخل ، كما كانوا
يكتبون له الرسائل ، ويبعثون له

الوفود ، ويزودونه بأخبار الجرائم التي يرتكبها
الإيطاليون في حق المواطنين الليبيين ، فينقل ذلك
الى الرأي العام العالمي ، مما جعل ذكره
موصولا ، واسمه معروفا لدى الناس رغم
وجوده خارج البلاد . توقف لبرهة قليلة ثم استدرك
قائلا بان هناك نقطة لا بد من وضعها في كفة
الميزان الذي نزن به شخصية السعداوي ومواقفه
وهي ثقافته ، فقد اعتمد الجهاد على زعامات
لم يكن حظها من التعليم كبيرا رغم ما كانت تتمتع
به من رجاحة العقل وعمق التقوى ، والسعداوي
يكاد يكون ظاهرة فريدة لا نظائر لها في
هذا المضمار غير سليمان الباروني
الذي كان مثقفا كبيرا ومجاهدا عظيما
ومات غريبا في مدينة بومباي منذ ثمانية أعوام
ومع ذلك ، فهذا وحده لا يكفي لخلق هذه الحالة
من التوحد بين الناس والزعيم ، وهذا الاستنفار
الشعبي الذي لم يسبق له مثيل ، وللسعداوي
برغم ما يقوله الشيخ المحمودي ، نظائر
كثيرون ، ربما انتموا الى جيل اصغر منه
الا انهم جاهدوا مثل جهاده ، وهاجروا
مثل هجرته ، وقدموا نشاطا في ارض المهجر
لا يقل على نشاطه ، وردهة هذا الفندق ، تحمل
الآن عددا منهم ، فلماذا يحدث هذا للسعداوي
دون غيره ، طرح عثمان الحبشي السؤال على
نفسه بصوت مرتفع ، وعندما رأى صديقه الدكتور
وهبي ينظر اليه في فضول ، تظاهر بانه
يطرح السؤال عليه رغم انه سبق
ان سمع إجابته ، الا ان الدكتور توسع واضاف
الى ما قاله سابقا شيئا جديدا ، مستخدما
مصطلحا أجنبيا هو سيكولوجية الجماهير ، التي

تدخل حالة من الحماس كما يحدث في مباريات
كرة القدم حيث يقع الجميع تحت تأثير الحالة
ويصيبهم شيئا أشبه بالعدوى ، ولكن ذلك لا
يحدث من فراغ وانما لوجود سبب ، يراه
الدكتور وهبي ، فالناس في منطقة ما، ومرحلة
تاريخية ما ، يحتاجون الى الرجل
الرمز ، الذين يضعون على كاهله حمولة
ما يراودهم من أحلام وأمنيات ، وهي حالة يظن
أنها تصدق مع حالة هؤلاء الناس الذين
رآهم اليوم ، وما أبدوه من شوق وتعطش
ونهم لوجود هذا الزعيم الرمز ، انهم يريدون
ان يصنعوا له شكلا على مقاس أحلامهم ، ويجعلونه
يتمدد في الزمان والمكان الذي حولهم ، ويملأ
الفراغات التي يمكن ان يداهمهم منها
الخوف ، فلا يرون على مدى البصر الا
صورته ، لانه يمثل لهم الأمان
ورغبة في تزجية الوقت انتظارا لمجيء
الزعيم ، أصر الحبشي على مجادلة صاحبه
فيما قاله ، ذاكرا له اكثر من عشرة أسماء
لزعماء اسهموا في الجهاد وعادوا الى
الوطن قبل عودة السعداوي ، ولم يكن لهم
هذا السحر على قلوب وعقول الجماهير
مثله ، واضاف ضاحكا انه يريد ان يستشهد
بنفسه فرغم دوره كضابط شارك في الحرب
التي أجلت الطليان عن البلاد لم يجد انسيا
واحدا في انتظاره ، ليقول له شكرا على
ما بذله من جهد في تحرير البلاد ، لم يجد الا
السهام المسمومة يرشقه بها رجال مثل
محمد الجن لم يقدموا للوطن واحدا في
الألف مما قدمه ، ودون ان يهتم الدكتور وهبي

بالجزء الهازل من حديث صديقه واصل النقاش
بمنتهى الجدية والصرامة العلمية مطالبا
صاحبه بالا ينسى التوقيت ، فهو عامل
مهم صنع اللحظة التاريخية المناسبة
ويرى ان مجيء السعداوي في هذا اليوم
الذي يسبق مجيء اللجنة الرباعية الموكول
اليها الاستفتاء على مصير البلاد ، يجعله مجيئا
في اكثر اللحظات دقة وحرجا وتأزما
في التاريخ الليبي المعاصر ، ويخدم تماما فكرة
المخلص ، القادم من وراء الأفق ، لإنقاذ
الوطن ، وهو ما كان ممكنا ان لا يحدث لو
انه جاء في فترة سابقة ، أو لاحقة لهذه
اللحظة . دون اغفال شيء آخر وان عودة
السعداوي تختلف عن عودة غيره من الزعماء
بانه جاء يحمل مشروعا لليبيا المستقبل وتصورا
عمليا لانجاز هذا المشروع من خلال هيئة
تحرير ليبيا المدعومة بتاريخ طويل في مجال
النضال السياسي
وصل الضجيج ووصلت الزغاريد والهتافات
الى باب الفندق ، مما يعني ان موكب الزعيم
بشير السعداوي قد استطاع شق ذلك الطوفان
البشري ، واجتياز تلك الحشود التي تملأ
الطرقات حتى حل بالفندق
حالة أشبه بالتيار الكهربائي لمست كل من كان
موجودا بصالات الفندق ، فهبوا جميعا يتدافعون
لرؤية الزعيم وهو يجتاز عتبة الفندق ، مما جعل
عثمان الحبشي الذي تقدم كغيره ليكون في موقع
يستطيع ان يرى منه الزعيم ويكون في مقدمة
مستقبليه ، يدرك ، انه بجوار ما قاله الدكتور
وهبي عن الاحتياج النفسي للجماهير لمثل هذا

الزعيم الذي يأتي في لحظة تاريخية ما ، فان
هناك عاملا آخر يستطيع ان يتأكد منه الان
وهو يلقى أول نظرة في حياته على الزعيم
السعداوي وهو يدخل الفندق، هو هذه الهالة
من الهيبة والوقار والجمال التي تحيط به
وجه سمح ، مفرود الملامح ، عامر بالبشر
والبهاء ، وعينان كعيني الصقر يعلوهما حاجبان
كثيفان يتربعان وسط جبهة عريضة فسيحة
توحي بالشموخ والكبرياء ، ولحية بيضاء خفيفة
تحيط بالوجه كأنها طوق من نور ، وفيض
من الحنان والعاطفة والإنسانية ،يطل
من عينيه وتفصح عنه ابتسامته ، فيغمرك
إحساس بأنك تريد ان تحتضنه كأنه أبوك
او أخوك الذي طالت غيبته . هكذا رآه
الحبشي ، واحس بالشوق يهزه للتواصل معه
ومصافحته ، فوقف في الطابور الذي انتظم أمام
الزعيم لجموع المستقبلين ، حتى وصل اليه ووضع
يده في يده قائلا له انه يحمل تحيات الوالي
العقيد بلاكلي ، الذي سيأتي لزيارته في الحال
وسأله الزعيم بلهجة من لا يريد لمواطن
ليبي ان يغيب وراء أقنعة الوظيفة وتمثيل
الحاكم الأجنبي ، عن اسمه وعمن يكون ، فقال له :
ــ الرائد عثمان الحبشي ، موظف مع الوالي لشئون الأمن
وجاء بعده الدكتور وهبي الذي ذكر اسمه
ووظيفته وعبر عن ترحيبه للزعيم باسم الحزب
وسمع لغطا من المحيطين بالزعيم يتناول الحزب
فقال بصوت جهوري :
ـ الحزب حزبك ورهن إشارتك يا بشير بيك ، عليك القول
وعلينا التنفيذ .
بطرف عينه راى الكولونيل بلا كلي يتقدم مبتسما

وقد أفسح له الناس الطريق ليتجه الى السعداوي أدرك انه سمع ما قاله من كلمات أهدى فيها الحزب للسعداوي ، ورآه يرشقه بنظرة ذات معنى ، فزاغ منها ، وسارع يقدمه للزعيم السعداوي ويترجم التحية التي قالها :

ـ الكولونيل بلا كلي ، رئيس الإدارة العسكرية البريطانية ، ووالي البلاد يرحب بكم ويهنئكم بسلامة الوصول .

صافحه الزعيم وافسح له مكانا للوقوف بجواره حتى فرغ من مصافحة المستقبلين ، وجلس الاثنان يتبادلان كلمات المجاملة باللغة العربية التي يجيدها الوالي ، فلم يجد الدكتور وهبي ، الذي أراد ان يجلس قريبا منهما ، لمواصلة الترجمة ، حاجة به للبقاء ، فالتحق بصديقه الحبشي الذي انتحى مكانا قصيا يرقب منه الموقف . ومن بين الجالسين نهض شاب يرتدي الملابس الوطنية ، قال انه مدرس وعضو في الحزب الوطني ، لديه قصيدة ترحيب بالزعيم يريد إلقاءها :

جاء البشير الى البلاد بشيرا
و للغاشم المحتل جاء نذيرا

واضاف بان هذا البشير لا يحمل للمحتل الإنجليزي الا الويل والثبور ، واكمل القصيدة التي كانت مليئة بهجاء الإنجليز ، فصفق لها الحاضرون والتفتوا يبحثون عن ردود الفعل لذا الوالي الإنجليزي فوجدوه يصفق مبتسما مما أزال الحرج والتوتر الناتجان عن حماسة الشاعر الشاب ، ولم يلبث ان نهض الزعيم والقى كلمة عبر فيها عن شكره لمستقبليه وعلى رأسهم والى البلاد الذي يأمل ويثق بانه سيلقى منه التعاون الواجب لتحرير البلاد ، مستأذنا في

الانتقال لغرفته لاخذ قسط من الراحة ، راجيا ان يواصل العمل من اجل حرية الوطن مع كل القوى السياسية التي تسعى لنفس الهدف

كان مهما بالنسبة لعثمان الحبشي ان يعرف من رئيسه الوالي ، الموقف الرسمي من هيئة تحرير ليبيا وزعيمها السعداوي ، غير ما سمعه من دردشة غير رسميه حول ترحيبه بمجيئه ، ولم يختلف كلام بلاكلي الرسمي عن كلامه غير الرسمي فالسعداوي في نظر السلطات البريطانية ، زعيم معتدل يستطيع ان يعيد التوازن للموقف السياسي المحلي ، بعد ان سيطر عليه المتشددون ، التابعون لحزب الجبهة الوطنية ، كما تثق في ان خطوط التواصل والتفاهم مفتوحة بينها وبين هذا الزعيم ، من اجل إنجاز الاستقلال وضمان استمرار الصداقة بعد انتهاء الوصاية البريطانية خاصة وان السعداوي يبدي موقفا مؤيدا ومناصرا للأمير السنوسي في برقه ، وله استعداد طيب للتفاهم معه واعتباره الرجل الذي يمكن ان تتوحد ليبيا تحت رايته بأجزائها الثلاثة

وصار واضحا لدى الحبشي ان موقف السلطة العسكرية البريطانية من الزعيم السعداوي هو موقف التأييد والمؤازرة ، وفي اليوم التالي جاء بشير السعداوي الى قصر الولاية يرد الزيارة للوالي ، ويظهر للرأي العام الطرابلسي ، الذي مازال يحيطه بمظاهر الترحيب والاحتفاء ، انه على علاقة وفاق وتفاهم مع حكومة الولاية ورئيسها بلاكلي ، وحرص الوالي على الخروج لاستقباله امام الباب الرئيسي لقصر الولا ية ، والاجتماع به وبصحبته كل مدراء الإدارات ، في اكبر صالة للاجتماعات ، وتولى

عثمان الحبشي تسجيل محضر الاجتماع ، الذي
استهله الوالي ، بأمله في ان تكون إدارته عامل
عون ومساعدة لابناء الشعب الليبي على اجتياز
هذه المرحلة الحرجة من سنوات طويلة من الاحتلال
الى الانضمام للعالم الحر ، وعبر عن تطلعه لمزيد
من التعاون مع هيئة تحرير ليبيا ورئيسها الزعيم
بشير السعداوي ، الذي رد على تحية الوالي ، وانتقل
مباشرة الى الجوانب العملية ، فهو يعلم ان العمل
السياسي تحت الإدارة العسكرية يحتاج الى تراخيص
وهو سيسعى الى تأسيس حزب ، وتحديد
مقر لهذا الحزب ، وفروع له يختار مقراتها
من بين الأبنية التي جاء يعرضها عليه كثير
من أصحاب العقارات تطوعا وتأييدا للعمل
الوطني ، ورغم انه مازال يحمل صفة رئيس
هيئة تحرير ليبيا ، الا ان الهيئة ستتحول الى
حزب ، بعد ان أدت مهمتها في استنفار
الليبيين المهاجرين والتوعية بقضيتهم
في الخارج ، اما الان فان العمل السياسي
يحتاج الى شكل آخر وبناء جديد ، فرد عليه
الوالي بان الإدارة العسكرية أباحت حرية العمل
السياسي وتكوين الأحزاب واللقاءات والاجتماعات م
نذ ان باشرت مهمتها في طرابلس ، وجعلت
حرية النشر والقول والتعبير والتفكير مكفولة
للجميع ، ولذلك فالإدارة ستقوم بتزويده
بكل ما يحتاجه من تراخيص لتسهيل مهمته
واداء رسالته نحو أبناء شعبه دون تأخير
ولم تمض سوى عدة أيام حتى أعلن بشير السعداوي
عن مؤتمر عام للقوى السياسية بسينما الحمراء
دعا اليه رؤساء الأحزاب وشخصيات سياسية
مستقلة وعدد من الصحفيين ورؤساء الأندية

والجمعيات المهنية ومدراء المصالح الحكومية
وحضر الدكتور وهبي عن حزب المستقبل
والحرية ، وعثمان الحبشي كأحد الشخصيات
العامة ، ولم يكن على جدول عمال المؤتمر
غير بند واحد هو ، البرنامج السياسي الوطني
المواكب لزيارة الوفد الدولي الموجود حاليا في
البلاد ، والمبعوث من هيئة الامم المتحدة وباعضاء
يمثلون القوى الأربعة الكبرى
وهي بريطانيا وفرنسا وأمريكا وروسيا
لاستقصاء الحقائق عن اتجاهات الرأي العام
الليبي حول تقرير المصير ، وخطة هذه الأحزاب
للوصول الى المواطنين وتوعيتهم بما يجب
قوله لأعضاء اللجنة الرباعية ، بما يخدم قضية
الاستقلال ، وقد صاغت هيئة تحرير ليبيا الإجابة
التي ستطلب من مواطني الشعب الليبي تبليغها
للجنة ، وهي " الوحدة ، والاستقلال ، والانضمام
الى الجامعة العربية " والمقصود بكلمة الوحدة
الواردة في هذه الإجابة هي وحدة التراب الليبي
بأقاليمه الثلاثة التي تطالب بعض الدول
الاستعمارية بتقسيمها وهي طرابلس وبرقة وفزان
وقد استحسن الحاضرون جميعا هذه الإجابة
ووافقوا على ان تكون هي الإجابة المعتمدة
من كل الاحزاب والهيئات السياسية التي
يتم تقديمها لكل المواطنين في كل مناطق البلاد
لكي لا تسمع لجنة اللجنة الرباعية مطلبا آخر
غير هذه المطالب الثلاثة المحددة . وبعد الانتهاء
من دراسة أساليب التعبئة الشعبية المطلوبة
طرح الشيخ المحمودي ، رئيس الحزب الوطني
موضوعا جديدا عن انقسام القوى الوطنية
الذي لا يخدم قضية الاستقلال ، ورآى في وجود

زعامة سياسية تاريخية مثل بشير السعداوي
فرصة للالتحام ورص الصفوف وتوحيد الجهود
والقوى في حزب كبير يعبر عن التيار العام
لجميع الليبيين ويجعل الهدف الأساسي له
تحقيق الاستقلال ، وقال بأنه سيبدأ بنفسه
وبالحزب الذي يتولى رئاسته ، وقد اتخذ
هو و زملاؤه قرارا بحل الحزب ودمجه في هيئة
تحرير ليبيا تحت زعامة رئيس الهيئة
فقام الزعيم السعداوي ، وقال بان هيئة تحرير ليبيا
أدت مهمتها ، وستتحول منذ اليوم الى حزب
واثنى على حديث الشيخ المحمودي ، وقال بانه
يرحب بان يكون شريكا في تأسيس حزب
تتوحد فيه جهود المناضلين السياسيين في هذه
المرحلة المفصلية في تاريخ الوطن
ويقترح ان يسمى باسم " المؤتمر الوطني"
تيمنا وتفاؤلا بانعقاد هذا المؤتمر الذي سيكون
تدشينا لعهد جديد على طريق وحرية واستقلال
ووحدة ليبيا ، وتقدم للحديث عدد من رؤساء
الأحزاب الصغيرة ، بعضهم جاء من خارج
طرابلس ، من مصراته والزاوية وغريان ، يرحبون
بفكرة ان تتحول أحزابهم الى فروع لحزب
المؤتمر الوطني ، ووجد عثمان الحبشي
صديقه الدكتور وهبي الذي كان جالسا بجواره
يرفع يده طالبا الإذن بالكلام ، فسأله عما يريد
ان يقوله ، فاجابه بانه كان أول من تقدم
للزعيم السعداوي عارضا عليه ان يكون
حزب الحرية والمستقبل حزبه ، وطالما
بدأت أحزاب أخرى في تشكيل حزب واحد
برئاسته ، فانه لن يتأخر في الوفاء بوعد
الانضمام للحزب الجديد الذي يقوده بشير

السعداوي . حذره الحبشي من خطورة هذا القرار لانه لا يملك حق ان يتصرف في الحزب بهذه الطريقة ، ولا أحد يستطيع ان يتخذ قرارا بحل الحزب غير المؤتمر العام للحزب الذي قرر إنشاءه ، وهناك شخص في الدولة كان وراء تأسيسه ودفع من ميزانية إدارته كل فلس أنفقه الحزب ، هو الوالي الذي يجب الا يتخذ قرار كهذا في غيابه ، ولا بد ان يكون هذا الأمر سببا في غضبه الذي يمكن ان يسفر عن طردهما من الخدمة ، الا ان الدكتور وهبي أصر على رأيه ، قائلا أبانه سيتحمل وحده نتيجة هذا العمل وجاء الإذن للدكتور وهبي بالكلام ، فنهض وسار بثقة وكبرياء آلي المنصة ، وجلس بمحاذاة السعداوي وأمامه ناقل الصوت ليقول بانه يشرف بان يحضر هذا المؤتمر باسم حزب المستقبل والحرية ، الذي كان موضع إشاعات كثيرة تتهمه بالعمالة لسلطة الانتداب ، ومقالات كثيرة تحمل معاني التجريح لقياداته ، ولكي يثبت للجميع بانه حزب وطني الاتجاه والدوافع ، وان قياداته تعمل بوحي من ضميرها الوطني ، ولا تبحث عن جاه أو نفوذ ، فهو يعلن اليوم ان حزبه سيكون في مقدمة الأحزاب التي ترحب بالاندماج في حزب المؤتمر بقيادة الزعيم السعداوي ، ويضع كل إمكانياته تحت تصرف الحزب الجديد ، واثقا من ان جماهير حزبه ستكون سعيدة غاية السعادة بمواصلة النضال الوطني تحت راية وقيادة بشير بيك السعداوي وان المؤتمر العام للحزب سيوافق دون تأخير على هذا الانضمام . وفي إشارة رمزية لجدية ما كان يقوله ، وقف واخرج من جيبه

رزمة مفاتيح ، فرز من بينها مفتاحا ، قال انه
المفتاح الرئيسي لباب الحزب ، وقدمه
بانحناءة تحمل معاني الإجلال والاحترام
الى الزعيم الجالس بجواره
فعل الدكتور وهبي ذلك ، وسط دهشة
الحاضرين الذين لم يكن يراودهم أدنى شك
في علاقة الحزب بالإدارة العسكرية ، فوقفوا جميعهم
يصفقون لشجاعة وجرأة الدكتور وهبي ، واثقين
ان ضميره الوطني انتصر أخيرا على ولائه
الوظيفي . وبحنكته السياسية وقف الزعيم
السعداوي يشكر رؤساء الأحزاب الذين تفضلوا
بالإعلان عن انضمام أحزابهم للحزب الجديد
قائلا بانه واثق من ان قوة سياسية قد ولدت اليوم
هي حزب المؤتمر الوطني الذي سيكون
صوت الشعب واداته للتحرير ، الا ان الاعلان
الرسمي لتأسيس هذا الحزب سيتم في مؤتمر
قادم يعقد بعد ايام قليلة لن يكون قاصرا
على القيادات فقط وانما على الكوادر والاعضاء
الناشطين لكل هذه الأحزاب ، ليكون القرار قرار
الجميع ، وقد تلقى لتوه دعوة من مدينة
مسلاته لاحتضان هذا المؤتمر التأسيسي وتهيئة
المكان الذي يسع الجميع واقامة وليمة لاطعامهم
سحب عثمان الحبشي صديقه وخرج به
الى الشارع ، يريد ان يفهم منه دوافعه وراء
هذا السلوك المتهور ، الذي يحمل حكما
بالموت على حزب له حضور فاعل في الحياة
السياسية ، دون تمهيد او تهيئة ، وهو الحزب
الذي تضع عليه الادارة العسكرية آمالا كبارا
تتصل بخططها المستقبلية ، فقال له الدكتور
وهبي بعناد ، انه فعل ذلك عامدا لكي يقتل

هذه الآمال والخطط المستقبلية للإدارة البريطانية ويحرمها من أداة يمكن ان تستخدمها في ارتهان البلاد ، لانه لا يرى تطابقا بين المستقبل الذي يريده الوطن ، وذلك الذي يريده له المحتلون ، واثقا بانه رغم وجود تلك الفرصة للتراجع التي اتاحها كلام الزعيم السعداوي ، فان الوالي لن يستطيع نقض ما فعله ، او الرجوع عن قرار إدماج الحزب في حزب المؤتمر ، لانه عندئذ سيفضح نفسه وسيظهر مكشوفا أمام الناس ، وسأله الحبشي ان يواصل نوبة الشجاعة هذه ، ويأتي ليواجه معه رد الفعل الذي سيصدر عن الوالي لدى سماعه بهذا الخبر ، فلم يمانع وذهب معه مباشرة من مسرح الهمبرا الى قصر الولاية وكانت دهشة عثمان الحبشي كبيرة وهو يجد ان الوالي لا يغضب ولا يثور لدى سماعه بما حدث ، بل بالعكس من ذلك يبارك ما فعله الدكتور وهبي ويعتبره فكرة عبقرية ، تجعل حزب المستقبل والحرية يذوب وينصهر في التيار الأساسي للعمل السياسي الشعبي ويصبح جزءا حقيقيا من جسم الحركة الوطنية بدلا من ان يبقى حزبا مدموغا بالولاء للإدارة العسكرية البريطانية ، على هامش التيار الوطني ، قد يستقطب حلقات المنتفعين بعض الوقت ، الا انهم في لحظات الحسم والقرار سوف يهربون ويختفون ، فهو مهما بدا بناء شامخا من الخارج ، الا انه في حقيقته بناء هش قابل للانهيار والزوال في اية لحظة ، الا ان زواله بهذه الطريقة ، يمنحه ولادة جديدة في رحمل العمل الوطني الشعبي الحقيقي ، وستصبح أفكاره جزءا من حزب المؤتمر الجديد وعناصره ايضا

سيصبحون قيادات في حزب المؤتمر ، الذي سيكون حزب الأمة بلا منازع . وكان عثمان الحبشي وهو يستمع لكلام الوالي ويراه يصافح الدكتور وهبي مهنئا له على ما يتمتع به من روح الابتكار والمبادرة ، ينظر لهما متسائلا عما إذا كان هناك اتفاق مسبق بين الاثنين على اتخاذ مثل هذا القرار، الا ان الدكتور وهبي كان ينفي ان يكون قد شاور أي إنسان في هذا القرار ، الذي كان وليد تلك اللحظة التي سبقت وقوفه على المسرح ونقله الى الناس . وواصل الوالي حديثه قائلا بان ظهور زعيم مثل بشير السعداوي يجعله مطمئنا الى مستقبل التعاون الليبي البريطاني ، مرتاحا لعمق العلاقة الشخصية التي تجمع بين السعداوي وبين المارشال كلايتون ، منبها الحبشي والدكتور وهبي ان الانضمام بحزبهم الى حزب المؤتمر يفرض عليهم التزامات خطيرة وهي مواصلة خط الحزب داخل حزب المؤتمر والانتصار لأفكاره في توثيق العلاقات بينه وبين الإدارة وتعميق أسس التعاون المستقبلي بين بريطانيا وليبيا ، والا ضاع الهدف من مثل هذا الاندماج بين الحزبين . ورغم هذه الأفكار التي طرحها الوالي راجيا منها تسخير حزب المؤتمر لمصالح إدارته وبلاده ، فان الدكتور وهبي بدا سعيدا بما فعل ، وبما وجده من ثناء وتشجيع لدى الوالي ، ولكن عثمان الحبشي خرج من مكتب الوالي يحمل حيرته معه ، غير قادر على استيعاب ما حدث ، الا إذا كان السعداوي يبطن من الولاء للإنجليز اكثر مما يظهر ، ولم يكن أمامه الا

الدكتور وهبي ينقل له حيرته ويفصح له عن هواجسه
قائلا بانه كان يتصور بان للإدارة العسكرية
البريطانية أهدافا أخرى من حزب المستقبل
والحرية ، لا يمكن ان تلتقي مع الخط الوطني
لزعيم شعبي مثل بشير السعداوي ، وطالما
التقت فان لاي إنسان الحق في ان يشك ب
وجود كرة طائرة فوق الرؤوس يلعبها
القادة الكبار ، ويتساءل عما إذا كان السعداوي
نفسه صنيعة الإنجليز وعما إذا كان كلايتون لم
يأت به الا لتنفيذ مخطط سياسي ، وضعته الدولة
البريطانية على مستوى حكومتها الكبيرة
في لندن ، وهو مخطط قوي ويحمل دهاء
وخبت الإمبراطورية التي لا تغرب عنها
الشمس ، واكبر من ان يتولى تنفيذه موظفون
محليون مثلهما ، وانما شخصيات كبيرة ترفل
في حلل التاريخ النضالي ذات الهيبة الجلال
الا ان الدكتور وهبي أبى ان يمضى معه في هذا
التشكيك الواضح في شخصية السعداوي ، لان
سجله النضالي سابق لاي اهتمام بريطاني
بالبلاد ، فقد كان من مجاهدي المرحلة الأولى
التي واجهت أول موجات الغزو عام ١٩١١ ، الذين
ركبوا الجياد وحملوا البنادق يواجهون بها الالة الحربية
الايطالية الحديثه ويوقفون زحفها
وكان عضوا بارزا في مرحلة النضال السياسي
وتأسيس الجمهورية الطربلسية خلال مرحلة
الهدنة التي سبقت استيلاء النظام الفاشي على
السلطة في روما ، وعندما انتهت المقاومة
المسلحة ، قاد العمل السياسي في المهجر
حتى هذا اليوم ، فمن أين يأتي الشك في تاريخ
وسلوك هذا الرجل

أحزنه اختفاء الحزب بهذه الصورة لانه يفقد باختفائه
الأداة التي أعدها ليواجه بها محمد الجن
وادواته الحزبية السياسية ، واحزنه اكثر انه لن
يكون له مكان في الحزب الجديد ، بعكس
الدكتور وهبي الذي ضمن لنفسه مركزا لن يقل
عن مركز مساعد رئيس الحزب ، وهي بلاشك
صفقة رابحة ، باع بها منصبا صوريا
في حزب يتبع بلاكلي ، بمنصب حقيقي في حزب
شعبي كبير، بل هو الحزب الأكبر في البلاد
الذي سيرث الحكم ويقود الدولة الجديدة الوليدة
لقد ضاعت مع ضياع الحزب كل الجهود التي
بذلها الحبشي من اجل ان يجد كيانا سياسيا
يحتمي به ويؤمن به مكانة لنفسه في دولة
ما بعد الاستقلال . ووسط كل الغيوم التي أحاطت
بتأسيس حزب المستقبل والحرية ونسبته للحاكم
الإنجليزي، فقد كان مؤمنا في قرارة نفسه بانه حزبه
هو ، الذي سيرث في مستقبل الأيام إدارته وصنع
القرار فيه ، والذي سيكون حصنا يحتمي فيه
من سهام أعدائه السياسيين ،اما الان، فهو في
العراء ، لا يعرف كيف سيكون مصيره في مرحلة
التحول والتغيير التي ستشهدها البلاد قريبا ، شيء
واحد يراه إيجابيا في كل ما حدث ، هو ان الحزب
الجديد سحب البساط تماما من تحت أقدام
محمد الجن ، وازال ما كان له من نفوذ على
عقول الناس وقلوبهم ، واضحى حال حزبه
مثل حال أحزاب أخرى لم تستجب لنداء الانضمام
لحزب المؤتمر ، فظلت مجرد نقاط باهتة على هامش
الحزب الذي فرد جناحيه مشرقا ومغربا ، وهرعت
الجماهير تعلن انتماءها له وولاءها لزعيمه
وانضواءها تحت لوائه

اعتمدت اللجنة الرباعية أسلوب المقابلات الشخصية للمواطنين وبدأت بالمناطق النائية في فزان فكانت تستقبل الناس لدى مديري النواحي وتسألهم أسئلة مباشرة عما يطلبونه من الأمم المتحدة ، فكان ردهم حتى في تلك المناطق المعزولة هو نفس الرد الذي أجمعت عليه الأحزاب السياسية في طرابلس وهو " الوحدة، والاستقلال والانضمام الى الجامعة العربية " .

وعقد السعداوي مؤتمر مسلاته ، لاشهار حزب المؤتمر ، واصبح مقر حزب المستقبل والحرية فرعا من فروعه ، عهد السعداوي بإدارته لمساعده الدكتور وهبي ، الذي حافظ على طابعه المتحرر ، وابقى على عماله وموظفيه ، وازداد تركيزه على الجانب الثقافي ، فكان يدعو أحد الصحفيين او الشعراء او الأساتذة ليقدم محاضرة او أمسية شعرية ، مرتين كل أسبوع، كما اقنع السعداوي بان يكون الفرع واسطة تواصل واتصال بين الحزب والجاليات الأجنبية فكان يدعو أساتذة إيطاليين ومالطيين ويهود للمشاركة في الموسم الثقافي كما يدعو أفرادا من الجاليات لحضور هذا الموسم ، بل ان الزعيم امر بفتح عضوية الحزب في هذا الفرع لمن يرغب في الانضمام اليه من قاطني طرابلس من غير الليبيين ، فصار الفرع مكانا يؤمونه بعائلاتهم ويقضون أوقات فراغهم فيه ، كما واصل عثمان الحبشي قضاء بعض أمسياته في مقر الحزب دون ان تكون له علاقة بإدارته اوالمشاركه في التخطيط لبرامجه كما كان يفعل مع الحزب القديم ، فهو يستخدمه للقاء الأصدقاء ومزاولة لعبة التنس. وحاول

صديقه انور ، ان يجره لممارسة العمل التجاري في أوقات فراغه ، الا انه بقى نافرا من مثل هذا العمل ، تاركا له وحده مهمة إدارة الشركة التي يشتركان في ملكيتها ، مكتفيا بتقديم المساعدة عندما تطلب منه . ولم يجد أي عزاء في ان صحيفة سرية يصدرها محمد الجن وهي تلك التي جعلت من الهجوم عليه ملمحا ثابتا من ملامحها ، نشرت اخيرا مقالا انتقاديا عن الزعيم السعداوي ، أشارت فيه الى ضرورة ان يحافظ شخص مثله على تاريخه النضالي ، فلا يسمح للاستعمار الإنجليزي ان يستغل شيخوخته وطيبته ، وجهله بالواقع السياسي الليبي داخل البلاد التي غاب عنها ربع قرن ، ويستخدمه في حربه ضد القوى الوطنية التقدمية ، لانها ترى ان جلبه من المملكة العربية السعودية ومساعدته في تأسيس حزب المؤتمر ، كان مناورة استعمارية مفضوحة لمحاربة حزب الجبهة الوطنية ، بعد ان سيطر على العمل السياسي داخل البلاد وصار يمثل خطرا داهما على التوجهات الاستعمارية البريطانية التي تريد العبث بمقدرات ليبيا وتسخيرها لصالحها وتمديد الوصاية البريطانية عليها لمدة عشر سنوات قادمة ، بحجة انها فترة ضرورية لتأهيل أبناء الوطن لاستلام مقدراتهم وأكدت صحيفة محمد الجن ان شرط الانجليز علي السعداوي ، قبل جلبه للمعترك السياسي الداخلي ، هو الموافقة على هذا المخطط الذي عرضه عليه الماريشال كلايتون

بدا الامر غامضا على ذهن عثمان الحبشي ولم يجد فيه مصدرا للفرح ، فهو رغم

خدمته مع الإدارة البريطانية ، لا يكره ان يرى
زعيما وطنيا قويا شريفا قادرا على قيادة الشعب
وتمكينه من فرض أرادته على القوى الأجنبية
وإنجاز استقلال حقيقي للبلاد ، وكل ما يتمناه ان
تكون مقالات الجن عن هذا الاتفاق بين
الزعيم السعداوي والإنجليز ، مجرد افتراءات
مصدرها الغيرة والمرارة وضياع الهيبة
والنفوذ ، ولكن ماذا عن كلام الوالي عن التعاون
المشترك بين الزعيم والإنجليز ، وماهي حدود
هذا التعاون ، فهو كلام يحمل اكثر من تفسير
ولن يجد وسيلة يتأكد فيها مما يحدث
وراء الستار ، الا عن طريق هذه الأطراف
الأجنبية التي تعرف خبايا السياسة الدولية
كما تجيد مراقبة الأحداث المحلية وتوظيفها
لخدمة مصالحها ، فكيف ينظر الإيطاليون مثلا
بمن فيهم أصحاب النظرة الاستعمارية
التقليدية ، للزعيم السعداوي ، هل يحبونه
أم يكرهونه ؟ وهل يرونه زعيما مستقلا
أم صنيعة من صنائع الإنجليز ؟ انه يستطيع
ان يستفيد من علاقاته الطيبة ببعضهم ، ويفهم
الكثير من خلال تقييمهم للزعيم الليبي
وبعد ان لعب شوطا من أشواط كرة التنس ، غادر
فرع الحزب ، واتجه يقطع الطريق الذي يمر عبر
حديقة البلدية ، بموازاة البحر ، في الطريق الى
النادي الإيطالي ، حيث يعرف ان لايزابيلا دواما
رسميا في النادي خلال الفترة المسائية ، وكان
جاهزا بقول الكلمات التي تفرحها ، والتي مضى
يعيد ترتيبها في ذهنه خلال مسيرته عبر
الحديقة ، فهو ما جاء الى النادي هذا المساء الا
لان الشوق دفعه دفعا اليها ،لانه لم يستطع ان يصبر

على فراقها ، واستمر يغمرها بكلمات الغزل وهو
يجلس معها في حديقة النادي تحت شجرة
تضيئها مصابيح ملونه ، يتناول معها طبقه
المفضل ، الذي يجيد إعداده طاهي النادي ، وهو المكرونة
بفواكه البحر ، وقد منحتها الأضواء الملونة
المنعكسة على ملامح وجهها وكراديس شعرها
الاشقر والجزء العاري من كتفيها والثوب الازرق
اللامع المنسدل على باقي الجسم ، شكلا أشبه
بسمكات الزينة الملونة في أحواض الماء
وانتقل الحديث من الغزل الى أهم أحداث الساعة
وهو الاستفتاء الذي تجريه اللجنة الرباعية
مع أفراد الشعب الليبي حول تقرير المصير
وكان الإيطاليون متفائلون بان عددا كبيرا من
الليبيين سيطالبون بالوصاية الإيطالية ، لان
رجلا من أبناء الجالية اسمه مالوتسي ، أنشأت
له الحكومة الإيطالية مكتبا أسمته رعاية
المصالح الإيطالية في ليبيا ، ومنحته أموالا
أقام بها سرادقات كبيرة في منطقة سيدي المصري
وجاء بطهاة إيطاليين ، يقدمون الأطعمة مجانا
لسكان طرابلس مصحوبة بأوراق الدعاية
التي تقول بان إيطاليا ستواصل إطعام المواطنين
الليبيين واقامة الموائد المجانية لهم إذا طالبوا
بوصاية إيطاليا على طرابلس ، وانه من خلال
الاقبال الكبير على موائده ، ترى ايزابيلا
ويشاركها الرأي أصحابها ، ان المطالبة بعودة
إيطاليا تحظى بتأييد كبير لدى جموع الفقراء
من أهل المدينة . كان عثمان الحبشي قد عرف
بأمر هذه الموائد ، التي يقيمها المندوب الإيطالي
بأسماء ليبيين لكي يتفادى اخذ تراخيص بإقامتها
وكان يغمض عليها العين ، لانه يعرف

ان الفقراء والجياع يحتاجونها ، وانهم سيأكلون طعام الحكومة الإيطالية دون ان يكونوا مرغمين على الوفاء بوعد المطالبة بوصايتها على بلادهم وعندما جاء ذكر السعداوي ، ورأي أصدقاء ايزابيلا فيه ، قالت بان لديهم قناعة بانه بعد فشل الاتفاق على تقسيم البلاد بينهم وبين كل من بريطانيا وفرنسا ، رأى الإنجليز ان من حقهم الاستفراد بالغنيمة ، وكما عقدوا اتفاقا في شرق البلاد مع الأمير السنوسي ، عقدوا في الغرب اتفاقا بنفس الشروط مع الزعيم الطرابلسي

اراح عثمان الحبشي ، ان يرى الإيطاليون يضعون الزعيم السعداوي ، والأمير السنوسي في كفة واحدة ، ويجد ان رؤيتهم هذه اقرب الى عقله وقلبه وتجعل ثقته في السعداوي توازي مشاعر الثقة والولاء التي ظل يحملها دائما للأمير

لم تشأ ايزابيلا ان تخلق مشهدا يتحدث عنه هواة النميمة من أعضاء النادي إذا خرجت بصحبته أمامهم ، فاتفقت معه على ان يعود الى بيته ، وستلحق به بعد انتهاء عملها بالنادي ، لتقضي معه بقية الليل

في الصباح وجدت ايزابيلا ، فوق أحد الأرفف في بيت الحبشي ، صورة للمرأة التي رشحتها له أمه للزواج ، وسألته عنها مبدية شديد إعجابها بجمالها الشرقي الطبيعي الذي لا تخالطه اية مسحة من التصنع . فاخبرها بالحقيقة قائلا بانه رآى المرأة بشكل سريع ووجد انها اكثر جمالا من الصورة

ـ وماذا تنتظر ، لماذا لا تتزوجها ؟

ـ هل حقا تنصحين بذلك؟

ـ لعلك لا تعلم ان الزيجات التي تتم بشكل تقليدي تسجل نجاحا كثر من زيجات عصرية تتم عن طريق الحب .
ـ لا ادري ان كان ما يسمونه نجاحا ، هو حقا نجاح ، او بقاء حياة زوجية دون طلاق معناه حقا حياة زوجية سعيدة .
ـ دعك من هذا الكلام ، ولا تترك هذه المرأة تفلت منك إذا كنت حقا تريد ان تتزوج.
ـ وماذا عنك انت ؟ الا تفكرين في الزواج ؟
ـ لا تقل لي انني أقع ضمن أي مخطط تقوم باعداده للزواج ، فانا لست كذلك ، وقد اخترت شعارات الحركة الوطنية الليبية لتكون شعاراتي في الحياة ، وهي الوحدة والاستقلال .
ـ والانضمام للجامعة العربية ، ما رأيك ؟
ـ لا انضمام الا لنفسي ، ولا سيطرة لاي رجل على حياتي .
ـ ولماذا لا تسيطرين انت على حياته ؟
ـ لا تظن ان الزوج الإيطالي يختلف كثيرا عن الزوج الليبي ، في الشكل الخارجي ربما ، اما الجوهر فـــــان عقـــــدة التفـــــوق الذكوريـــــة واحـــــدة.
ـ ما يعجبني شخصيا هو عقدة التفوق الأنثوية .
ـ تعجبك من اجل ان تتفوق عليها وتحصل على لذة اكبر .
ـ الا يقولون ان الحب يجعل من الاثنين ،الرجل والمرأة كيانا واحدا .
ـ في الخيال ، ممكن ، أما في الواقع فان لكل إنسان كيانه المستقل .
ـ وماذا عن الحب ؟
ـ الحب يقرب المسافات ولا يلغي الفروق ، ولذلك فأنا مع الحب والحرية ، لا الحب والزواج .
ـ يحيا الحب ، ويسقط الزواج .
أخذت شنطة يدها واتجهت نحو باب الخروج وهي تغني:

ـ سأنطلق في الحياة
حرة مثل جياد الريح
نعم ، نعم ، حرة مثل جياد الريح .
وجد عندما وصل الى المكتب ، العنوان الرئيسي لصحيفة الأخبار يحمل فتوى دينيه صادرة من مجلس علماء الأزهر ، تقضي بتحريم ان يسعى أي إنسان مسلم لجلب دولة أجنبية غير إسلامية لتحكم بلاده الإسلامية ، واعتباره كافرا ، خارجا من الملة المحمدية ، يجب تفريقه من زوجته المسلمة ، وحرمانه عندما يموت من الصلاة على جثمانه ، او دفنه في مقابر المسلمين
وقد بدا واضحا من هذه الفتوى انها جاءت لإبطال المخطط الذي تعمل الحكومة الإيطالية على تنفيذه في البلاد بموائدها في سيدي المصري واغرائها للجياع والمعوزين ، بمساندتها في مسعاها للسيطرة على ليبيا مرة أخرى
لقد جاء قرار الفتوى ضربة قوية لاطماع إيطاليا عرف كيف يسددها أولئك السياسيون الذي ذهبوا الى الأزهر ، وانتزعوا منه هذه الفتوى ، ذات الصياغة القوية الجازمة الحازمة في تكفير كل من يستجيب لاغرءات السينيور مالوتسي ، وترسل الفزع في قلب من أكل على موائده ووعده بالتصويت له أمام لجنة تقصي الحقائق، ولن يجرؤ أحد بعد هذه الفتوى على نطق كلمة واحدة لصالح إيطاليا أمام اللجنة الدولية الزائرة
ولكن ماذا عن الوصاية البريطاني ؟ انها قائمة دون ان يطلبها احد ، وبريطانيا دخلت البلاد دون ان تأخذ إذنا من احد ، فهي موجودة كأمر واقع بسبب انتصارها في الحرب ، وهزيمة

جيش المحور تحت ضربات مونتي ، الذي
زحف بجيشه على برقة وطرابلس واعطى لنفسه
حق الوصاية على الإقليمين ، التي قد تتواصل
دون استفتاء ، او برغم نتائج الاستفتاء التي
ستكون لصالح الاستقلال ، فالاستقلال كما تراه
القوى الدولية ، سيأتي في نهاية المطاف
ولكن ليس بالضرورة الان ، وعشر سنوات
لتأهيل البلاد واعداد اهلها لقيادة أنفسهم
لن تكون في حسابهم زمنا طويلا ، فهل يوافق
الزعيم السعداوي على ذلك، ام هو حقا جاء
بموجب اتفاق سري معهم حول هذا
الترتيب ؟ وكيف تراه سيقدمه الى جماهير
حزب المؤتمر التي آمنت بانه رسول الحرية
والخلاص ، وكيف سيجد صيغة لفهم وتفسير
هذه الفتوى التي ترى الموافقة على حكم
الأجنبي كفرا وخروجا على ملة محمد بن عبد الله
وتقضي بإعلان الجهاد ضد الأجنبي إذا أراد
فرض وجوده بالقوة
لم تمض غير أيام قليلة حتى عادت اللجنة الرباعية
الى طرابلس بعد ان أنهت مهمتها في فزان
ورغم النتيجة التي تؤكد ان دعاية الحزب وصلت
الى كل أنحاء البلاد ، فان نشاط الحزب في نشر
دعواه ، ازداد نشاطا مع وصول اللجنة ، متجاوزا
حدود المدينة الى مختلف مناطق الريف ، لكي
لا يمشي احد وراء الدعاية التي تقول بان ليبيا بلد
معدم فقير ، لا يقدر على تسيير نفسه ، او الإنفاق
على أجهزته الأمنية والعسكرية والإدارية
ويحتاج الى دولة غنية تتكفل بإطعام الناس
وتوفير العمل لهم واستصلاح اراضيهم وتزويدهم
بالأمن والحماية ، هي إيطاليا ، وإذا كانت

الفتوى القادمة من الأزهر قد تكفلت بردع
أهل المدينة عن المضي في هذا الاتجاه
فان دعاية حزب المؤتمر أكملت المهمة
ونقلت لكل مواطن في المدينة والأرياف
الجملة التي يجب أن يقولها عند وقوفه
أمام أعضاء اللجنة
وفي أوج انشغال الناس بالاستفتاء ، وحزب
المؤتمر ، تم انعقاد المحكمة ، التي مثل أمامها
كل المتهمين بارتكاب جرائم الفتنة ضد
اليهود ، ورغم تشدد المحكمة وصرامة
أحكامها ، فانها لم تصدر أحكاما بالإعدام على
أحد من هؤلاء المتهمين ، خوف ان يثير مثل
هذا الحكم غضب الناس ويسهم في إشعال فتنة
جديدة ، بدلا من معالجة نتائج الأولى . انعقدت
المحكمة ، وانتهت دون ان تثير اهتمام أحد
عدا حزب الجبهة الوطنية ، الذي اعتبر ان الأحكام
بنيت على اعترافات باطلة ، انتزعت بالقوة
من أفواه المتهمين ، واغلبهم من اتباع الجبهة
ووضعت الإثم كله فوق كاهل عثمان
الحبشي ، الذي يتحمل مسئولية كل ما يحدث
من تعذيب في السجون التي تتبع أدارته
ولم يكتف الحزب بالهجوم عليه في النشرات
السرية ، وانما في الجريدة العلنية ، جريدة
اللواء الجديد ، هجوما كاسحا باسمه الصريح
وبتوقيع محمد الجن ، يطلب فيه بفتح تحقيق
معه وتقديمه للقضاء ، كما اعاد في هذه المقالة
فتح ملف السجين القتيل حسن سعدون الذي
يسميه شهيد الوطن ، قائلا بان دمه ينادي
الأحرار بالثار له ، ان لم تأخذ السلطات الحاكمة
الحق له من قاتله عثمان الحبشي ، حتى بدا

تحريضا علنيا وصريحا على قتله . اما في الصحيفة السرية فقد درج محمد الجن على كتابة باب ثابت اسمه حديث الفضيحة ، يعلوه رسم ساخر لملامح الحبشي ، على شكل إبليس في التصاوير الدينية ، يتحدث فيه عن الانتهاكات التي يرتكبها الحبشي في عمله الأمني والإداري والسياسي ، ويطعن في ذمته المالية ، واستغلال الوظيفة في إنشاء علاقات نسائية
ويدعي ان له علاقات مشبوهة بشخصيات يهودية وإيطالية ، وله معاملات مالية معها ، وخدمات يقدمها لهذه الشخصيات مقابل منافع مادية يتقاضاها منها

<u>محمد الجن</u>
كان غيظه مما يكتبه الجن عنه ، لا يماثله الا غيظ شوقي سعيد الضابط الذي استورده بلا كلي من المشرق ليجعله رئيسا للسجن ، والذي يرد اسمه في صحف الجن ، متلازما مع اسم الحبشي كلما جاء ذكر القمع الذي يتعرض له المناضلون ، والتعذيب الذي يمارس ضد المساجين السياسيين في السجن ، وكان شوقي سعيد كلما التقى بالحبشي ، طلب منه ان يساعده في تحقيقه امنيته بإدخال محمد الجن الى السجن ليوم واحد فقط ، لانه خلال هذا اليوم ، سيريه من الأهوال ما يجعله يصمت بقية حياته عن الكلام ـ أليس من حقنا ان نقدم له مثالا على صدق كلامه . فلا يبقى مجرد كلام في الهواء.
وكان دائما يذكر في حديثه سجانا اسمه أبو نابين لان له نابين بارزين مثل الثعابين ، وله شهية

مفتوحة للضرب المصحوب بالدم ، فلا يتوقف
عن ضرب السجين الذي بين يديه حتى يراه
مغميا عليه
ويعبر الحبشي عن اشمئزازه من مثل هذا الرجل قائلا :
ـ معنى ذلك انه رجل مريض ، أليس كذلك؟
ـ انه يبقى مريضا عندما لا يجد أحدا يضربه .
ـ وهل لابد ان يأتيه محمد الجن الى داخل السجن
ليضربه ، الا يستطيع ان يذهب اليه ويضربه
خارج السجن ، بعيدا عن أبصارنا وأسماعنا .
ـ طبعا يستطيع ، كل ما يريده إشارة مني ليذهب
اليه أينما هو ولن يعود قبل تحطيم عظامه .
ـ هل انت واثق من انه سيحفظ للسر ؟
ـ انه ابن الحكومة الذي يعرف قوتها ولا يخالف
أوامرها فقد تربى في حضنها اكثر من ثلاثين عاما.
ـ أتمنى فعلا إعطاء درس لذلك الوغد ، ولكن كيف ؟
ـ لا تشغل بالك بكيف ومتى وأين ، انت فقط وافق وانا
أتتدبرالأمر.
ـ المسألة ليس سهله .
ـ المسألة اسهل من جرعة ماء ، وضمانا لنجاح
العملية ، سأرسل له بابي نابين ، مع معاون آخر
من أعوان السجن ، يماثله شراسة وحبا للعنف ، اسمه
الكاسكا ، لانه يضرب بالعصا وهو يرقص .
ـ المهم الثقة .
ـ انني مسئول عنهما ، وسأظهر في الصورة أمامهما
دون ان يأتي ذكرك إطلاقا .
ـ وماذا سيفعلان ؟
ـ سيرصدانه ويتربصان به ليلا وهو عائد الى بيته
في كوشة الصفار ، وفي زنقة خالية يتوليان
امره لكما وركلا وضربا بالعصا ، حتى يعرف
ان الله حق .

ـ لا اله الا الله ، المهم الا يراهما احد .
ـ الكاسكا ، من اصل طارقي ، كان ينتمي الى قطاع الطرق
في الصحراء قبل ان يصبح شرطيا ، ويستطيع ان
يضع على وجهه لثام الطوارق ، وان يعير
واحدا لزميله . وسيختفيان بعد اداء المهمة دون يراهما احد .
ـ أي خطأ سيكون كارثة .
ـ لا مجال للأخطاء ، سيتبعانه لمدة يومين أو ثلاثة
ويعرفان طريقه ، قبل تنفيذ العملية .
ـ الاكتفاء بالضرب فقط وليس اكثر من ذلك .
ـ نعم ، فخنق الذئب أحيانا افضل من قتله ، كما يقول المثل .
ـ هيا اذهب ورتب لهذا الامر في منتهى التكتم والسرية .
ذهب شوقي سعيد ، وبقي الحبشي في مكتبه ، قلقا
لا يدري ان كان اعتماده للعمل الانتقامي
الذي اقترحه مدير السجن ، أجراء صحيحا
ام مخاطرة لم يحسب جيدا عواقبها . نعم
انه ناقم على محمد الجن ، راغب في ان يلحق به
أقصى أذى يستطيع ان يلحقه به ، ليشفي غليله
منه ، بشرط الا يرجع هذا الأذى عليه ، او يجعل
الجن يخرج منه اكثر قوة ، او يضع في يده
مستمسكا جديدا عليه . لم يعد هناك مجال
للتراجع ، وطالما وافق على الاقتراح ، فلن يعاود
الاتصال بمدير السجن ، او يطلب منه إعادة النظر فيما
جرى عليه الاتفاق . انه الان اشبه بمن رمى حجرا
من قمة الجبل ، ووقف يرقبه وهو يتدحرج
الى السفح . لقد خرج الامر عن سيطرته
وتحرك الحجر ماضيا في مساره الهابط ، ولا مجال
لاسترجاعه او إرغامه على ان يتخذ مسارا
عكسيا . انه ينتوي ان يصيب به هدفا محددا
هو محمد الجن ، لا لكي يموت ، وانما لكي يتألم
فقط ، ويعرف ان مهاجمة عثمان الحبشي لا يمكن

ان تمضي بلا عقاب . ليس مهما ان يعرف من اين جاءته الضربة ، بل لعله أمر مطلوب
ان يعرف ، ولكن غير المطلوب هو ان يجد برهانا على ذلك أو يصل الى إثبات أي شيء ضد الفاعل
استمر معه القلق خلال أيام الانتظار الثلاثة دون ان يتصل أثناءها بشريكه في العملية الانتقامية ، او يعرف منه شيئا عما يقوم به من ترتيبات ، وهو مرتاح لهذا الأسلوب الذي يعمل به مدير السجن ، فهو اكثر ضمانا لتوفير ما تتطلبه العملية من تكتم وسريه ، ومضى الأمر في مساره الصامت ، الى ان جاء شوقي سعيد الى مكتبه في صباح اليوم الرابع ، ليبلغه بان المهمة انتهت بنجاح بالغ ، وان الكاسكا وابا نابين ، تتبعاه خلال الليالي الماضية وهو عائد بسيارته الى المدينة القديمة وعرفا المكان الذي يختاره لصف سيارته أثناء الليل قبل ان يمشي على الأقدام الى بيته عبر الحواري الضيقة التي لا تدخلها السيارات ، واختارا أكثرها إظلاما وخلوا من السكان والمارة ، لتنفيذ العملية ، حيث امسك به أحدهما مطبقا على فمه لكي يمنعه من الصراخ او إرسال صيحات النجدة ، وتفرغ الآخر لضربه صفعا وركلا ولكما وضربا بالهراوة حتى تركاه خرقة بالية ملقاة على الأرض ، تتشاتل دماؤه على الرصيفي، واختفيا في الظلام دون ان يراهما أحد
ولم تلبث ان جاءت الأخبار الى مكتب الحبشي تؤكد ما قاله مدير السجن ، واهمها تلك التي حملها تقرير ورد اليه من مستشفى

كانيفا تصف الحالة المزرية التي وصل فيها
محمد الجن الى قسم الطواريء والحوادث بالمستشفى
وما امتلأ به جسمه من كسور وجروح ، فهم منها
انها كلها قابلة للعلاج ولا تشكل أي خطر على
حياة المعني مما يؤكد ان خبرة الكاسكا وابي نابين
في الضرب ، التي اكتسباها من السجن ، كانت
حاضرة وهما يتعاملان مع هذه الحالة ، كل ما
هناك ان كثرة الجروح والكسور تقتضي علاجا
قد يطول ويصل الى عدة اسابيع ، ونشرت صحيفة
" اللواء الجديد " في اليوم التالي أخبار ما حدث
للجن مع صورة له وهو بالكمدات ولفائف
الشاش داخل المستشفى ، مشيدة بروح الصمود
والتحدي التي يتمتع بها رئيس الحزب والذي
يؤكد لابناء الشعب الليبي انه ماض في خطه
الوطني ، المعادي للاستعمار وعملاء
الاستعمار ، ولن يؤثر فيه التهديد والابتزاز
وهجمات الجبناء الليلية ، كما نشرت الصحيفة
حديثه عن الرجلين الملثمين اللذين تعرضا له
بالضرب، بطريقة لا يجيدها الا المحترفون
مما يؤكد شكوك المجني عليه ، بان وراء
العملية جهة أمنية
وكرست الصحيفة الجزء الأكبر من صفحاتها
لبيانات الاستنكار الصادرة عن كل الأحزاب
والتصريحات التي تدين هذه العملية ، التي
أدلى بها كبار السياسيين والمسئولين
في الإدارة ، بما في ذلك متحدث باسم الولاية
كما نشرت أخبار الشخصيات والوفود الشعبية
التي توالى مجيئها الى المستشفى لمواساة
رئيس الحزب والاطمئنان على وضعه
الصحي ، بما في ذلك مندوب عن الزعيم

السعداوي، قائلة بان الهجوم الذي تعرض له الجن ، كان زلزالا هز الحياة السياسية في البلاد و صدمة للمشتغلين بالقضية الوطنية الذين اعتبروا ماحدث بادرة شر وإرهاب مناقضة للسلوك الحضاري الذي ارتضاه المجتمع لنفسه

لم يجد الحبشي في نفسه ميلا للتظاهر بالبراءة أمام الرأي العام او أمام الجن نفسه ، بإرسال بطاقة معايدة ، او مندوب عنه لمواساته في المستشفى ، أبعادا للشبهة عن نفسه ، وبدلا من ذلك أرسل أحد أفراد البحث الجنائي لاخذ اقواله حول الحادث الذي تعرض له ، وتعامل مع الحالة بطريقة مهنية لا علاقة لها بالتظاهرة التي تشهدها البلاد لاستنكار ما حدث ، وجاء الدكتور وهبي الى مكتبه غاضبا ، بعد ان سمع وقرأ الخبر ، يسأله عما إذا كان له علاقة بهذا الحادث المؤسف ، كما يقول ويعتقد اتباع محمد الجن ، وعندما أنكر الحبشي صلته بالحادث ، قال صديقه وهو يغرز عينيه في عيني الحبشي:

ـ سمعتك مرات كثيرة وانت تهدد بتأديبه .

ـ أرجوك لا تقل مثل هذا الكلام ، فانا اكثر عقلا من ان ارتكب مثل هذه الحماقة ، فاذا كنت قد هددت بتأديبه فبالقانون وليس خارجه.

ـ من تراه يستطيع ان يفعل ذلك؟

ـ للرجل أعداء كثيرون .

ـ مثل من ؟

ـ خذ مثلا هجومه على الزعيم السعداوي ، الا يستفز هذا بعض اتباع الزعيم للانتقام منه .

ـ كان السعداوي أول من أدان هذا الاعتداء .

ـ لم اقل هو ، وانما قلت اتباعه ، ودون علمه بالتأكيد .
ـ اتباع الجن يوجهون إصبع الاتهام إليك ولا أحد غيرك ، وصحيفته تقول ذلك تلميحا لا تصريحا .
ـ ليس جديدا على اتباع الجن او صحيفته اعتباري مصدرا للشر في الكرة الأرضية. انه اتهام باطل اقول لك.
ـ بطلانه لا يتحقق الا بالعثور على الجناة.
وانضمت صحف أخرى الى صحيفة الجن في اتهام الجهات الأمنية للولاية بأنها وراء الحادث ، قائلة بان هذه الجهات عندما تعجز عن إيجاد أسباب قانونية لمحاسبة خصوم الحكومة ، تلجأ لأساليب البلطجة التي تليق بالعصابات ، لا بالمؤسسات الحكومية ، والمعنية بتنفيذ القانون وحماية المواطنين ، وترى فيما حدث من اعتداء بالضرب على محمد الجن امتدادا للأساليب التي تعتمدها الشرطة في ضرب الخصوم داخل السجن ، وتحذر الوالي من هذه الممارسات التي ترتكبها أجهزته الأمنية وتطالبه بمراقبة المنتسبين لها ومحاسبة المخطئين منهم وردعهم عن التمادي في جرائمهم قبل ان يتأخر الوقت ويجد نفسه أمام انفلات أمنى لن يستطيع السيطرة عليه ، لان العنف لن يبقى دائما احتكارا حكوميا ، ومن السهل ان يصبح وسيلة المظلومين لرد الظلم عنهم في غياب سلطة قانونية تحميهم
واقام أعضاء حزب الجبهة الوطنية ، تظاهرة سياسية احتجاجية داخل مقر الحزب ، دعوا اليها الأحزاب الأخرى ، التي انضمت الى حزب الجبهة في المطالبة برفع الستار عمن يقف خلف هذه العملية الخسيسة ، وتطايرت كلمات الاتهام

من أعضاء الحزب ، تضيف الحادث ، الى
حادث مقتل المناضل الحزبي حسن سعدون
داخل السجن ، وتعتبر ان الجناة في الحالتين
هم نفس الجناة
وترصد احد الصحفيين للوالي ، أمام قصر الولاية
عند انتهاء الدوام ، ليسأله عما فعلته حكومة
الولاية من اجل الوصول للمعتدين على رئيس
حزب الجبهة ، وتقديمهم للعدالة ، فاجابه بانه
يدين إدانة كاملة هذا الاعتداء ، ويؤكد اهتمامه
بالتحقيق الجاري لمعرفة الجناة ، وردا على
الأصوات التي تتهم الأجهزة الأمنية بالضلوع
في الحادث ، نفى ان يكون هذا الاتهام
صحيحا ، الا انه تطمينا للجمهور فانه سيعقد
اجتماعا مع كل المسئولين الأمنيين في الولاية
لتدارس ومراجعة النظم التي يعملون بها
والكشف عن أي انحراف يمكن ان يقع
ومعاقبة المنحرفين ، وفعلا ، اصدر الوالي
تعميما لكل ضباط الأمن ، يأمرهم فيه
بحضور اجتماع يقام بحضوره في قصر
الولاية ، بعد أربعة أيام ، الا انه قبل موعد
الاجتماع بيوم واحد ، وقع حادث ابطل
الاجتماع وازاح قضية الاعتداء على محمد الجن
من مركز الأحداث، فقدر قرر الأمير السنوسي
القدوم الى طرابلس في أول زيارة له الى
هذه المدينة ، بعد الحرب ، قادما اليها
من بنغازي عن طريق البر ، من اجل ان يركب
السفينة من ميناء طرابلس الى اقرب الموانى
للعاصمة البريطانية تلبية لدعوة من ملك
تلك البلاد
ذهب زعماء طرابلس ، وعلى رأسهم بشير

السعداوي ، لاستقباله في تاجوراء ، قبل دخوله المدينه ، تشريفا وتقديرا لمكانته كرمز لوحدة البلاد ، وذهب الوالي ايضا لحضور هذا الاستقبال ، الا ان هذا الاحتفاء الرسمي والحزبي ، لم يواكبه أي احتفال شعبي ، فقد رفض أهل طرابلس الخروج لاستقباله ، رغم الدعوات المتكررة من الأحزاب ، ومن حزب المؤتمر بالذات ، باعتباره حزب الأغلبية ، الا ان أعضاءه ا لذين يتفهمون موقف القيادة من الأمير ويعرفون دوافعه ، لا يجدون أنفسهم ملزمين بتلبية نداء الخروج لاستقبال الأمير الذي لا يضع طرابلس دائما في سلم الأولويات من اهتماماته ، فكافأوه إهمالا بإهمال

اما الحزب الذي أسفر عن وجه العداء له فهو حزب محمد الجن ، الذي يتخذ موقفا معارضا من توجهات الأمير ، ويشجب استفراده بحكم برقه حكما ذاتيا تحت وصاية الإنجليز ولا يرى في زيارته القادمة لبريطانيا الا تأكيدا للعلاقة المشبوهة التي تربطه بالدولة الاستعمارية

وعبرت صحيفة الحزب الصادرة في يوم وصول الأمير عن هذا الموقف بعنوان صريح العداء له ، تقول فيه:

لا أهلا ولا سهلا بالأمير

ردا على اليافطات التي وضعها حزب المؤتمر على واجهات المتاجر وفوق شرفات البيوت والتي تقول :

أهلا وسهلا بالأمير

وصل موكب الأمير الى مدينة طرابلس ، وعند مروره بمنطقة شعبية ، تتزاحم فيها البيوت وتلتصق ببعضها البعض ، انفجرت قنبلة يدوية

قريبا من سيارة الأمير ، القى بها صاحبها
من سطح واحد من هذه المساكن ، حطمت
واجهة متجر قريب ، وجرحت صاحب المتجر
الذي خرج أمام متجره يتفرج على الموكب
وأحالت هذه المناسبة التي أرادها زعماء
طرابلس ، مناسبة للتعبير عن فرحتهم بالأمير
وتعزيز التعاون معه ، الى حزن وصراخ وهرج
وفوضى ، ففي حين أسرعت السيارة التي تحمل
الأمير باتجاه بيت الضيافة ، خوفا من انهمار قنابل
أخرى عليها ، بقيت بعض سيارات الموكب لتقصي
اثر الحادث ، وإسعاف الرجل الجريح ، واسرع
رجال الشرطة المرافقين للموكب ، يبحثون
فوق أسطح المنازل عمن القى القنبلة دون
ان يعثروا على أحد ، فقد تسلل من سطح
الى سطح ، واختفى قبل ان يصلوا اليه
لم تفلح هذه القنبلة في تحقيق شيء سوى
تعزيز الشكوك التي يحملها الأمير لاهالي طرابلس
الذين لم يكن يطمئن إلى مشاعرهم نحوه ، وينظر
بشك وريبة الى زعمائهم برغم ما يبدونه من تقدير
له ، فقد عانى كثيرا من بعض هؤلاء الزعماء
في المهجر، عندما كان يستعد لتأسيس
الجيش السنوسي ، الذي سيدخل به حلفا
مع البريطانيين لاجلاء الايطاليين عن البلاد ، حيث
شكك بعضهم في نواياه ، وحاول إفشال مهمة
تأسيس الجيش، بان منعوا أبناء الشق الغربي
من البلاد الانضمام الى الجيش الذي أنشأه
وجاءت مرحلة آثر فيها ان يتعامل فقط مع
زعماء برقة ويقصر جهوده على تحريرها دون
ان يعطي اهتماما مماثلا لتحرير طرابلس
الى ان عاد بعض هؤلاء الزعماء الطرابلسيين

الذي رفضوه قبل الحرب وانتصار الحلفاء
يحاولون إحياء العلاقات القديمة ، وتناسي فترة
الخصام والقطيعة ، والتوسل به للبريطانيين
للحصول على ذات المزايا التي استطاع تأمينها
لإقليم برقه ، الى ان استجاب لهم أخيرا
ووافق على ان يجعل طرابلس ضمن اهتماماته
عند الحديث مع الإنجليز عن مصير البلاد
طامحا ان يكون الملك المأمول لها بعد
الاستقلال ، وهاهي حياته تتعرض اليوم
للخطر، بعد استجابته لإلحاح هؤلاء الزعماء
بزيارة طرابلس لتكون خطوة على طريق توحيد
البلاد ، وكان أول ما فعله عند دخوله الى بيت مضيفه
هو ان الغى كل الاجتماعات التي كان مقررا
ان يعقدها هذا اليوم ، ورفض استقبال احد
من الزعماء الذي خرجوا لاستقباله على
أبواب المدينة ، وكان الاتفاق ان يجلسوا معه عقب
وصوله لشرح بعض البرامج التي أعدوها له
خارج البرنامج الرسمي ، قائلا بأنه سيتفرغ
هذا اليوم للراحة والصلاة شكرا لله على نجاته
من محاولة اغتياله ، كما ألغيت مأدبة العشاء
التي أعدت له في فندق الودان ، والتي كان
سيحضرها كل اعيان البلاد ، كما اكتشفوا
ان إلغاء البرنامج من قبل الأمير لم يقتصر
على اليوم الأول للزيارة وانما امتد الى اليوم
الثاني الذي احتوى زيارة الى الزعيم السعداوي
في مقر اقامته ، وحفل شعبي بمقر البلدية
يستلم فيه من عميدها مفتاح المدينة
مما اعطى انطباعا للجميع بان الأمير غاضب
مما حدث ، ويحمل المسئولية لكل
الطرابلسيين ، ولم يسمح الا بعد ان تردد

عليه اكثر من مبعوث من هؤلاء القادة ، بان
يلتقي بهم قبل ان يستقل الباخرة التي سترحل
به الى بريطانيا ، في اجتماع اقتصر
على بعض القادة والشخصيات العامة
الذين فتحوا معه مواضيع توحيد البلاد
واستقلالها وتنظيم أسلوب المقاومة للمؤامرات
التي تحاك ، ما تزال، ضد هذا الاستقلال
مثل مؤامرة التقسيم ، واطماع إيطاليا
في العودة الى حكم طرابلس ، فوجدوه يبدي
ضجره من النقاش ، ويقول بانه يفضل ترك
التفاصيل لمرافق له من زعماء برقه
يثق به ، وجاء به من هناك لهذا الغرض ، وسيبقى
المرافق في طرابلس أياما تكفي لدراسة هذه
المواضيع دراسة ضافية مع زملائه في هذه
المدينة ، وسيكون الأمير على اتصال به للتشاور
ومعرفة النتائج ، وفي ختام حديثه ابلغهم بانه
سيحمل مطالبهم لحكومة صاحب الجلالة
في لندن ، بمثل ما سيحمل مطالب أهل برقة
واثقا ان ملك بريطانيا وحكومته لن يخذلوا
الشعب الليبي ، الا ان الزعيم السعداوي الذي ظل
صامتا طوال الوقت ، يطوي في قلبه مشاعر
الاستياء من تصرفات الأميرفلا يفصح عنها
لم يستطع ان يبقى صامتا أمام الكلمات الأخيرة
التي قالها الأمير عن بريطانيا والتي رآها تحمل
معنى من معاني الاستجداء والتسول ، فقال له
بأنهم لا يحملونه أي مطالب لحكومة صاحب
الجلالة البريطاني ، لانهم في صراع معها
الى ان تخرج بجيوشها من ليبيا ، وتحترم
إرادة وحرية شعبها ، وحقه في تقرير
مصيره ، وحكم نفسه بنفسه ، خاصة بعد حضور

اللجنة الرباعية للبلاد والتقائها بالمواطنين
ومعرفتها بمدى إصرار الليبيين على استقلالهم
وإذا لم تفعل ، فان الشعب الذي خاض ملحمة النضال
المسلح ضد الطليان ، لن يتوانى عن رفع
السلاح مرة أخرى للدفاع عن أرضه ، وليت
سمو الأمير يجعل هذا الأمر واضحا لمضيفيه
في لندن
وابدى اسفه واسف الأحزاب في طرابلس
لحادث القنبلة التي رميت على موكب الأمير
والتي لا يشك في ان وراءها يد سوداء ، تريد
خلق فتنة في البلاد ، لانه لا يمكن لوطني مخلص
ان يفعل ذلك ، فالشعب الطرابلسي كله وراء
زعمائه الذين يسعون لاقامة دولة ليبيا الحرة
المستقلة بأجزائها الثلاثة
سافر الأمير ، الا ان محاولة اغتياله ظلت تشغل
الصحف والرأي العام ، وظلت الأصوات ترتفع
من قادة الأحزاب تطالب بالقبض على الجناة
خرج محمد الجن من المستشفى ورجع الى مقر
الحزب وسط احتفاء الأعضاء به ، بعد أن تعافى
من جراحه وكسوره . عاد ليواصل حملاته
الضارية ضد من يسميهم رموز الفساد وأذناب
الاستعمار ، في صحيفته العلنية بالغمز
والإشارة ، لكي لا يقع تحت طائلة القذف
والسب ، وفي بابه الثابت بصحيفته السرية
الصاعقة الذي يسميه حديث الفضيحة ، حيث
يكتب متسترا بالظلام عن كل شي بالاسم
الصريح لانه لا يخشى الملاحقة القانونية ، وهو
الباب الذي يخصصه للحديث عن عثمان الحبشي
ويضع فوقه صورته المرسومة على شكل إبليس
قائلا بانه رجل تظهر مهاراته في خدمة أسياده

الإنجليز ، ويفشل في أداء واجبه الأمني الأساسي
وهو حماية المجتمع من المجرمين بدليل انه فشل
في العثور على المجرمين الذين اعتدوا عليه
والآخرين الذين دبروا محاولة اغتيال الأمير
السنوسي ، وهو لا يستغرب فشله في العثور
علي مهاجميه لانهم ببساطة ينتمون للزبانية
الذين يعملون تحت امره ، وليس معقولا ان يمسك
المجرم نفسه ، اما الفشل الأكبر فهو فشل
العثور على المجرم الذي رمى قنبلته
على الأمير ، لانه لا يتصور أن عناصر أمنية
قد قامت بها لانها تعرف الفتنة التي كانت
ستتفجر والتي يصعب على الأمنيين إيقافها
لو ان القنبلة نجحت في إصابة هدفها
برغم ان موعد الاجتماع الذي كان سيعقده
الوالي مع ضباط الشرطة قد الغي ، بسبب حادثة
الاعتداء على الأمير ، فان الفكرة ضلت قائمة
حيث تولاها هذه المرة عثمان الحبشي الذي
استدعى عناصر الأمن في أدارته بالإضافة
الى رؤساء المراكز في طرابلس ، لدراسة بند
واحد على جدول الأعمال ، هو العثور على
العصابة التي تقف وراء تلك القنبلة الملقاة
على موكب الأمير
وعندما مضت بضعة أيام دون ان تظهر
نتيجة لبحث الشرطة عن الجناة ، احضر
عثمان الحبشي مدير السجن شوقي سعيد
وسأله وهو ينفرد به مكتبه ، ان كان يستطيع
ان ينتزع اعترافا من أي لص له علاقة
بالمتفجرات ، ليقول بانه صاحب القنبلة التي
استهدفت الأمير ، فلا يظهر الجهاز الأمني عاجزا
عن معرفة الجناة في اية جريمة من هذه الجرائم

السياسية ، ويجد الخصوم فرصة للطعن في
كفاءة عناصره وقياداته
كان يقول ذلك دون ان يعلم ان هناك انفراجا سيأتيه
من حيث لا يحتسب . انفراج يأتيه هذه المرة
من فزان البعيدة
فقد حملت الأنباء قصة هجوم انتحاري قامت
به فرقة تنتمي الى الطريقة الصوفية القادرية
قوامها عشرون رجلا ، على قلعة سبها
مقر القيادة العسكرية الفرنسية في فزان
وما حدث هو ان مدبري الهجوم ، جاءوا الى موقع
ملاصق للقلعة ، حيث يوجد قبر مهجور
قالوا انه قبر قطب من أقطاب الطائفة ، يريدون
إحياء ذكراه ، وبدأوا منذ الضحى في إقامة
طقسهم الصوفي الديني الذي استهلوه بإيقاد
نارهم التي يضعون فيها البخور ، وجاءوا
بدفوفهم يضربونها ، وينشدون على إيقاعها
أناشيدهم الدينية ، ويؤدون معها الحركات الإيقاعية
الراقصة ، التي اشتهر بها أصحاب هذه
الطريقة . قضوا عدة ساعات يرددون هذه
الأذكار ، ويستنشقون دخان الأعشاب التي يتكون
منها البخور ، حتى أوشك النهار على
الانتهاء ، وقبل غروب الشمس بقليل حمى
وطيس دفوفهم وارتفع صوت إنشادهم
عاليا ، ونزعوا عن أجسامهم الجلابيب
الخضراء ، وبقوا بأجسامهم نصف عارية يتصبب
منها العرق ، يرقصون رقصاتهم الصوفية قرب
السنة النار ، ثم انتزعوا من أمتعتهم السكاكين
والبنادق واطلقوا صيحات الله اكبر، وانطلقوا
يركضون صعودا باتجاه القلعة ، يهاجمون
حراسها ويقتلون بأسلوب المباغتة من كان

جالسا او واقفا خارجها ، ثم يقتحمون
المكاتب والعنابر بداخلها يقتلون عددا آخر
ممن كان موجودا بداخل القلعة ، قبل ان يدق
النفير في العساكر الفرنسيين ويتحركون
من معسكر قريب بدباباتهم ومدافعهم يحاصرون
القلعة ويقومون بهجوم معاكس ضد أعضاء
الفرقة القادرية ، فيقتلون اغلب أفرادها
ويصيبون البعض الآخر بجراح قاتله ، كان بينهم
صالح بن عمك سعيد ، الذي نقل مع
الآخرين الى المستشفى ، وهو في حالة ميئوس
منها ، واثناء التحقيق معه ، في ساعاته
الأخيرة ، اعترف بانه قاتل الضابط الإنجليزي
البريجادير اوليفر ستوك ، واعطى دليلا علي قيامه
بهذه العملية ، هو إرساله رسالة إنذار مكتوبة بخط
يده الى القتيل يبلغه فيه بقرار قتله ، واهو إنذار
وصل الى أيدي سلطات التحقيق كما عرف
فيما بعد ، دون ان تعرف انه كاتبه ، ورفض
ان يذكر ان له شركاء في العملية ، التي قام بها
بسبب الدافع الوطني . ولم يكن إثبات هذا
الاعتراف ، يحتاج الا الى الرجوع الى رسالة
التهديد الموجودة في ملفات القضية ، ومقارنتها
بأوراق تحمل خط صاحب الاعتراف ، ليتأكد
الجميع من صحة ما قاله الرجل الذي لم يلبث
ان مات بعد ان قال هذا الكلام ، متأثرا بالجراح
البليغة التي أصيب بها أثناء الهجوم على
القلعة ، لتسقط بموته اية دعوى يمكن ان
ترفع ضده ، ويقفل بالتالي ملف مقتل الضابط
الإنجليزي الذي ظل مفتوحا اكثر من عامين
وتتخلص أجهزة المخابرات البريطانية من حرج
التهم التي وجهت اليها بقتله ، وافقدتها ثقة الرأي

العام في نزاهة اساليبها ومعاملاتها
علاوة على ان هذا الاعتراف قدم خدمة لادارة امن طرابلس وللوالي نفسه الذي اسعده الخبر لانه ازاح حملا عن كاهله أمام حكومته وأمام الرأي العام
ما لم يعرفه الوالي هو ان عثمان الحبشي كان وراء صياغة هذا الحل السعيد ، فقد جاءه بعد وقوع معركة سبها ، عمك سعيد باكيا ، يبلغه بوجود ابنه جريحا في مستشفى الجيش الفرنسي بسبها ، وانه يريد ان يصل اليه قبل ان يلفظ أنفاسه الأخير ، ويريد تزويده بتصريح يتيح للسيارة الصحراوية التي تقله السفر دون عرقلة من نقاط التفتيش المبتوتة على الطريق ، وفي هذه الأثناء ومضت في ذهن الحبشي فكرة ان يستفيد من هذه الفرصة لقفل ذلك الملف الشائك ، مستغلا معرفته بوجود الورقة التي كتبها ابن عمك سعيد للضابط القتيل وكذلك من الخدمة التي قدمها لعمك سعيد
عندما اطلق له سراح ابنه ، فبادر يرجوه ، بانه إذا وصل الى سرير ابنه وهو مازال على قيد الحياة وعرف ان وفاته وشيكة حقا ، فلن يضيره شيئا لو اعترف بورقة التهديد التي أرسلها للضابط واشار الى انه قام بتنفيذ تهديده بعد ذلك
نقل عمك سعيد الرسالة لابنه الذي استجاب لمطلب والده قبل ان يموت ، واضاف بكلامه هذا أمجادا لامجاد عائلة النمري في النضال
وعاد والده الى طرابلس والى احتفاء الناس به باعتباره والد البطل الشهيد الذي قضى على رأس من رؤوس الاحتلال في طرابلس
و ذهب للقضاء على رؤوس أخرى في فزان

الهجوم على قلعة سبها ، برغم ما اسفر
عنه من إهدار لدماء الليبيين والفرنسيين
جاء في توقيت مناسب للقضية الليبية
المطروحة على المجتمع الدولي ، ليذكر
هذا المجتمع ، بان الاحتلال الأجنبي للأقاليم
الليبية الثلاثة ، تحت تسمياته المختلفة مثل
الانتداب والتوصية ، لن تنتج عنه الا المشاكل
وكان ان نشطت اطراف كثيرة في استغلال
الحادث لصالح القضية وتقريب يوم
الاستقلال ، من بين هذه الأطراف الجامعة العربية
وبقدر ما اسعده نجاح خطته مع عمك سعيد
فقد أساء عثمان الحبشي ان الدرس الليلي الذي
تلقاه محمد الجن علي أيدي قطبين من أقطاب
التعذيب في سجن بورتا بينيتو ، لم يحرز اية
نتيجة ، فهو لم يزدد بعد هذا الدرس
الا عنادا واصرارا على الاستمرار في طريقه
الاستفزازي ومداومة الهجوم على الحبشي
في صحيفته السرية ، بأقذع الأساليب
مضيفا اليه شوقي سعيد ، الذي وصفه بانه أداة
في يد الحبشي ، والحبشي بدوره أداة في يد
الإنجليز والطليان واليهود
اقترح شوقي سعيد ، ان يبعث تهديدا لمحمد
الجن عن طريق الهاتف ، كي يوقف حملاته
ويفهمه ان الهجوم عليه كان إنذارا أوليا
ستتبعه إجراءات انتقامية اكثر قسوة وشده
فلم يعترض الحبشي على اقتراحه . سيعرف
الجن بالتأكيد مصدر التهديد ، لكنه لن يستطيع
إثباته ، وقد اخبره شوقي فيما بعد انه اجرى
معه المهاتفة المتفق عليها من مكتبه داخل
السجن ، مستخدما قمعا يخرج منه الصوت

مصحوبا بكثير من الصدى ، تمويها
ومحاولة لخلق جو يوحي بالخوف والرهبة
كأن شبحا اوعفريتا هو الذي يخاطبه
خاصة وانه اجرى المكالمة مع الجن على
هاتف بيته في وقت متأخر من الليل
وعاودها لمدة ليلتين متتاليتين
وقال شوقي للحبشي ، بعد إبلاغه بما فعل :
ـ ليكن جنيا او انسيا ، فلن ينام نوما حلوا بعد الآن .
الحبشي لا يعرف النوم حلوا ولا مرا ، ولذلك
لن يضيره ان ينضم أناس آخرون الى نادي
المسهدين ، وسيرى محمد الجن انه سيفقد
اكثر من مجرد النوم الحلو ، إذا واصل
طريق الهجوم والافتراء عليه
في هذه الأثناء التقى عثمان الحبشي بالسيدة
عايده عبد السلام ، زوجة الجن التي خرجت لتوها
من مستشفى الولادة ، بعد ان أنجبت ابنها البكر
وكانت شاحبة الوجه ، من فرط الوهن والإعياء
وقد وقف معها بعد انتهاء الاجتماع الذي
عقده مجلس أمناء المدرسة ، يسألها عن
حالها ، فأجابته بانها مرت بظروف صعبة أثناء
الحمل ، نتيجة الحادث الذي تعرض له زوجها
ثم قالت وهي ترمقه بنظرة اتهام صريحة :
ـ أرجو ان ينتهي الخلاف الذي بينك وبينه ، فهو
مصدر كل هذه المتاعب .
ـ انه يبادر بالعداء والهجوم دونما سبب .
ـ ما تعرض له كان محاولة للقتل ، فمن أين يأتي
كل هذا الشر ؟
أحس بعينيها تفتشان عن مصدر هذا الشر في عينيه
فتجاهل ما تعنيه كلماتها ونظراتها ورد عليها
بلغة رجل الأمن :

ـ سنحاول حمايته ، ولكن عليه ان يحمي نفسه
أولا ، فمن يهاجم الناس ، لا يستغرب ان جاء
من يرد عليه .
ـ الا يجب ان يكون الرد من جنس العمل ، فيرد عليه
بالكلام او الكتابة كما يفعل .
ـ هناك كلام اشد قوة من الرصاص
ـ أرجو ان تنتهي المتاعب عند هذا الحد.
ـ صدقيني ان الأمر بيد زوجك قبل أي إنسان آخر .
تركها ومضى وهو يشعر بكثير من الأسى لما
وصل اليه حال تلك المرأة التي دخلت ذات يوم
الى مكتبه أنيقة رشيقة تتفجر نشاطا وحيوية
وحركة ، ويشرق وجهها بالفرح والابتسام
آملا ان تكون الكلمات التي قالها لها دافعا
لممارسة شيء من التأثير على زوجها لكي يهجر
اساليبه في نهش لحوم الناس ، لانه ليس آسفا على
ما فعله ضده ، ولن يتردد في فعله مرة أخرى
إذا ظل الرجل ممسكا بتلابيبه ، وربما بشكل اكثر قسوة
مستفيدا من الدروس التي تعلمها الاحباش عندما كانوا
لا يعيدون خصومهم بعد القبض عليهم الا مخصيين
فيحرمونهم نعمة الجنس والانجاب وهو امر بلاشك
لن تحبه السيدة عايدة عبد السلام . لقد صبر على زوجها
كثيرا وطويلا ، ولم يتحرك لإيذائه الا بعد مرور فترة
طويلة من مداومة الهجوم عليه ، بهدف ان يوقفه
ذلك الأجراء التأديبي عند حده ، لكنه مع الأسف
لا يزداد الا ضلالة وجهالة ، غير مدرك انه بذلك
يجلب لنفسه اقسى اواع العقاب
لاول مرة يبدو حلم الليبيين في الاستقلال قريبا
من مرحلة التحقق ، من خلال الزخم السياسي
الذي صار يتنامى منذ وصول الزعيم السعداوي
الى البلاد ، وما استقطبه من تأييد شعبي

عارم ، مما أتاح له ان يتكلم باسم أهل البلاد
مع القوى الدولية ، دون معارضة
من أحد ، ورفع مذكرة الى الدول الأربعة
التي أرسلت اللجنة الرباعية ، لتدعيم وتأكيد
النتائج التي توصلت اليها اللجنة في إقليمين
من أقاليم البلاد هما فزان وبرقة ، ويحدد فيها
مطالب البلاد في الوحدة والاستقلال ، والرفض
القاطع للتقسيم والوصاية ، معززا كلامه
بالوثائق التي تدل على التضحيات التي
قدمها الليبيون في سبيل حريتهم ، وفظائع
المستعمرين وجرائمهم ، وبدأت اللجنة الرباعية
مهمتها في طرابلس بعد انتهائها من عملها في
بقية البلاد ، فلم تجد هنا وهناك الا ما يعزز
ما قاله السعداوي في رسائله للدول الكبرى
والهيئة الاممية ، وسافرت اللجنة لترفع تقريرا
لبلدانها ، وللأمين العام للامم المتحدة
الذي أوفدها ، بنتائج ما قاله لها الليبيون ، الا انها
ضمنت التقرير رأيا عن ضآلة الإمكانيات التي تؤهل
البلاد للظهور ككيان مستقل، مما أبقى على ثغرة
تنفذ منها الدول الغربية لفرض سيطرتها
على البلاد إذا أرادت . وقام بشير السعداوي ، بزيارة
الى عواصم البلدان العربية المستقلة لحشد
الدعم والتأييد والمساعدة في مواجهة الأزمة
الاقتصادية ، التي تعاني منها البلاد بسبب
انحباس الأمطار ، ونشرت الصحف صوره
مع ملك السعودية وملك مصر وأمام اليمن
ورئيسي سوريا ولبنان ، فأضفت هذه الزيارات
مزيدا من الهيبة والإكبار على الزعيم الليبي
في نفوس مواطنيه ، واعقبت تلك التقارير
أخبار عن وصول سفينة محملة بالسلع والمواد

الغذائية ، تحمل مساهمات الدول العربية في
إسعاف ضحايا الجفاف في البلاد ، ثم عاد
السعداوي من رحلته العربية الى طرابلس
لتخرج الجماهير في تظاهرات صاخبة
لاستقباله ، وطغت شخصيته على كل شخصية
أخرى ، في الميدان السياسي الليبي ، ولم يبق
أمام رجل يسعى للزعامة مثل محمد الجن
الا ان يبالغ في دعاوى الرفض والتمرد
حتى يظهر صوته المخالف أمام الناس
وانتهز فرصة بيان صدر عن حزب المؤتمر
الوطني في طرابلس ، والمؤتمر البرقاوي
في بنغازي عن العمل المشترك من اجل
استقلال البلاد ووحدتها والمناداة بالأمير
السنوسي ليكون أميرا ثم ملكا على البلاد
فشن حملة جارحة على البيان واصحابه ، معلنا
عن رفض حزبه لهذا الاتفاق الذي يكرس
زعامة إدريس السنوسي على البلاد ، وادانته
لسلوك الزعيم السعداوي الذي يتصرف
باسلوب من يملك تفويضا من أبناء الشعب
في إقليم طرابلس ويتساءل عمن أعطاه
هذا التفويض ، فهو أمر لا يأتي الا
بالانتخابات ، وهو ما يدعو حزبه الى اعتمادها
في أي عمل سياسي ، ولن يتهيأ ذلك الا
في نظام حكم يقوم على مبدأ ان الشعب هو
مصدر السلطات ، يختار حكامه عن طريق
صناديق الاقتراع لا اتفاقيات والمآدب
والمرابيع ، وتحالفات مشبوهة تتم من وراء
ظهر الشعب ، وبمباركة عجوزة الاستعمار الشمطاء
بريطانيا . كما واصل تحرير الباب الذي خصصه
للهجوم على عثمان الحبشي " حديث الفضيحة"

وقد وجد هذه المرة مادة جديدة لانتقاده ، فقد
تصادف ان وجد احد محرريه عاملا مطرودا
من مزرعة الحبشي ، التي اقتطعها من المزرعة
الحكومية ، فكشف عن سر استيلاء الحبشي
لهذا الجزء من المزرعة ، وبالغت الصحيفة
في تهويل الأمر واعتباره سطوا على ممتلكات
الدولة ، كما بالغت في ذكر العوائد المالية التي
يجنيها الحبشي من ورائه ، ووعدت القارئ باستكمال
حلقات هذه الفضيحة في أعداد قادمة
قرأ عثمان الحبشي ما كتبته عنه الصاعقة
ورآى ان محمد الجن دخل بهذه المقالة الى
منطقة شديدة الخطورة ، يمكن ان تنتج عنها
متاعب لا حصر لها ، فامر باجراء حملات
تفتيشية للبحث عن اعدادها وتجميعها وحرقها
واستدعى من فوره مدير السجن شوقي سعيد
يسأله عما فعله بشأن العثور على متهم يعترف
بجريمة القاء القنبلة على موكب الأمير
فاجابه بان المتهم موجود في السجن، وهو رجل
مولد عائد من المهاجر الجنوبية لام أفريقية
وأب ليبي ، مقطوع من شجرة ، يطغى سواده
على بياضه ، وله حدبة صغيرة في ظهره
متشرد وكثير الإدمان ، يسكن فيما يشبه ا
لداموس بمقطع الحجارة بالظهرة ، وقد أراد
سرقة دكان ملابس في تلك المنطقة ، فضبط
واودع السجن ، وقد أبدى استعداده ، بعد قضاء
عشر دقائق بين يدي ابي نابين ، بان يعترف
بانه صاحب القنبلة دون ان يخشى الاقامة
في السجن بما يأمر به القاضي من سنوات
لان السجن بالنسبة له نعمة فهو يوفر له أشياء لا
يجدها خارجه وهي السكن والملبس والطعام

الا ان شوقي سعيد طمأنه بانه سيجد طريقة لاعفائه
من السجن لاسباب صحية ونقله الى حياة حرة
في المسشفى ، مقابل ما يبديه من تعاون
ولم يبق الان الا إعداد قصة قابلة للتصديق
وتقديمها له ، عن كيف اعد القنبلة ، ومتى
ومن ساعده او شاركه في العملية ومن
حرضه على ارتكابها والدوافع وراء هذا العمل
فاجابه الحبشي بان المهم في هذه القصة
هو ان ينسب نفسه لحزب الجبهة الوطنية
وان يقول بان اتصاله كان مباشرا مع رئيس الحزب
السيد محمد الجن ، وانه استلم القنبلة منه
داخل مكتبه ، بهدف إلقائها على سيارة
الأمير ، فهو مجرد أداة للتنفيذ ، وغير
معني بكيف وأين تم تصنيع القنبلة وغيرها
من أسئلة ستكون من نصيب العقل المدبر
وراء الجريمة ، بل الدوافع نفسها قد لا يحتاج
الى ذكرها لانه عمل ما عمله مقابل مبلغ
مالي استلمه من الجن . واضاف الحبشي بانه لا باس
بان يلوحوا للسجين مكافاة مالية تمنح له
بعد انتهاء القضية ليزداد حماسا في اداء دوره
وابدى شوقي سعيد ، نهما شديدا للإيقاع
بالجن والانتقام منه ، فأسرع لسجانيه يأمرهم
بإحضار الرجل الأحدب ، وإملاء الكلام الذي
يجب ان يقوله خلال مراحل التحقيق والمحاكمة
والذي يجعل محمد الجن المتهم الأول في الجريمة
ثم كتبوا له محضرا بهذا الكلام ممهورا
ببصمته ، وبنص هذا الاعتراف ذهب عثمان
الحبشي الى الوالي ، يعرض عليه القضية
ويأخذ منه الإذن بالقبض على محمد الجن
فهو شخصية سياسية معروفه ، ولا يجوز

لمسئول امني تنفيذي ان يقوم بسجنه قبل
العودة الى الوالي كما يرى الحبشي ، وربط
في حديثه مع الوالي بين المقالات الكثيرة المعادية
للأمير التي كتبها الحبشي وبين هذا
الاعتراف الذي ادلى به شريكه في محاولة
الاغتيال التي تعرض لها الأمير ، وقال الوالي
بانه تابع كثيرا من هذه المقالات ومقالات أخرى
صار ينشرها أخيرا لكاتب عراقي معروف
باتجاهاته النازية وخدمته في إذاعة هتلر
ضد الحلفاء ،اسمه يونس بحري ، يهاجم
فيها الإنجليز الذين سبقوا ان حكموا عليه
بالإعدام ، وقد استغرب الوالي كيف تستعين
صحيفة ليبية برجل نازي كان يخدم في صفوف
دول المحور المعادية لليبيا ، وتسمح له بمهاجمة محرري
ليبيا من موقع نازي عنصري حاقد
كان الحبشي قد اعد أمرا بالقبض على الجن لتوقيعه
من الوالي ، فسأله الوالي قبل ان يقوم بالتوقيع :
ـ هل تعتقد ان لهذا الرجل ميولا نازية ؟
لم يشأ الحبشي ان يمنح خصمه شرف الأعداء
التاريخيين لمعسكر الإنجليز وحلفائهم ، فافهمه
بان الجن ليس معنيا بالنازية او الفاشية
ما يعنيه هو تأكيد زعامته ، بالمبالغة في
العداء لسلطة الانتداب البريطانية ، وعندما
وجد كاتبا عربيا يحمل غلا للإنجليز استعان
بكتاباته لدعم موقفه
وضع الوالي توقيعه على امر القبض ، واراد
الحبشي ، بخبث ودهاء ،ان يستبق الاحداث فقال
للوالي بان الجن سيعتمد على أعضاء حزبه
لإثارة اكبر قدر من الصخب احتجاجا على سجنه
فقال الوالي بلهجة واثقة :

ـ لا احد فوق القانون.
وبعد منتصف الليل ارسل الحبشي قوة برئاسة شوقي سعيد ، الى بيت الجن ، تحاصر البيت ، وتقتحم على الجن غرفة نومه وتضع في يديه الأغلال وتسوقه الى السجن ، وسط صراخ أهل بيته ، وجلبة الجيران الذين استيقظوا اثر هذه المداهمة ، وخرجوا إلى الشارع يستطلعون ما حدث ، بينما صيحات أفراد الشرطة تطالبهم بالعودة الى بيوتهم ومواصلة نومهم
فهو شأن لا يخصهم
وكانت أوامر الحبشي ، لمدير السجن واضحة هي ان يترك محمد الجن في زنزانة منفردة دون ان يتعرض لاية مضايقه ، او يخضع لاي تحقيق في هذه المرحلة ، والاكتفاء بإحضار المتهم الذي اعترف بإلقاء القنبلة الى زنزانته لمواجهته بالأقوال التي يضع فيها مسئولية الجريمة على محمد الجن
ولم يكن مهما بعد ذلك وقع المفاجأة على الرجل ، او كيف صار ينتفض صارخا بانه لا يعرف هذا الرجل ولم يسبق ان رآه في حياته ، وان كل ما قاله مجرد افتراء وكذب ، فالهدف كان إفهام الجن انهم احكموا عليه حلقات الاتهام ، الذي سيقود الى محاكمته وإدانته والحكم بسجنه لعدة أعوام
والخطوة الثانية التي تلت هذه المواجهة هي مواجهة أخرى بين الحبشي وبين الجن في زنزانة الأخير وبحضور مدير السجن
ـ هانحن نلتقي للمرة الأولى ، فلا سابق معرفة ولا علاقة بيني وبينك ، ومع ذلك فانت تكرهني وتحقد علي كأنني قتلت لك أمك أو أبيك ، فلماذا ؟

ـ لا أكرهك ، ولا خصومة شخصية بيني وبينك
وما اكرهه هو الفساد والظلم والعمالة .
ـ وما علاقتي انا بهذه الأشياء ؟
ـ انت ادرى بنفسك مني .
ـ اجب بكلام مفهوم .
ـ لا غموض فيما قلت . انت ادرى من أي إنسان
في العالم بما ارتكبته من مظالم وما قمت به من فساد .
ـ لا فاسد الا انت ، وفسادك فساد الجوهر قبل فساد
المظهر ، نفسك مريضه ، وقلبك اسود مليء
بالحقد والدناءه.
ـ قل ما شئت فأنا الآن سجينك .
ـ وهل تظن حقا انك البطل الذي يؤذي الناس
ويبقى بمنجاة من العقاب .
ـ لقد تلقيت عينة من ذلك عندما أرسلت من يهاجمني
في الظلام .
ـ كان ذلك مجرد إنذار ، وخطيئتك انك لم تتعامل
معه باعتباره إنذارا ، وتماديت في ضلالك وغرورك
فوجب ان تلقى عقابا اكبر.
ـ ها انت تعترف بأنك وراء تلك الجريمة.
ـ لست خائفا منك ، ولا اقيم اعتبارا لمثلك ، واذا كنت
تراني ظالما ، مجرما، فلا اقل من ان اذيقك
بعضا من ظلمي وإجرامي ، لكي لا يبقى كلامك
مجرد افتراء .
ـ انني لا استغرب صدور أي شيء عنك .
ـ سنرى
تركه وعاد الى مكتب مدير السجن ، حيث نزع سترته
وشمرعن أكمامه لان به رغبة ان يتولى بنفسه
تأديب هذا الرجل ويفسح المجال لخروج هذه
الأبخرة السوداء التي تملأ قلبه إزاءه كما
افصح لزميله مدير السجن ، وامره ان يفرغ الجزء

السفلي الذي يتم فيه التعذيب من السجانين لانه لا يريد ان يشهد احدا منهم على ما يقوم به ، وان ينقل اليه محمد الجن ويربطونه الى السلاسل المثبتة في الحائط ، وينزعون عنه سترته وقميصه ليبقى نصفه الأعلى عاريا

ـ لم اكن أظن انني سأعود لاستخدام السوط كما كنت افعل في الحبشة مع بشر اقرب الى الإنسان البدائي .

رد مدير السجن :

ـ لا ادري إن كانت صفة البشرية تنطبق على هذا الرجل ، فهو اقرب الى الأفاعي والعقارب من أي شيء آخر ، فلا تأخذك به شفقة ولا رحمه .

عاد عثمان الحبشي للقاء محمد الجن في الغرفة ذات الرائحة الزنخة الكريهة ، والحيطان التي ترسم عليها بقع الدم خرائط وتكوينات غريبة والارضية الذبقة السوداء اللزجة التي تكاد تمسك بالأحذية التي تطأها ، فيرفع السوط ويهبط به على جسم الجن حتى رسم خطا احمر على صدره ، قائلا :

ـ ما رأيك؟

ـ رأيي هو هذا ...

وبصق بقوة في وجه الحبشي ، الذي استشاط غيظا وصار يضرب الجن بقوة وعنف وهو يصيح بغل وعصبية في وجه سجينه :

ـ لكي تعرف قيمة أسيادك أيها الكلب .

ومن خلال أسنانه المطبقة فوق بعضها البعض من شدة الألم قال الجن :

ـ لا كلب الا انت .

ازدادت ضربات السوط قوة وتواترا والجن

يتأوه محاولا ان يكتم صرخاته ، ثم صار يقرأ
آيات من القرآن ، بصوت أشبه بالصراخ
لكي لا يبدو أمام خصمه في حالة ضعف
وانهيار ، والدم ينبثق ، اثر الضربات
من صدره ووجهه وذراعيه بعد ان صارت ضربات
السوط تهبط عليه بشكل عشوائي ودون تفرقة
بين وجهه وبقية جسمه
حالة من الهستيريا تلبست عثمان الحبشي
الذي كان يضرب ويشتم ويتصبب عرقا ، ودم
الجن يلطخ يديه ووجهه وملابسه
الى ان وصل حالة من الإنهاك ، فرمى السوط
وهو ينهج وغادر الغرفة
اكتفى بغسل وجهه ويديه ، وارتدى قميصه
وسترته ، عائدا الى بيته ، حيث وضع نفسه
تحت رشاش الماء في الحمام ، يكمل
اغتساله مما تصبب من جسمه من عرق
وما اصابه من طشاش الدم المتطاير
من جراح الجن ، ثم أغفى قليلا على غير عادته
في فترة الظهير بسبب ما ناله من إعياء ، وما
استهلكه من طاقة أثناء تعذيبه لغريمه
الجن ، ولدت في نفسه رغبة في الاستسلام للراحة
والاسترخاء ، وجاءه في المساء الدكتور
وهبي ، ينقل له أصداء الضجة التي أثارها
سجن محمد الجن ، والدعوة التي وصلته
للمشاركة في مؤتمر سياسي يعقد في دار
سينما الهمبرا ، لمواجهة الموقف الذي
ترتب على سجنه ، وتنسيق الجهود للدفاع
عنه ، محذرا من ان حبسه لن ينتهي على خير
وانه من الأفضل له ، وللوالي ، وللإدارة
العسكرية البريطانية ، ولامن واستقرار البلاد

ان يطلق سراحه بكفالة ، حتى يحين موعد مثوله أمام المحكمة التي يجب ان تكون علنية ليعرف الرأي العام انها ليست مكيدة للانتقام من زعيم من زعماء المعارضة . الا ان عثمان الحبشي ابى ان يعطي أهمية كبيرة لردود الأفعال على سجن الجن ، او يشارك صاحبه تقييمه لخطورة هذه الردود ، ويرى ان السلطات تسامحت كثيرا معه ، الى ان ظن نفسه فوق المحاسبة وفوق القانون ، وآن له ان ينال المعاملة التي يستحقها

- وهل سألكم أحد شيئا آخر غير الالتزام بالقانون ؟
- هذا هو القانون .
- إنتم تخلطون بين اشخاصكم وبين القانون وتعتبرون عدوكم عدوا للقانون.
- من هم انتم ؟
- انتم هم انتم ، الحكومة ، الأمن ، الولاية ، السلطة .
- وهل انت معه ام معنا ؟
- مع الحق ، والقانون ، واضحا وصريحا ، بلا مناطق رمادية تختلط فيها الألوان، هذا ما سأقوله غدا في المؤتمر السياسي .

في صباح اليوم التالي ، أثناء وجود الحبشي في مكتبه دخلت عليه سونيا لتقول ان السيدة عايده عبد السلام موجودة معها بالمكتب تطلب إذنا بمقابلة زوجها في السجن ، لانها عندما ذهبت الى هناك اكتشفت انه ممنوع من الزيارة. خرج اليها مسرعا ، ودعاها ان تتفضل بالجلوس في مكتبه ، الا انها اجابته بانها لم تأت اليه في زيارة شخصية ، وانما جاءت تطلب إذنا بزيارة زوجها التي لا تعرف لماذا يمنع السجن زيارته ، مثل بقية النزلاء وستنتظر في مكتب السكرتيرة حتى يأتي

هذا الإذن ، فابلغها بان الأمر ليس بيده وانما
بيد المحققين الذين يعاملون القضية بكثير
من التكتم والسرية ، لفرط حساسيتها ، ولذلك
فهم سيمنعون مؤقتا اية زيارة لزوجها الى
حين الانتهاء من التحقيقات الأولية ، وانه
سيتابع معهم الموضوع الى ان يحصل لها على
هذا الإذن . كان هدفه هو ان تختفي آثار السوط
من فوق وجهه ، التي لا تستطيع ان تخفيها
الملابس كما تخفي الآثار الأخرى على صدره
وذراعيه ، وهي آثار لن تختفي قبل أسبوع
من مداومة علاجها بالمراهم والميكروكروم
وفسر شوقي سعيد ، حصة الضرب بالسوط التي
مارسها الحبشي ضد الجن ، بانها رخصة للاستمرار
في تعذيب الرجل ، فامر معاونيه ،أبو نابين
والكاسكا ، بتولي تأديبه باسلوبهما ، كما فعلا
معه خارج السجن ، وأعطاهما هذه المرة
ورقة تحتوي على اعتراف باسم الجن
بضلوعه في محاولة اغتيال الأمير ، طالبا منهما
ان يأخذا توقيعه عليها ، فقاما بتعذيبه ضربا
بالسوط وبالهراوة والركل بالاحذية في
وجهه وعلى رأسه ومواقع أخرى من جسمه
ومع ذلك رفض توقيع الورقة ، مما جعلهما
يلجآن الى وسيلة أخرى اكثر قسوة هي إطفاء
السجائر في جسده ، حتى أغمى عليه ، دون
ان يستجيب ، وجاء مدير السجن ، يبلغ الحبشي
بما حدث ، فوجد الحبشي يغضب مما فعله ، ويراه
قد ارتكب خطأ فادحا ، فهذا زعيم سياسي ، سيأتي
من يفتش عنه ، كما ان هناك من الزعماء من
سيطلب مقابلته ، وهي طلبات لن يرفضها
الوالي ، ومعنى ذلك ان اثر التعذيب على جسمه

سيراه هؤلاء المراقبون والزعماء ، وعندما
تعلل شوقي سعيد بما فعله الحبشي نفسه
مع السجين قال له ، بانه ما فعله كان حالة
استثنائية ، تتصل بعوامل شخصية ، لانه لم
يجد افضل من رجل مثل الجن ، يختبر فيه
مهاراته في حمل السوط التي تعلمها منذ ان
كان صبيا ، في بداية دخوله الجيش
وينفس من خلال ذلك عن الغصص التي زرعها
الجن في قلبه ، بأمل ان تنتهي آثار ذلك في أيام
قليلة ، اما الآن فان هذه الآثار قد لا تمحى أبدا
من فوق جسمه ، فكيف سيواجه الموقف ؟
اما عن الاعتراف المكتوب ، الذي يريد ان يرغم
الجن على توقيعه ، فقد أبدى الحبشي شكه في
ان يفعل الجن ذلك حتى لو تعرض للموت
في حين كان شوقي سعيد واثقا من انه
سيفعل ، وإذا لم تنجح جلسة التعذيب الأولى
فان هناك جلسات تعذيب ثانية وثالثة ورابعة
وخامسة ، ووسائل اكثر ألما وقسوة ، تكون خلالها
مسألة الموت أمنية يتمناها السجين ولا يحصل
عليها ، وهي جلسات تبدأ بضربات التيار الكهربائي
ذات الفعالية العالية في مراكز الجسم العصبية
والتي لا تنتهي بها لان هناك وسائل اشد واقوى
تم تجريبها مع حالات اكثر صعوبة من محمد الجن
وثبت نجاحها ونجاعتها . ورآى الحبشي ان
يبقى هذا النوع من المعاملة مؤجلا الى
مرحلة قادمة ، اما الان فان كل ما يرجوه هو ان
يفلح في إبعاد الزوار عنه لبضعة أيام حتى
يستطيع ان يظهر أمامهم في حالة طبيعية
من ناحية المظهر الخارجي على الأقل
وهو يريد من شوقي سعيد ، الا يسمح لاحد

من أعوانه المكلفين بالتعذيب ، من الاقتراب
منه ، وان يتولاه احد الحراس بالمراهم
والادوية حتى تبرأ جراحه ، لانه لا يطمئن لاي طبيب
يأتي من خارج السجن لعلاجه
بدأ عثمان الحبشي يحس بان نذر العاصفة التي
حذره منها الدكتور وهبي ، تتحرك بسبب
توابع القبض على الجن ، وما حدث من
قفل الباب في وجه زائريه ، وإهمال المذكرات
القانونية التي كتبها المحامون المكلفون
بالترافع عنه ، واحتجاجات الأحزاب
وقادتها ، والتقارير الصحفية عن سجن
بورتا بينيتو وما ترتكب فيه من مخالفات
وما تقع فيه من ممارسات غير قانونية
ضد المساجين ، من خلال شهادات مساجين
سياسيين سابقين ، قضوا أياما في السجن
وتعرضوا للضرب والتعذيب ، مما رجح
وجود اعتداء جسدي على زعيم حزب
الجبهة ، كما تقول تلك التقارير التي تتوجه
بنداءاتها للرأي العام المحلي والدولي
لانقاذ الجن من جلاوزة النظام الحاكم
ورغم ان الحملة التي تدين اعتقال الجن
استمرت ، الا ان عاصفة أخرى اكثر قوى
هبت على البلاد ، أزاحت من طريق
الحبشي ، بواكير العاصفة التي اثارها إلقاء
القبض على الجن ، وهي عاصفة جاءت
بسب مواقف بعض الدول الغربية من
القضية الليبية ، اعتبرتها القوى السياسية
في البلاد ، مؤامرة على الاستقلال ، ففي حين
كان الشعب ينتظر أخبارا سعيدة عن مصير
بلادهم بعد انتهاء مهمة اللجنة الرباعية

بذلك الإجماع الوطني على الوحدة
والاستقلال ، إذا ببريطانيا ممثلة في وزير خارجيتها
السيد بيفن ، وإيطاليا ممثلة في وزير خارجيتها
الكونت سفورزا ، يقدمان مشروع قرار
مشترك لهيئة الأمم المتحدة بالفكرة القديمة
التي تقضي بتقسيم ليبيا بين ثلاثة دول هي
إيطاليا التي ستبسط وصايتها على طرابلس
لمدة عشر سنوات قادمة ، وبريطانيا لتتولى
الوصاية على برقه وفرنسا على فزان لنفس
المدة. وتفجر الشارع ، غاضبا ، يائسا ، محبطا
لا في طرابلس فقط ، وانما في كل مدينة وقرية
في أنحاء ليبيا ، رافضا هذا المشروع ، لاعنا
في لا فتاته وهتافاته بريطانيا ، التي كانت دائما
تتظاهر بانها مع قضية الاستقلال ، بينما تعمل
في الخفاء ضده ، وتتيح لإيطاليا التي أفنت
ثلث الشعب الليبي ، ان تعود لحكمه
من جديد ، ولذلك اتجه المتظاهرون نحو
الأمكنة التي اعتبروها رمزا من رموز الإدارة
البريطانية يقذفونها بالحجارة ، بدءا من
مقر الولاية ، الى بنك باركليز ، الى مراكز
الشرطة ، ورغم ان افراد الشرطة اكتفوا
هذه المرة بمقاومة المتظاهرين بخراطيم
المياه ، والقنابل المسيلة للدموع ، الا ان
المتظاهرين واصلوا تحديهم للشرطة ، وعادوا
ليوم ثان وثالث ورابع ، يزدادون مع كل
يوم شراسة وعنفا في التعبير عن احتجاجهم
وقد ترك بعضهم الحجارة وعمد الى استخدام
مشاعل النار ، خاصة أثناء محاصرة النادي
الإيطالي الذي ألقيت عليه هذه المشاعل فتسببت
في إشعال حرائق في بعض أجزائه

مما أرغم الشرطة على استخدام الرصاص
لتفريق المتظاهرين ، نتج عنه سقوط خمسة
من القتلى وعدد اكبر من الجرحى ، ولم
تتوقف المسيرات والمظاهرات رغم ذلك
الا بعد ان جاءت الأخبار بان مشروع
بيفن ــ سفورزا سقط عند الاقتراع عليه
في الأمم المتحدة ، وتحولت المسيرات
في اليوم السادس الى مسيرات فرح واحتفال
بهذا السقوط ، واتجهت الى المطار لتوديع
الوفد الذي ذهب ممثلا لولاية طرابلس
برئاسة بشير السعداوي ، الى امريكا ليدافع
أمام الجمعية العامة للامم المتحدة هناك عن قضية
استقلال ليبيا ، ورافق الزعيم السعداوي
عدد من القادة ، ممن سبقوا ان تقدموا الى الوالي
بطلبات لزيارة محمد الجن في السجن ، وجاء
سفرهم لامريكا ينقذ الحبشي من الورطة
التي كانت تنتظره في حالة موافقة الوالي
على هذه الطلبات
انتهت المظاهرات ، وسافر الوفد إلى أمريكا
ورغم تفاعل القصة على المستوى الدولي
الا انه بالنسبة لطرابلس فقد عادت الحياة الى
هدوئها ، وبدا المشهد السياسي واقفا ، متجمدا
في انتظار ما تسفر عنه المداولات في الهيئة
الأممية ، وعرف الحبشي ان ايزابيلا ، كانت
في النادي عندما انهمرت عليه مشاعل النار
وانها انقاذا لنفسها من الحريق رمت بنفسها
من الطابق الثاني ، وانتهت بساق مكسورة
تنام في مستشفى كانيفا لتجبيرها
كما بدا ان الجو خلا الان لقضية محمد الجن
كي تعاود الظهور ، بجهود اعضاء حزبه

وانصاره ومحاميه ، الذين تركزت مطالبهم
في الإفراج على سجينهم بكفالة الى حين موعد
المحاكمة ، وكان أخشى ما يخشاه الحبشي ان تجد
جهودهم قبولا من الوالي ، فيخرج الجن لكشف
ما حدث له في السجن ، ومواصلة نشر
الحلقات التي توقفت بسبب حبسه ، عن
استيلائه على المزرعة الحكومية ، والملفات
التي وعد بنشرها عن تربح الحبشي من
علاقاته الإيطالية واليهودية ، مزودا هذه المرة
بطاقة من الغل التي اكتسبها أثناء السجن
ومسلحا بآثار الضرب والتعذيب ، وإطفاء السجائر
في جسمه ، مما يجعل احتمال نجاحه في إرغام
السلطة العسكرية البريطانية على فتح تحقيق
في ادعاءاته ، احتمالا واردا ، وهو أمر
يوجب القلق والحذر ، ولم يكن أمام الحبشي
أحدا يستطيع ان يتذاكر معه في هذا الموضوع
غير شريكه في تدبير المؤامرة لسجن الجن ، شوقي
سعيد ، الذي بدا اكثر قلقا من رئيسه ، فاثار
الحروق في جسد الجن ستبقى شاهدا على
ما حدث له رغم المراهم والزيوت ، ولن تزول
الا بشيء واحد هو زوال الحبشي نفسه
من الوجود ، ولدى شوقي سعيد أساليب لن تخيب
سبق ان جربها مع آخرين ، في هذا السجن
وفي سجون قبله في فلسطين ، بحيث تتم
تصفية الجن بطريقة لا تجلب اية شبهة
إحداها ان يعثر عليه معلقا من تكة سرواله
المربوطة باسياخ الحديد في نافذة الزنزانة
وسيتم الإعلان عن وفاته باعتباره انتحارا
كما تتم دعوة جهات قضائية وطبية للكشف عنه
واثبات الانتحار ، لانه لا سبيل لمعرفة الحقيقة

وهي ان الذي ربط تكة السروال حول عنه
وعلقه في اسياخ الحديد واحد من أعوان
السجن . لم يستطع عثمان الحبشي ان يصدر
امرا صريحا لشوقي سعيد بقتل محمد الجن
واكتفى بان وقف ليودعه قائلا :
ـ افعل ما تراه صوابا .
لا صواب في جريمة قتل كهذه ، ولكنه واثق
ان شوقي سعيد ، سيذهب مباشرة الى السجن
لتنفيذ ما يراه إنقاذا للموقف
في صباح اليوم التالي ، ارسل عثمان الحبشي شرطي
المراسلة الى شيخ القضاة ، والى مدير المستشفى
المركزي ، يطلب منهما ارسال لجنتين قضائية
وطبية لمعاينة حالة انتحار داخل المستشفى
وجاء بتقرير اللجنتين ، لعرضه على الوالي
وتبليغه بانتحار محمد الجن
ورغم دعاوى أهله وحزبه بضرورة الكشف
عن جثته ، فان سلطات السجن لم تترك أحدا
يقترب من الجثة ، وظلت تحت حراسة مشددة
منذ ان أخذت الى ثلاجة الموتى في المستشفى
الى ان تم نقلها الى المقبرة ، دون مرور
بمصلى سيدي منيدر ، لان المنتحر لا تجوز
عليه صلاة الجنازة ، ولم يتم تبليغ أسرته الا
في اللحظات الأخيرة ، لحضور مراسم الدفن
بحجة ان هذا ما تقضي به لوائح السجن ، وتقديم
نسخ من تقرير اللجنة القضائية والطبية
لمن يشكك أو يطعن في صدق ما حدث له
داخل السجن
انتهى محمد الجن . كل ذلك الضجيج الذي اتعب
اذني عثمان الحبشي وملأ رأسه بالهواجس
والمخاوف انتهي ، وطويت الصفحة التي اقلقت ا

لحبشي على مدى السنوات التي قضاها
في مركزه ، حتى كاد يحرمه من ان يستمتع
بما في المركز من جاه وسلطان . دخل الجن
الحياة السياسية كأنه عاصفة ، واصدر صحيفته
العاصفة التي صار ت اسما ثانيا له ، وهاهي
حياته تنتهي بمثل ما تنهي دوامات الريح التي تهب
فجأة وتخمد فجأة في الصحراء
لقد أثار سجنه ردود فعل كثيرة ومثيرة ، وسيثير
موته ردود فعل اكثر صخبا ، لكنه يستطيع
الان ان يرتاح ، لان مصدر الخطر ، الذي ظل
يصنع له المشاكل ويبحث له عن الفضائح ، ويهدد
بنشر أسرار حياته أمام الرأي العام ، واستعداء
رؤسائه عليه ، قد انتهى
أعوانه في الحزب يتهمون الشرطة بقتله ، ويطالبون
بالتحقيق في اغتيال زعيمهم ، ويرسلون نداءاتهم
الى هيئات دولية يطالبونها بالتدخل لفرض العدل
والقانون على الإدارة العسكرية البريطانية
ويشيرون بإصبع الاتهام لعثمان الحبشي
باعتباره المدبر الأول لهذه الجريمة
وكان اكثر ما تأثر له عثمان الحبشي ورود
رسالة إليه ، موجهة من أرملة الجن ، تتهمه
فيها بانه وراء قتل زوجها ، وانها لم تكن
تتصور ان يصل به الحقد الى حد قتل الرجل
الذي لم يفعل له شيئا سوى انه ذكره بأخطائه
وانحرافاته بهدف ان يقوم بإصلاح نفسه
وتفادي هذه الأخطاء ، وبدلا من ان يفعل ذلك
اذا به يوغل في عالم الا نحراف والجريمة
إنها الآن فقط تدرك الي أي مدى كان زوجها
الراحل صادقا في توصيفه للحبش بانه رجل
مجرد من الإنسانية وصاحب قلب متحجر ومشاعر

متوحشة ، الا انها لن تسكت عن جريمته او تغفر
له اغتيال والد طفلها ، وستبذل اقصى ما في جهدها
لكشف الرجل الذي صنع منها أرملة ، وصنع
من طفلها يتيما قبل ان يكمل عامه الأول
وأفهمته في ختام الرسالة ان يعتبر علاقته
بالمدرسة علاقة منتهية ، لانها لا تريد ان
تراه يطأ المدرسة بقدميه
وفي داخل اجتماعات الحزب ، تحمس الأعضاء
لانتخاب أرملته رئيسة للحزب ، الا انها اعتذرت
بسبب ظروف المجتمع الليبي التي لم تنضج
الى حد القبول بامرأة تقود العمل
السياسي ، واكتفت بان تتولى رئاسة لجنة
الحريات التي جعلت مهمتها الكشف عن غموض
الجريمة التي أودت بحياة محمد الجن ، والعمل
على إحياء ذكراه ونشر تراثه وتذكير الشعب
بتضحياته من اجل انجاز الحرية لبلاده
تأثر كثيرا للرسالة التي جاءته من المرأة
التي كانت في يوم من الأيام إحدى اقرب الناس
اليه ، وهاهي اليوم تجاهر بكراهيتها وشدة
عدائها له ، وتهدد بالانتقام منه ، ولعلها ترضع
ابنها حليب الحقد عليه وتربيته على اخذ الثار
لوالده منه . لا يدري عثمان الحبشي من أين
جاءها هذا اليقين بانه قاتل زوجها ، فلابد
انه جاءها من معرفتها ، ربما اكثر من
غيرها ، بمدى الكراهية المتبادلة بينهما
ومن ايمان زوجها ، الذي لابد ان شيئا منه
انتقل اليها ، بانه مصدر من مصادر الشر
في الكون
فاجأه ان بيانا صادرا عن مؤتمر للهيئات
الشعبية والحزبية ، يطالب بالتحقيق في ملابسات

اعتقال وموت محمد الجن ، يحمل توقيعات
المسئولين عن هذه الهيئات وممثليهم ومن
بينهم توقيع الدكتور وهبي
ذهب اليه في مكتبه ، يحمل نسخة من الصحيفة
التي نشرت البيان ، يسأله ان كان هو الدكتور
وهبي شمس الدين صاحب التوقيع ، ام ان هناك
شخصا غيره يحمل هذا الاسم ، فاجابه بانه
وضع توقيعه على البيان نيابة عن حزب
المؤتمر باعتباره مساعدا لرئيس الحزب الموجود
خارج البلاد ، فلم يكن ممكنا ان يعتذر عن
توقيع البيان الذي صدر بإجماع الحاضرين
من ناحية شخصية فقد كان أول من جاء يحذره
من أسلوب تعامله مع هذا الملف الساخن ، الحارق
منذ اللحظات الأولى للقبض على الجن ، فهو
ليس رجلا نكره يستطيع ان يحبسه كما يشاء
ثم يمنع عنه الزيارات داخل السجن ، ثم يقول
للناس انه شنق نفسه ، دون ان يثير ذلك
سخط الرأي العام . وابلغه صراحة انه لا
يصدق الرواية الرسمية عن سبب اعتقاله
او سبب موته ، وانه لم يكن ابدا يتصور
ان يذهب في انتقامه من محمد الجن الى
هذا المدى المتطرف . واستنكر الحبشي ان يسمع
من صديقه مثل هذا الاتهام الصريح ، مشيرا
الى تقرير اللجنة الطبية ولجنة القضاء
الشرعي ، الذي يؤكد واقعة الانتحار، الا ان الدكتور
وهبي لم يعط أهمية للتقرير ، قائلا بانه لن
يقف حاجزا دون تحقيق جديد ، وفي غيظ قال الحبشي :
ـ مات الجن وانتهى ، وهذه البيانات والاحتجاجات
لن تعيده الى الحياة ، ولن يعيده اليها أي تحقيق جديد.
ـ انها سابقة خطيرة ، استفزت الرأي العام ، الذي

لا يريد لمثل هذا الحادث ان يتكرر.
- لن يتكرر لانه لا وجود الا لجن واحد ، هو الذي قتل نفسه داخل زنزانته .
- الرأي العام يريد ان يعرف الجناة .
- وهكذا بمنتهى البساطة ، اعتبر السيد رأي عام ، ان ما حدث جريمة ، وان هناك جناة وراء هذه الجريمة .
- فليثبت التحقيق انه لا وجود لجريمة ولا وجود لجناة .
- متى تقتنع يا اخي ان القاتل والقتيل في هذه الجريمة ، اذا اعتبرتها كذلك ، هما شخص واحد هو محمد الجن ، عليه لعنة الله .

خرج من مكتب صديقه الدكتور وهبي غاضبا مدركا ان حاجزا سميكا صار يفصل بينه وبين هذا الصديق الذي لا يريد ان يفهم دوافعه للقضاء على غريمه الجن ، فقد وصل الامر الى مرحلة لا يستطيع معها الانتظار حتى يقضي عليه ويدمر حياته ، فقد اضحى الاختيار واضحا اما ان يفتك به الجن ، او يسرع هو للفتك به اولا ، ولا وجود لاي خيار ثالث

تجنب خلال الأيام التي أعقبت موت الجن ان يلتقي بالوالي لكي لا يضطر للإجابة على اية تساؤلات يمكن ان تصدر عنه حول الموضوع ، وطالما انه لم يرسل لاستدعائه فمعنى ذلك انه أبقى نفسه بعيدا عن تأثير الضجة التي تطالب بإعادة التحقيق ، ولن يضير الوالي قليلا او كثيرا ان يكون الجن قد لاقى حتفه انتحارا أو بفعل فاعل ، فقد تخلص هو أيضا ممن كان يمثل إزعاجا مستمرا لادارته ، هكذا فسر الحبشي موقف رئيسه وبرغم موقف الوالي الذي يبعث على الارتياح الا ان الحبشي لم يكن ستطيع ان يبقى بمنجاة

من هذا القلق الذي تثيره في نفسه ردود الأفعال لما حدث ، فعالج القلق بمداومة الذهاب الى المقهى الشرقي للتسلية وتمضية جزء من الليل مع صديقه نعمان ، مصطحبا معه صديقه انور يستمع الى غناء نجوم السهرة وبينهم المغنية سارة ، التي عادة ما كانت تأتي بعد أداء وصلتها لتحيته والجلوس معه بضع لحظات يسألها خلالها عن النادي اليهودي وعن خالها السيد بنجامين ، الذي يرسل دائما تحياته اليه عبر ساره ، وسألها في آخر زيارته للمقهى مداعبا عما إذا كان الوقت قد حان لإضافة ديانة رابعة الى دياناتها السابقة فأجابته:

ـ الا تكفي ثلاث ديانات ؟

ـ هذا إنجاز عظيم ، فالواحد منا يعجز عن ان يحافظ على دين واحد .

ـ تعلمت من تجربتي ان كل دين يحتوي الأديان الأخرى جميعها .

ـ لابد ان يأتي يوم تتوحد فيه الأديان .

وتدخل انور قائلا :

ـ هل جئنا هنا لنشرب ونضحك، ام نتحدث عن الأديان.

ووافق نعمان على ما قاله انور مؤكدا ان الحان ليس هو انسب الأماكن للخوض في الأحاديث الدينية ، فرفع الحبشي كأسه قائلا :

ـ هذا أيضا دين آخر ، معبده الحان ، فلا تغضبا .

رفعوا هم أيضا كؤوسهم يضربونها بكأسه.

وصلت السهرة الى ختامها ، وجاء موعد عودته الى بيته ، ليقضي بقية الليل مسهدا ، يحدق في الفراغ ، ولأول مرة منذ ان بدأ يتردد على هذا الملهى ، يجد نفسه يسأل إحدى مضيفاته اللائى يجالسن الزبائن ، ان تذهب معه الى بيته

وكانت امرأة هاربة من الأرياف ما تزال
تحتفظ بلهجتها البدوية الشرقية ، فقد أحس انه
يحتاج الى شيء من المؤانسة وهو هناك
وامرأة تشغله عن البقاء مع هواجسه وأفكاره ، حتى
لو لم يذهب بها الى السرير . يكفي
فقط ان تكون بصحبته
وأثارت المرأة فضوله عندما قالت ، أثناء
الدردشة معها في صالون البيت ، انها كانت تجلس
مع ثلاثة تجار ليبيين ، أحدهم عضو في
حزب السعداوي ، ويفتخر بانه هو الذي
تبرع للزعيم بثمن التذكرة التي سافر بها
الى امريكا ، قال عندما رآى عثمان الحبشي
يدخل الملهى ، بانه أحد الرجال الجبابرة ، فوافقه
زميلاه وابديا إعجابهما بحزمه وقوته ، فسألها
الحبشي عن سبب هذا الإعجاب ، فقالت
لانهم يقولون بانه لا يجرؤ أحد على انتقاده
او معارضته فيما يفعل ، وعندما اخطأ أحدهم
وفعل ذلك ، كان انتقامه منه شديدا ، الى حد
انه ألغاه من الوجود . وقالت انهم ذكروا اسم الرجل
الذي نال هذا المصير الا انها لم تحفظه ، وسألته
في بساطه :
ــ كيف حقا مسحته من الجود ؟
فطلب منها الا تصدق ما يقوله أناس سكارى
في ملهى ليلي ، لانه لا خصومة له مع
أحد ، ولا حاجة به للانتقام من أي إنسان
او مسحه من الوجود وان تنسى الموضوع وتذكر
له شيئا مما تحفظه من الأشعار البدوية
جلس يتقاسم معها زجاجة الويسكي حتى
انتهت ، نامت المرأة فوق الكرسي إعياء وثمالة
فتركها حيث هي ، دون ان يعتني بإيقاظها كي

تقوم وتشاركه النوم في سريره ، وذهب بمفرده
الى غرفة نومه ، راجيا الحصول على إغفاءة
آخر الليل
اللقاء الذي كان يتجنبه مع الوالي حدث بشكل
عرضي ، فقد وجد الوالي يستدعيه لحضور مقابلة
له مع الشيخ اندقازن ، شيخ قبائل الطوارق
في غدامس ، الذي جاء يحمل مطالب قبائله الى
حكومة طرابلس ، ورغم ان الشيخ الطارقي يتكلم
العربية التي يفهما الوالي ، الا ان بلاكلي خشي
ان تغيب عنه بعض الكلمات والتعابير ، فاستدعى
عثمان الحبشي لحضور اللقاء ، والتدخل بالشرح
إذا لزم الأمر، خاصة ان موضوع المقابلة
يتصل بقضايا أمنية ، فالشيخ الطارقي يطلب
تسهيل العبور لابناء قومه بين النقاط التي تفصل
اقليم طرابلس عن فزان ، في مناطق
الحمادة الحمراء ، لانهم يعتبرون الصحراء
بيتهم ، ولا يستطيعون التفريق بين جزء منها
ينتمي الى طرابلس واخر ينتمي الى فزان
او برقه ، وقد تكررت المشاحنات بينهم وبين
بعض حراس النقاط الحدودية ، ويرجو من الوالي
إصدار تعليماته لتسهيل عبور هؤلاء الطوارق
من قاطني الصحراء . بعد ان انتهاء
المقابلة ، سال الوالي عثمان الحبشي ان يبقى
ليعرف رأيه في هذه الضجة التي أثارها
انتحار محمد الجن ، وعما إذا كان يشك في ان
هناك شبهة جنائية في قتله من طرف أحد
عناصر السجن ، او من طرف خصم من
خصومه من خارج السجن ، عرف كيف
يتسلل له بداخله ، بتواطيء من العاملين
في السجن ، دون ان يشير الى الاتهامات

التي توجهها بعض الأطراف الى الحبشي
شخصيا ، وكي يقفل الباب أمام اية تصورات
او استنتاجات يمكن ان يفكر بها الوالي ، فقد
خاطبه بلهجة حاسمة ، محددة ، لا تعوزها
الثقة بالنفس ، قائلا بانه تولى بنفسه مباشرة
موضوع الجن من البداية الى النهاية ، وانه
تابع خطوة بخطوة ظروف سجنه الى ساعة
موته ، ويتحمل مسئولية ما يقول ، فقد تم
القبض عليه ، بناء على إذن من الوالي باعتباره
شخصية ذات ثقل سياسي ، كما تم استجوابه
بالطرق التي يستخدمها السجانون مع غيره
من نزلاء السجن ، ممن يرفضون الاعتراف
بجرائمهم ، وهي أساليب قد تترك آثارا
على جسم السجين ولكنها لا تكون سببا
في هلاكه ، وقد حدث موته بالطريقة الواردة
في تقرير اللجنتين الطبية والشرعية
وانهي حديثه حول الموضوع برفض كل الا تهامات
الواردة من عدة جهات في هذا الخصوص
ويعتبرها اتهامات باطلة ، فأمره الوالي بإعداد
مذكرة يرد فيها على هذه الاتهامات
ويرفقها بكل ما يتوفر لديه من تقارير طبية
وشرعية ، مع رسالة إرفاق باسم الوالي ، يقوم
هو بتوقيعها وإرسالها للجهات التي تطلب التحقيق
واعطاء نسخة منها الى جريدة طرابلس الغرب
لاستخدامها في مقال يرد على هذه الاتهامات
أراحه ما أبداه الوالي من تفهم للقضية
آمالا ان ينتهي الموضوع عند هذا الحد ، الا ان الأمر
الذي يقلقه حقا ، هو ان اغلب الناس
يتعاملون مع القضية باعتبار ان ما تقوله
صحيفة حزب الجبهة ، وما يقوله أعضاء

الحزب ، حقيقة مفروغ منها ، وان عثمان
الحبشي أمر بقتل الجن ، انتقاما مما كان ينشره
عنه من انتقادات ، حتى في الأوساط
الأجنبية ، التي لا يتوقع ان يكون لديها اهتمام
بالمصير المأساوي الذي لاقاه الجن ، وجد
من بينها من يحمل هذه القناعة ، مثل
ايزابيلا ، التي تصلح ان تكون عينة لآراء
الجالية الإيطالية ، والتي بدت شديدة الإعجاب
بما فعله الحبشي مع الجن ، قائلة في حماس وغبطة:
ـ لقد أزحته من الطريق بقوة وشجاعة ، دون ان
تعبأ بما يقولون.
كانت هي أيضا ناقمة على الجن ، وتعتبر ان ما
حدث لها من متاعب ، وما حدث للنادي
من حريق ، انما كان بسبب الرعاع الذين
يندفعون لاعمال التخريب بتحريض من الجن
وحزبه . كان قد زارها الحبشي في قسم العظام بمستشفى
كانيفا ، فوجد أنها قد أزالت الجبس عن ساقها
منذ يوم او يومين ، وأبقاها الأطباء في
المستشفى للقيام ببعض التمارين على المشي
تحت رعايتهم ، وهي شديدة الشوق للخروج
في فسحة قصيرة لبضع ساعات كما أخبرت
الحبشي ، رغم أنها مازالت تستخدم عكازا
في المشي ، فأخذها للعشاء في مطعم القط
الأسود ، ثم لقضاء جزء من الليل في بيته
قبل أن يعيدها الي غرفتها في المستشفى
دون ان تحول اعاقتها من الاستمتاع بمباهج
اللقاء الجسدي بينهما
حاول إفهام ايزابيلا ، بانه رجل أمن يقوم
بواجبه في حدود القانون ، وانه ليس مسئولا
عن الإشاعات التي يروجها خصومه

السياسيون ، الا انها استمرت في التعبير
عن قناعتها وقناعة كثيرين من أبناء
قومها ، بان الحبشي استطاع ان يخلص
المجتمع من عنصر من عناصر الفتنة
واعداء التفاهم بين الليبيين والجاليات الأجنبية
مؤكدة له ، ان هذا الكلام لا يقوله أعداء الجن
فقط ، وانما يقوله جمهور عريض يعرف
الخدمة التي أسداها الحبشي للسلام الاجتماعي
في البلاد ، وكان كل ما طلبه منها الحبشي ، ان تتوقف
عن ترديد هذا الكلام ، لانه يحمل في طياته اتهاما
له بالقتل قد يسوقه الى الإعدام
على الجبهة الأخرى التي تطالب بالانتقام
من موت الجن ، واصلت أرملته حملة الاحتجاج
وكتابة البيانات وإجراء المقابلات مع صحيفة
الحزب وصحف المعارضه ، وكتابة الرسائل
والنداءات تستنهض فيها الهيئات الدولية
المعنية بالقضايا الإنسانية ان تسعى لتأييد
مطلبها بإعادة فتح التحقيق في موت زوجها ، التي
تتهم سلطات السجن بقتله ، كما حدث نوع من
الجفاء بين الدكتور وهبي وعثمان الحبشي
الذي لم يستطع القبول بموقف الشك والاتهام
من اقرب أصدقائه ، فامتنع عن زيارته في
مكتبه والذهاب الى الحفلات التي يقيمها
في بيته او التردد على مقر الحزب الذي يديره
وقضاء امسياته هناك كما تعود ان يفعل سابقا
واقتصرت زياراته المسائية على متجر صديقه
وشريكه انور ، الذي يصحبه معه أثناء الليل
لقضاء السهرة في المقهى الشرقي ، الا ان
هذين المكانين لم يفلحا في معالجة الإحساس
بالوحدة الذي صار يتنامى لديه ، وما يعانيه

في حياته من فراغ توافق مع اشتداد
الحملة التي تطالب بالقصاص منه ، فلم يعد
كافيا ان تملأ هذا الفراغ مومس يلتقطها
من الملهى ، لانه كثيرا ما وجد صعوبة في
التواصل مع هذا النوع من النساء ، مهما
أبدل واحدة بأخرى ، وجاء بدل المرأة
البدوية بأخرى من بنات المدينة ، و ثالثة
من بنات الجاليات الأجنبية ، ليجد ان النتيجة
هي نفس النتيجة معهن جميعا ، وذات الاحساس
بان وجودهن لم يبعد عنه ما يعانيه من ضجر
وفراغ ولم يمحو شيئا من خواء لياليه ، كان
إحساسا بالخيبة يتكرر معه دائما ، مضافا
اليه ذلك الشعور بالهوان الذي يرتبط دائما
بمعاشرة العاهرات
هناك دائما سونيا ، بحماسها الذي لا يفتر
لاقامة الحفلات الصاخبة ، ونجاحها الذي
لا يتخلى عنها ، في استقطاب الوجوه النسائية
الجديدة الجميلة ، علاوة على اجندتها المليئة
بالعناوين والهواتف التي تمثل احتياطيا
استراتيجيا من النساء اللاتي يسهل استنفارهن
لخلق الأجواء الاحتفالية الفرائحية في أوقات
قياسية ، الا انه يرى من حسن التدبير
ان ينأى عن إقامة الحفلات في هذه الأوقات
الحرجة ، وان يبقى في الظل خلال هذه الفترة
التي تثار فيها العواصف في وجهه ، وان يمشي
ملتصقا بالحائط دون ضجة ولا صخب ، جاعلا
وجوده غير مرئي بقدر ما يستطيع ، لكي لا يعطي
فرصة للأعين التي تتربص به وتترصد
حركته ، فرصة ضبطه في موقف قد يفيد
خصومه في حربهم ضده ، فهو لا ينسى

انهم ارسلو ا اكثر من مرة مصورا يقف قريبا من بيته ويحاول ان يتسلل بمحاذاة النوافذ خاصة في أوقات الحفلات ، ليصور ما يدور داخل البيت ، ويهرب راكضا عندما ينتبه اليه الحارس او أحد العاملين معه ، ورآهم أكثر من مرة يأتون أمام بابه في الصباح ويخطفون سلة القمامة التي تضعها الجازية هناك ليأخذها جامع القمامة ، فيسبقونه عليها بأمل ان يجدوا بقايا ورقة أو رسالة أو فاتورة تدينه ، كما انه ليس واثقا من انه سيجد في هذه الحفلات علاجا للقلق الذي يشعر به ، إذ ان كل ما تستطيع سونيا تقديمه عن طريق هذه الحفلات ، هو ا ستبدال العاهرات اللاتي يجلبهن من الملهى ، بعاهرات متنكرات في صورة نساء شريفات ، والدليل على ذلك انهن جميعا يتقاضين ثمنا مقابل ما يقدمنه له من خدمات ، كل ما يميزهن انهن ارقى قليلا ، واكثر جمالا من نساء المقهى الشرقي واعلى ثمنا كذلك ، تبقى المواعيد الفردية التي يمكن لسونيا ترتيبها دون حاجة لاقامة الحفلات ، فهي ما يناسبه في هذه الآونة الا ان سونيا ليست دائما جاهزة بمثل هذه المواعيد التي تجد صعوبة في ترتيبها ، وتفضل ان تبذل جهدا يستغرق أياما في التحضير لحفل على ترتيب موعد لرئيسها مع امرأة واحدة فالحفل يقدم غطاء جميلا لدعوة من تشاء من النساء ، دون إحساس بالحرج ، ولا باس لترتيب مثل هذا الموعد أثناء الحفل ، اما هكذا من خلال زرقة الأفق كما تقول ، فالأمر سيكون في غاية الصعوبة ، وعندما سألها الحبشي

عن إمكانية ترتيب مثل هذا الموعد على سبيل
التغيير ورؤية وجوه نسائية غير التي يلتقي
بها في المقهى الشرقي ، لم ترفض ، ولم تعد
بترتيب الموعد المأمول في وقت قريب
الا ان الصدف الجميلة ، ساقت لها في اليوم التالي
لطلب الحبشي ، فتاة يمكن ان تقدمها
لرئيسها دون ان ان تعرضها لحرج الاتصال
بنساء الاجنده ، تبحث بينهن عمن ترضى
بالمجيء لمثل هذه المواعيد الخاصة ، فقد
تلقت مكالمة هاتفية من قسم شرطة المدينة
تحمل استفسارا عن حالة فتاة جاءت الى القسم
تشكو من ان شابا ايطاليا وعدها بالزواج
وهرب خارج البلاد ، بعد ان سلبها بكارتها
وان أسرتها طردتها من البيت بعد ان عرفت
بما حدث بينها وبين الشاب الإيطالي ، ولا يدري
مسئول القسم ماذا يفعل بشأنها ، فاعتبرت
سونيا ان الفتاة عطية من السماء ، لتبييض
وجهها مع رئيسها ، وسألت ضابط القسم
ان يرسل الفتاة الى مكتبها لتدبير مكان يؤويها
وعندما جاءت ، وجدتها فتاة في سن الصبا في العام السادس او
السابع عشرة من عمرها ، الا انها ذات جسم فائر
الأنوثة مليء بالنتوءات والاستدارات التي تثير
الرجال ، ووجه مضيء مستدير ، جعله الانفعال
والبكاء اكثر احمرارا من حمرته الحقيقية
وعينين سوداوين واسعتين ذاتا طابع شرقي
جميل ، فاسعدها ان تحمل الفتاة كل هذه
المؤهلات الجمالية الأنثوية التي سيبتهج الحبشي
بوصولها لحوزته ، وسألتها عن مشكلتها
فذكرت اسم تاجر إيطالي معروف ، يملك متجرا
للذهب بسوق المشير ، قالت انها تعرفت

بابنه الذي وعدها بالزواج ، والبسها دبلة الخطوبة
التي ما تزال في إصبعها في حفل اقتصر عليهما
فقط ، تمهيدا لاعلان الخطوبة والزواج في المستقبل
ولم تعرف الا بالأمس انه غادر البلاد الى إيطاليا
بعد ان وصلها منه خطاب يقول فيه بانه لن
يعود الى طرابلس ويتنصل فيه من ارتباطه بها
ولكن رحيله عن طرابلس حدث بعد ان تمكن من
خداعها وسلبها عذريتها ، فعادت باكية
الى البيت ، وظلت تبكي حتى الصباح ، ولم
تستطع ان تخفي الأمر عن أمها التي أخذت
منها الخطاب ووجدت من قرأه لها ، وعادت
مجنونة غضبا تريد قتلها ، وتحمل في يدها
قضيبا طويلا من الحديد صارت تضربها
به ، فصارت تصرخ وترفع يديها تتقي بهما
الضربات لكي لا تهبط على رأسها فتصيب
منها مقتلا ، دون ان تجد احدا تحتمي به
فهي وحيدة امها التي تولت تربيتها بعد ان
مات والدها وهي طفلة ، ولم يكن امامها سوى
الهروب والالتجاء الى مركز الشرطة القريب
من البيت ، تقدم له شكواها ضد الشاب الذي
غدر بها ، وتطلب ان يعمل على ارجاعه بالقوة
الى طرابلس ليفي بالتزامه نحوها وينقذها
من العار الذي تركه لها . اسلمتها الرسالة
التي تلقتها من حبيبها الهارب ، فقرأتها سونيا
وقالت لها بانها وثيقة تؤكد صدق قصتها
وتحمل اعترافا صريحا من الشاب بالوعد
الذي قطعه على نفسه بان يتزوجها
وطمأنتها بان إدارة الأمن ستحاول إيجاد
حل لمشكلتها ، وطالما انها لا تستطيع العودة
الى بيت امها قبل اصلاح الأمر مع الشاب الذي غدر

بها ، فانها ستحاول إقناع مدير الأمن ان يأخذها الى بيته ، لكي لا تبقى ضائعة في الشارع عرضة لمضايقة الرجال ، فصارت الفتاة تبكي وتمسك بيد سونيا تريد تقبيلها ، قائلة بانها ستعمل خادمة بدون مقابل ، اذا وجدت بيتا يأويها كانت سونيا تعرف ان الحبشي يتجنب التورط مع نساء ليبيات ، لما يمكن ان يجلبنه من مشاكل وما يثرنه من حساسيات ، وقد يبدي غضبه منها كما حدث في مرة سابقة ، عندما ظنته سيكون كثير الامتنان لها ، لانها قدمت له فتاة ليبية عذراء ، فوجدته غير راض عن تصرفها رافضا ان يلمس الفتاة ، لما يشعر به من إثم إزاء إفساد حياتها ، وامرها ان تمنحها بعض النقود ، وتتركها تعود الى أهلها ، وهي ما تزال محتفظة بشرفها ، الا ان الحالة هذه المرة تختلف ، فهي امرأة صغيرة تبحث عن مكان يؤويها ، وانتقالها الى بيته سيكون إنقاذا وحماية لها، ودخلت الى مكتبه تزف اليه بشرى تحقيق مطلبه ، قائلة بانها حقا فتاة صغيرة ذات جمال ليبيي شرقي أصيل ، الا ان هناك من قطف زهرتها وهرب ، فلا إثم ولا حرج في ان يستمتع بها إذا شاء . ثم غادرت المكتب للحظات قصيرة ، عادت بعدها ممسكة بيد الفتاة التي كانت ما تزال تكفكف دموعها ، وما ان رآها في قفطانها المنزلي الفقير البسيط ، الذي تمزقت أكمامه وبعض أطرافه بسبب اتقاء ضربات أمها، وشعرها المنكوش المهوش الذي لم تستطع منذ ان خرجت من بيتها هاربة من ضربات أمها ان تعيد إصلاحه وترتيبه ، حتى شعر بإشفاق نحوها ، وانجذاب الى معاني البراءة

البادية في عينيها الجميلتين الكبيرتين
كأعين المها ، وهي تجففهما من الدموع ، وترفع
نظراتها اليه في رجاء ، فوافق ان تذهب
الى بيته ، ولم يفعل ذلك رغبة في الاستمتاع
بها ، او ارضاء لسونيا التي لاح بريق
الانتصار في النظرة الخبيثة الضاحكة التي
رمقته بها ، وانما لانه فعلا شعر بالأسى
لحال هذه الصغيرة ، والرغبة في إنقاذها
من ورطتها
الترتيب في مثل هذه الحالة هو ان تخرج الفتاة
من قصر الولاية ، صحبة سونيا ، التي ستأخذها
في البداية الى بيتها لقضاء فترة ما بعد الظهر
من اجل مزيد من الترويض واعداد الفتاة
لمهمتها القادمة مع الحبشي وإزالة اية
مخاوف لديها وتزيين الامر لها إذا أبدت
ترددا بما في ذلك الإغراء المالي ، وغالبا
ما يتم أخذها الى مزين للسيدات استعدادا
للموعد الليلي ، الا ان فتاة اليوم هي الأصغر
عمرا فيمن سبق ان قامت باصطيادهن
لإشباع غرائز رئيسها ، وهي اقلهن تجربة
إذ لا تاريخ لها في التعامل مع الرجال
ولا فكرة لديها عما ينتظرها في بيت الحبشي
وبالتالي فهي تحتاج الى تمهيد اكثر
من غيرها ، ومهمة سونيا هي ان تضع
الفتاة في جو نفسي مناسب ، يجعل استجابتها
لما يريده منها الحبشي تحدث بيسر وسهولة
ودون اية تعقيدات ، المشكلة ان سونيا تجد
صعوبة في اداء دورها مع فتاة كثيرة البكاء
بطيئة الفهم كهذه الفتاة ، ومع ذلك واصلت
المحاولة، الى ان حان وقت الانتقال بها

الى بيت الحبشي مساء ، حيث أعانتها على
اخذ حمام هناك ، وأكملت لها بعد ذلك
زينتها ، وألبستها قفطان نوم وردي جميل
لتبدو في عيني الحبشي كعروس ليلة
جلوتها ، وأرادت ان تتركها وتعود الى بيتها
غيران الفتاة أبت أن تبقى إلا إذا بقيت معا
فاستجابت لطلبها إكراما لرئيسها الذي لا تريده
ان يعود الى بيته فلا يجد الغزالة التي اصطادتها
له ، وعندما عاد وتحرر من ملابس العمل
وارتدى ملابس الراحة والنوم وجلس للسهر
والدردشة ، سأل الفتاة قائلا :
ـ لم تقل لنا الآنسة ما هو اسمها ؟
ـ صفاء .
ـ هل انت طالبة في مدرسة البنات ؟
ـ لم اذهب لاية مدرسة ، غير مدرسة
البيت أعاون أمي في تنظيف البيت وترتيبه
واحاول ان أتعلم منها الطهي واعمال التطريز
والحياكة .
وتدخلت سونيا لتقول لها بان بيت المدير هو أيضا
يحتاج الى مهارتها في التنظيم والترتيب لكي
تتفرغ السيدة جازية لاعمال المطبخ
أرادت سونيا ان تعود الى بيتها ، وقد وصل الليل
الى منتصفه ، فالتقطت محفظتها ونهضت
واقفة تستأذن في الانصراف ، الا ان صفاء وقفت
مثلها واعادت ما قالته سابقا لها من انها
لن تبقى الا اذا بقيت معها ، فاعتذرت سونيا
قائلة بان ظروف بيتها وزوجها واولادها
لا تسمح بالمبيت بعيدا عنهم ، وان ليس امام صفاء
بيتا يأويها الا هذا البيت ، وادرك الحبشي ما
تخشاه الفتاة فتدخل بحل وسط هو ان تأخذ

سونيا صفاء الى غرفة نوم تستقل بالنوم
فيها ولها مفتاح كي تستطيع ان تقفلها
على نفسها عندما يحين موعد نومها
وان تبقى سونيا معها فترة من الوقت فلا تتركها
الا بعد ان تشعر بالطمأنينة والامان وابلغها
بان تتصرف كأنها في بيتها وان سونيا التي
تعرف تفاصيل البيت ستدلها على أي شيء
تريده . تصرف الحبشي إزاء الفتاة بمودة
وإشفاق، ولم يكن يريد استغلال حالة فتاة
يتيمة ، صغيرة ، مكسورة الخاطر، غدر بها
صديقها ، وغضبت عليها أمها ، وتآزرت الظروف
القاسية على وضعها في هذا المأزق ، فيضيف
هو أيضا هما الى همومها ، بدل ان يكون
عونا لها على اجتياز محنتها ، فاوصى بها سونيا
خيرا ، وسألها ان تواصل اهتمامها بها
وان تعود مساء الغد اليها ، طالما انها
اطمأنت الى صحبتها ، وشعرت معها بالألفة
والأمان ، الى ان يجد طريقة لمصالحتها
مع أمها ، او استدعاء تاجر الذهب الايطالي
لامكانية إرغامه على إرجاع ابنه من إيطاليا
لاصلاح الخطأ الذي ارتكبه مع صفاء ، وكانت
سونيا ترى ان كل هذا سابق لأوانه
الآن ، لانه لابد من مرور بضعة ايام تهدأ
خلالها الخواطر ، وتنتهي فترة التشنج والتوتر
ليبدأ الحبشي مساعيه مع بقية الأطراف ، لتحقيق
المصالحة المرجوة، وتكرر في اليوم الثاني
والثالث والرابع نفس ما حدث في اليوم الأول
وصار روتينا يوميا ان تأتي سونيا لتحضر
جانبا من السهرة ، تنتهي بأخذ صفاء الى سريرها
لتنام في غرفة نوم مستقلة ، لا تطمئن

حتى تقفلها على نفسها
مرت الأيام الأربعة الأولى دون ان يحدث شيء وسونيا لا تبدي اتصالا من الاتصالات التي يقترح الحبشي القيام بها لصالح الفتاة ، لانها تنتظر ان يقطف رئيسها نتيجة جهودها في استقطاب هذه الحلية الجميلة و ما يعقب ذلك من هدية تعود الحبشي ان ينفحها إياها ، في شكل خاتم أو قرط او سوار من الذهب . في اليوم الخامس حدث ما جعل عثمان الحبشي يقضي يومه متأزما داخل المكتب وخارجه ، فقد دخلت على خط محمد الجن ، الصحفية الإنجليزية ، ماريانا ، ذات الأصل الهندي التي سبق ان التقى بها في مكتب الدكتور وهبي ، وحضر معها حفلا أقيم في بيته ، واراد الاتصال بها بعد ذلك في فندقها وتوثيق العلاقة بها ، نتيجة ما حدث من استلطاف بينهما ، الا انه وجد بان ماريانا غادرت طرابلس الى بنغازي لتغطية أخبار الإمارة التي يؤسسها الأمير السنوسي في برقة ، لصالح صحيفتها اللندنية ، ويبدو أنها عادت الى طرابلس مع انطلاق مظاهرات الاحتجاج ضد معاهدة بيفن- سفورزا ، وما وقع خلالها من مصادمات بين الشرطة والجمهور ، لتكتب عددا من الرسائل الصحفية عن هذه الأحداث ، وعندما انحسرت الإثارة التي رافقت هذه المظاهرات ، وأرادت البحث عن قصة جديدة ، اكتشفت قصة انتحار محمد الجن ، وما يدور حولها من أقوال ، وما يتطاير في الهواء من إشاعات واتهامات ، فصنعت من هذه الأقوال قصة صحفية مسلية ، نشرتها في جريدتها "ديلي نيوز" ورأت في المطالبة بإعادة التحقيق الذي تبنته اطراف دولية ومحلية، مطلبا

عادلا ، يرضي الرأي العام الغاضب في طرابلس وينصف الإدارة وخصومها على السواء ، شرط ان تقوم به جهة قضائية مستقلة ، ووجد الوالي نفسه تحت ضغوط من حكومته في لندن بسبب هذا المقال ، تطلب منه القبول بمبدأ اعادة فتح التحقيق في القضية المطروحة للنقاش ، والاستجابة لمطالب الهيئات الحقوقية الدولية والاستعانة بعناصر منها للقيام بهذا التحقيق ضمانا للنزاهة والانصاف ، ولكي لا تظهر الإدارة العسكرية البريطانية وكأنها تتستر على القتلة او تتواطأ معهم على ارتكاب جريمتهم إذا اتضح ان في الامر جريمة أودت بحياة الزعيم السياسي المعارض محمد الجن . وقد بدأ التحقيق الذي يشارك فيه اكثر من قاض من خارج البلاد ، ومراقب من احدى الهيئات الدولية المعنية بالقضايا الحقوقية والعدلية ، وبعثة فنية طبية من بريطانيا لاعادة الكشف على جثة الجن ، واخراجها من قبرها بطلب من أسرته . حاول عثمان الحبشي اكثر من مرة الاتصال بالصحفية التي كتبت المقال ، عن طريق الهاتف ، بعد ان عرف انها عادت للاقامة في فندق المدينة ، حتى عثر عليها وخاطبها بلهجة غاضبة محتجا على الأسلوب المثير الذي كتبت به مقالتها اعتمادا على أقوال المعارضة دون ان تكلف نفسها عناء الاتصال به لتعرف الوجه الآخر للصورة ، ودت عليه قائلة ، بانه لو قرأ النص الكامل لما كتبته ، لوجد انها لم تذكر اسمه او أي شيء يسيء اليه ، كما انها لا تتبنى في مقالها رأي انصار محمد الجن الذين يؤكدون ان رئيسهم مات مقتولا ، وكل ما

طالبت به هو إجراء تحقيق نزيه ومستقل ، يظهر الحقيقة للرأي العام في الداخل والخارج ، الذي أبدى اهتماما بهذا القضية ، وهو مطلب لا يدين بريئا ، ولا يبريء مدانا ، وانما يؤكد براءة البريء ، ويدين من يستحق الإدانة ، ولا ترى داعيا للغضب مما كتبته ، لانها لا تتحيز لاحد ضد الآخر في مثل هذه الصراعات المحلية أنهى معها المكالمة وهو يأسف بينه وبين نفسه ، ان تأتي المقالة التي فتحت أمامه بابا للمتاعب ، من امرأة عاش بوهم انها تحمل له عاطفة خاصة ، يستطيع ان يقول انه رآها في عينيها منذ أول لقاء بينهما ، بمثل ما كان الانطباع الذي رسخ في ذهنه من خلال ما حدث من لقاءات بينهما انطباعا إيجابيا ، وكان يأمل ان يتنامى هذا الود المتبادل ويتحول الى رابطة قوية من التفاهم والصداقة ، فجاءت تقضي عليه بهذه المقالة التي ساقها فضولها الصحفي الى كتابتها. لقد اقترحت ان تلتقي به إذا ما كان لديه حقائق جديدة يريد الإدلاء بها ، ولكنه كان غاضبا منها الى الحد الذي جعله يرد عليها بانه لا يرى فائدة من مثل هذا اللقاء ، بعد ان كتبت ما كتبته ، لان ما لديه من حقائق صار من واجبه ان يتوجه بها الى جهة أخرى غير الصحافة، هي اللجنة المكلفة بإعادة التحقيق

لم يبق أمامه الا العمل على حماية نفسه إزاء تطورات التحقيق وما يمكن ان يحمله من مفاجآت وكان أول إنسان فكر في التنسيق معه اثر سماعه بأخبار بدء التحقيق هو شوقي سعيد الذي احضره الى مكتبه وقفل المكتب بالمفتاح لكي لا

يقتحم أحد جلسته وهو يتحدث معه حول تأمين نفسيهما في مواجهة التحقيق وسأله ان كانت اللجنة قد حضرت اليوم الى السجن وعرف منه انها لم تتصل بالسجن بعد ، فأخبره بانها سوف تحضرالى السجن في اية لحظة لانه المكان الذي وقعت فيه الواقعة ، ومن الطبيعي ان يكون أول مكان تستهدفه عملية التحقيق ، وابلغه ان كل المطلوب منه ومن أعوانه هو إنكار صلتهم بالحادث ، لان العقاب سينالهم قبل أي أحد آخر في حالة إثبات العكس ، اما الجراح الموجودة على جسد الجن التي سترد في تقرير اللجنة الطبية المكلفة بفحص الجثة ، فيمكن إيعازها لحادث الهجوم الليلي الذي تعرض له الجن قبل فترة من سجنه وقيد ضد مجهول ، وذا لم يكن هذا الشرح كافيا ، او ان التقرير استطاع الاهتداء الى انها جراح اكثر حداثة من جراح الحادث القديم فيمكن القول انها جراح حدثت نتيجة ان الجن قاوم الاعتقال ، فلم يستطع رجال الامن غير استعمال القوة لإرغامه على مرافقتهم وافتكاك سكين كان يهاجمهم به ، الحق به جروحا قبل انتزاعه منه ، تبقى الحروق التي لا يدري كيف وصلت الحماقة بشوقي سعيد واعوانه ، لإحداثها بجسم الضحية والتي يأمل ان تكون قد اختفت بسبب تفسخ الجثة ، وان لم تختف فيترك المهمة له ولمن قام بها للدفاع عن أنفسهم ، ولعل الاصوب هنا ان يتقدم أحد العناصر باعتراف الى اللجنة بانه لجأ الى استخدام بعض وسائل التعذيب لارغام المتهم على قول الحقيقة

حول دوره في محاولة اغتيال الأمير
ويتحمل وحده مسئولية ما فعله بمبادرة منه
وفي مخالفة صريحة لتعليمات السجن
ولن يكون عقابه في هذه الحالة كبيرا
لان مهمة اللجنة ليس البحث في وسائل التحقيق
المتبعة في السجن وانما إثبات الطريقة التي مات
بها محمد الجن ، ومهمتنا ان ننفي نفيا
كاملا ، وننكر بصفة قاطعة انه مات مقتولا
انما مات منتحرا كما تؤكد كل القرائن والبراهين
انتهى من تقديم توصياته الى مدير السجن الذي
بدا خائفا ، مذعورا ، هرب الدم من وجهه
فكان لابد للحبشي ان يبعث فيه بعض الشجاعة
والأمل في النجاة، لكي لا يتحول هذا الخوف
الى انهيار واعتراف بما حدث وتحصل الكارثة
وخرج عائدا الى بيته وهو يشعر لاول مرة
منذ موت الجن ، بوصول الخطر الى هذا الحد
الوشيك منه ، دون ان يستطيع له ردعا ، لانه
حتى وهو يحاول بعث الأمل في مدير السجن
لم يكن هو نفسه متحررا من مشاعر الخوف
والإحباط واليأس التي جعلته ما ان يعود الى البيت
حتى يذهب الى زاوية في الصالون مخصصة
لوضع الزجاجات والأكواب الخاصة بجلسات
الشراب ، فيختار من بينها زجاجة ويسكي
يفتحها ويحضر الماء والثلج والصودا
ويجلس للشراب قبل ان تأتي الجازية وتضع
أمامه صحون الطعام ، حيث واصل شرابه
مع ما استطاع إرغام نفسه على ابتلاعه
من أكل يصنع له بطانة تحمي المعدة
من آثار الشراب ، لانه مدرك انه سيشرب
اليوم كميات اكثر مما تعود استهلاكه ، فحجم

الهموم التي يشعر بها تضغط على صدره
لن تقدر على رفعها الا القوة السحرية
لهذا السائل الذي يحيل جبال الهموم الى قطع
من الفلين ، ويجعل الإنسان نفسه كالكائن
المصنوع من ريش الطيور ، يطفو فوق
الواقع ويترك الأحزان وراء ه ، وعندما
انضمت سونيا الى مجلسه ، ترافقها صفاء
كان الحبشي قد وصل الى درجة من السكر
لم يعد معها يستطيع المحافظة على تلك الرؤية
الشفوقة العطوفة التي كان ينظر بها الى
الضيفة الصغيرة التي لجأت الى بيته ، وعلى
غير عادته في السهرات الماضية التي كان
يقضيها محتفظا بوعيه ، يسأل الفتاة ان تقص
عليه طرفا من حياتها وظروفها ، فقد صار
هذه المرة ينظر اليها كعنصر تسلية وترفيه
في السهرة ويسألها ان تغني له شيئا من
محفوظاتها ، وعندما ظلت الفتاة صامتة لا تجد
الشجاعة على الغناء ، تدخلت سونيا
لتشجيعها على أجواء الطرب والمرح ، فلم تجد
صفاء أغنية تقولها الا واحدة من الأغاني
المتداولة في الأعراس ، تعكس شيئا من
نفسيتها الخائفة من الرجال الغرباء، فغنت بصوت
حزين أغنية تقول كلماتها:
ـ قولوا لها راجل غريب ايجيكم .
كانت الرنة الحزينة في صوتها ذات تأثير
قوي على عثمان الحبشي ، الذي صار يردد
معها مقاطع الأغنية والدموع تسح
من عينيه ، وهو موقف رأت سونيا انه لا
يليق برجل في مكانة رئيسها ، فسألت صفاء بلهجة
حاسمة ان تنتقل من هذه الأغنية الكئيبة التي

تجلب الحزن الى أداء أغنية اكثر فرحا ، وعندما رأتها لا تجد أغنية أخرى تقولها ، ورأت الحبشي يغرق في صمته ووجومه وقد ارتسمت على وجهه علامات التعاسة ، ووصل الى حد من الثمالة لا يستطيع ان يفتح معها عينيه ، اقترحت عليه ان ينتقل الى غرفة نومه ، فنهض مترنحا ، وقامت سونيا تعاونه في النهوض وتسأل صفاء ان تعاونها في إسناده ومرافقته حتى يصل الى غرفته ، ولم تتردد ، بعد ذلك في ان تطلب منها قضاء الليل بجواره لانه حسب رأيها يحتاج الى من يرعاه ويراقبه ويعطيه حبة الدواء الموجودة بجوار رأسه ويساعده في ابتلاعها مع كوب من الماء وكانت قد مهدت معها الموضوع قبل هذا الوقت ترجوها مراعاة صاحب البيت والسهر على راحته واعدة اياها بانها ستقنعه بان يتزوج منها ، فهو رجل أعزب يسره ان يتزوج من فتاة جميلة مثلها ، وتستطيع بهذه الطريقة ان تحل مشكلتها وتمسح العار الذي يمكن ان يلحق بها ، خاصة وهي تعلم انه لا سبيل لإرجاع ذلك الشاب الإيطالي الهارب الى البلاد ولا طريق أمامها للنجاة من مأساتها الا الزواج من هذا الرجل الذي سيوفر لها الحماية والامان ، ويمنحها فرصة ان تظهر قوية أمام المجتمع ، باعتبارها زوجة رجل قوي هو صاحب اكبر مركز في الحكومة من أبناء هذه البلاد

ـ تصبحين على خير .

ألقت لها سونيا بتحية الوداع ، وخرجت وقد سحبت الباب وراءها ، تاركة الفتاة تواجه مصيرها

مع عثمان الحبشي ، كما فعلت في مرات سابقة
مع اكثر من فتاة ، دون ان تنسى ان تغمزها غمزة
ذات معنى ، طالبة منها استخدام مؤهلاتها الانثوية
واعطاء الرجل ما يريده لتستطيع بالتالي
ان تأخذ ما تريده منه
كان الحبشي قد فرض على نفسه نظاما صارما في
الفترة الأخيرة لا يحيد عنه مهما كانت الأسباب
وهو ان يعود الى البيت كل يوم ، فور خروجه
من مكتبه ، فلا يغادره الا في صباح اليوم التالي
راجعا الى مكتبه دون ان يرى أحدا او يراه أحد
من الناس خارج المكتب غير المرأتين اللتين تشاركانه
الإقامة في البيت وهما الجازية وصفاء
او سونيا التي تأتي لبضع ساعات كل مساء
ثم امتنع في الأيام الأخيرة عن الذهاب
الى المكتب بحجة انه متوعك صحيا
وهو العذر الذي أمر سونيا بان تقوله لكل
من يسأل عنه ولو كان الوالي نفسه ، أو
أي أحد من لجنة التحقيق ، وقد بدأ احتجابه
في البيت بعد ان ثم القبض على شوقي سعيد
واثنين من اعوانه هما الكاسكا وأبى نابين
بأمر من لجنة التحقيق ، وإيداعهم السجن
على ذمة القضية ، بعد ان ثبت للجنة وجود
شبهة جنائية في موت محمد الجن . صار
الحبشي يرى دائرة الإدانة تضيق حوله ، ويدرك
ان القبض عليه أضحى مسألة وقت فقط ، وان
الأمر بإيقافه عن العمل تمهيدا لإيداعه السجن
سيصدر في أية لحظة، ورآى ان القبض عليه
لا يجب ان يكون في مكتبه ووسط اعوانه
وموظفيه ، وانما في بيته ، حيث سيكون
اكثر هونا وحجم الفضيحة سيكون محدودا

فرصة المناورة ستبقى متاحة أمامه اكثر
مما في المكتب . كانت سونيا تأتيه كل يوم
بالملفات الضرورية التي تحتاج لرأي
او توجيه منه ، او الأوراق التي تحتاج
لتوقيعه ، فهو رسميا مازال مدير أمن
طرابلس ، عدا ذلك فهو يحيا في بيته ، مشمولا
بعزلته ، ممتنعا عن إجراء اية لقاءات
او الرد على اية مكالمات هاتفية او تلبية
اية دعوة تأتيه اوالسماح بأي زائر يقتحم
عليه بيته ، تاركا تعليماته الواضحة لمديرة
مكتبه سونيا بتأجيل أي موعد الى وقت
آخر يحدد فيما بعد ، عارفا انه لن يكون
هناك وقت آخر لاية مواعيد ، فسنوات السجن
التي يمكن ان يحكم بها القاضي عليه ، ستكون
بالتأكيد اكثر مما تبقى له من عمر ، وهو مازال
لم يصل الى قرار حول الكيفية التي سيواجه
به لحظة القبض عليه ، هل يستسلم لمصيره
راضيا ويضع يديه في القيد الحديدي الذي يحمله
الضابط الذي سيقبض عليه دون احتجاج
او مقاومة ، ام يستخدم مسدسه في منع اية قوة
من القبض عليه ، ويرغم هذه القوة على إطلاق
النار عليه ، فلا يأخذونه من بيته الا جثة هامدة
ليست هذه بالتأكيد هي النهاية التي كان يتمناها
لنفسه ، ولا تلك التي يريدها له أهله في أولاد الشيخ
وبينهم والده الذي لا يدري كيف سيكون
وقع الصدمة عليه ، ولكن ماذا باستطاعته
ان يفعل وقد سارت الأحداث بالنسبة له في مسار
خاطئ ، ولم يعد ممكنا تعديله او إصلاحه
ورغم قضائه اغلب النهار وساعات من الليل
مع الكأس والشراب ، فانه يخصص الساعات

التي تلي استيقاظه من النوم صباحا للصلاة
والاستغفار وطلب الرحمة من خالق الأكوان
ورفع الكرب عنه " واللهم لا نسألك رد القضاء
ولكن نسألك اللطف فيه "
لم تأت سونيا ليلة الأمس ، تاركة أمر مجالسته
أثناء السهرة وإعانته في آخرها على الانتقال
الى سريره الى هذه الفتاة التي لا يدري ماذا سيكون
مصيرها بعد غيابه خلف جدران السجن ، لم يعد
في إمكانه ان يعمل شيئا من اجل حل مشكلتها
ولن يستطيع سوى تقديم مساعدة مالية لها طالبا
منها ان تغادر البيت منذ الان لكي يجنبها
الوقوع في اية مشاكل . كان قد استاء من سونيا عندما
استدراج صفاء لتنام معه في سريره عندما كان ثملا
ومهما كان ما عمله مع الفتاة او عملته مع الفتاة تلك
الليلة ، فلم يسمح بتكراره وامرها ان تعود للنوم في
الغرفة المخصصة لنومها بقية الليالي
غياب سونيا مساء الأمس لا يمكن ان يكون بلا
سبب ، واخشى ما يخشاه ان يكون الامر قد صدر
فعلا بإيقافه عن العمل ، مقرونا بقرار القبض
عليه ، واحست هي بالحرج والخجل من إبلاغه
بذلك ، وامتنعت عن المجيء الى بيته ، تاركة
لاصحاب الشأن القيام بالمهمة الموكولة اليهم
كان قد تدبر الامر كثيرا بينه وبين نفسه
واستخار الله في الصلاة عما يجب ان يفعله
في مواجهة القبض عليه ، ووصل الى قناعة
بان يتركهم يقبضون عليه دون ان يثير
المتاعب في وجوههم ، وان يتقبل قدره
بايمان ويواجه ما يحدث له بشجاعة وعزيمة
وكان قد فرغ من الصلاة ، واراد ان يدعو صفاء
الموجودة بالمطبخ تعاون الطاهية في غسل الأواني

ليعطيها مبلغا من المال ويطلب منها الرحيل
الا انه قبل ان يفعل ذلك سمع طرقا عنيفا
على الباب ، ادرك معه ان لا أحد يمكن ان يطرق
الباب بهذا الشكل الا الشرطة القادمة للقبض
عليه ، ويجب ان يتصرف باسرع ما يستطيع
لتصريف بعض الامور قبل دخولهم البيت
فخرج من غرفته ليرى الجازية تتجه لفتح
الباب ، فسألها الا تفتحه حتى يأذن لها
وعندما أشارت بضيق الى قوة الضربات
على الباب ، سألها الا تبالي فليكسروه اذا شاءوا
واتجه عائدا الى غرفة نومه لارتداء ملابسه
المدنية بسرعة فائقة ، ثم يمضي الى المطبخ
ليعطي الجازية وصفاء مبلغا من المال
لكل منهما يتدبران به امرهما ، قائلا للجازية
بان تخبر كل من يسألها عن صفاء بانها جاءت
بها لتساعدها في اعمال البيت ، ودعاها لان
تذهب لفتح الباب مع بقاء صفاء في المطبخ
وانتقل لاستقبال الشرطة الذين جاءوا لتنفيذ
أمر لجنة التحقيق ، دون ان ينسى وضع
المسدس في جيبه ، الذي يعرف انه لن يحتاج
لاستخدامه ، الا انه رآه غير لائق لشخص مثله
ان يترك مسدسه وراءه . فتحت الجازية
البيت ، لتكتشف ويكتشف الحبشي ان الطارق
لم تكن عناصر الشرطة، وانما امرأة ليبية
ممتلئة الجسم ، ترتدي الفراشية، وتسدل طرفا
منها على وجهها وتعض على هذا الطرف بأسنانها
فلا يظهر شيئا من ملامحها ، ولا يبقى غير
ثقب يتيح لإحدى عينيها ان ترى بها
الاشياء ، وتدخل صارخة تبحث عن
الحبشي ، وعندما تراه تتجه اليه وتمسك بطرف

سترته ، تناديه باسمه القديم عثمان الشيخ
وتسأله بشراسة عما فعله بابنتها ، وكيف
يطاوعه عقله وقلبه وضميره ودينه على
ارتكاب جريمة بشعة ينكرها الدين والضمير ،
ولا يفعلها الا انسان بلا عقل ولا قلب ولا خجل
ولا حياء ولا أخلاق ، وهو يحاول ان يدفعها
عن نفسه ، ويفك سترته من قبضتها ، ويسألها
في ذات الوقت عمن تكون ، ومن تكون ابنتها
التي تتحدث عنها ، وعما تريده منه ، فأجابته
بانها نورية التي كان يعرفها سنوات قبل ذهابه
الى الحبشة ، والتي لم تكن تعرف انه عاد
الى البلاد من تلك الحرب متنكرا في اسمه الجديد
ومنصبه الكبير ، ولم تعرف الا في اليومين
الأخيرين ، وهي تبحث عن ابنتها المختفية
التي ذهبت الى مركز الشرطة تشكو الخطيب
الذ ي خدعها ، فإذا بهم يستدرجون الى حضن
وفراش مدير الشرطة هذه الفتاة التي هي ا
صغر من ابنته ، ومبعث العار والفضيحة
حقا هو انها فعلا ابنته ،التي جاءت من
صلبه ، وسجلتها باسم غير اسمه ، كما يحدث
مع النساء اللاتي يبتليهن الله بما حدث لها
ولم تقل له شيئا عن ابنته ، حتى وهي تذهب
لوداعه في الميناء عند رحيله الى الحرب
وتعطيه مع صاحبتها شريفة علبة تحتوي على
نوع فاخر من غبرة المسك يطيب بها نفسه
وينشر عطرها الزكي ليغطي علي اية رائحة
كريهة في أي مكان يريد ، مؤجلة إخباره بوجود
الطفلة التي بدأت تنمو وتضحك الى حين
عودته ، وعندما لم يعد ظنت بانه قد
مات ، ولم تعد تسأل عنه . سلمت أمرها لله

وتولت تربية ابنتها بما يرضي الله ورسوله
وحرصت على تجنيبها الشقاء الذي تعرضت له
هي نفسها وعملت على حمايتها من كل الشرور
دون ان تعرف بان مصدر الشر بالنسبة لها ، سيكون
والدها الذي انبعث من موت عمره ستة عشر
عاما ليفحش بابنته وهي تدخل اولى مراحل
الشباب . انه لن يجد الان غبرة مسك في الدنيا
تستطيع ان تخفي عفونة فعلته الشنعاء التي لم
يجرؤ على ارتكابها عبدة إبليس أنفسهم
هذه الأثناء خرجت صفاء الى الصالة بعد ان
ارتدت ملابسها ، وتأكدت من ان المرأة التي
دخلت الى البيت لتصنع فيه هذه الجلبة هي أمها
تحاول ان تسكتها وتمنعها من الصراخ ومهاجمة
الحبشي ، وكان الحبشي قد انتبه الى خطورة
ما تقوله المرأة فصار يحاول ان يكشف الغطاء
عن وجهها ليتأكد انها حقا نورية التي تعرف
عليها ثناء مجيئه الى المدينة في مطلع
الثلاثينيات ، قائلا لها بانها تكذب ، وان ما تقوله
مجرد مؤامرة دنيئة من خصومه الذين ارسلوا
بها اليه ، محاولين تدميره نفسيا واخلاقيا
بعد ان دمروه سياسيا ومهنيا ، والمرأة تؤكد
له ان الفتاة ابنته ، وانه يستطيع ان ينظر الى
ملامحها ليرى شيئا من ملامحه موجود في
ملامح وجه الفتاة
انكشف وجه المرأة الغريبة ، فادرك انها فعلا نورية
التي عرفها منذ تلك الفترة التي سبقت ذهابه
الى الحبشة ، واستطاع ان يتبين في وجه
صفاء ما تشير اليه المرأة من تشابه في بعض
الملامح بينه وبينها ، فوضع كفيه فوق عينيه
لا يريد ان يرى شيئا ، واتجه الى باب البيت لا

يريد ان يسمع مزيدا مما تقوله المرأة او مواجه
النظرة المليئة دهشة واستغرابا تطل من عيني
الفتاة . ضرب الباب وراءه وهو ما يزال غير
مصدق ما يحدث ، يراه كأنه كابوس لابد ان يصحو
منه في الحال ، ويتهم المرأة بالكذب في كلمات ا
ختلطت بالبكاء حتى لم تعد مفهومة
ترك بيته هاربا، راكضا ، غير مدرك في أي
اتجاه يمضي ، ولا إلى أي مكان يتجه ، فالمهم
بالنسبة له في هذه اللحظة هو ان يبتعد
باقصى ما يستطيع من سرعة عن بيته ، لكي
لا يسمع الكلام الذي كان يسمعه من تلك المرأة
ولا يرى وجهها او وجه ابنتها وقد انعكست
فوق الوجهين صورة الفضيحة
وعندما سمع ، بعد فترة من ركضه وابتعاده
عن البيت ، صوت الصفير الذي تطلقه سيارات
الشرطة ، يتصاعد من مكان ما خلف ظهره
أيقن أنها تتجه الى بيته للقبض ليه ، فزاد
حماسه للهرب والاختفاء ، وترك الطرق
الرئيسة التي يمكن رصده وملاحقته عبرها
الى الشوارع الخلفية والمناطق التي يختلط فيه
الريف بالمدينة ، وتختلط فيها الأبنية
بالمناطق الزراعية ، وواصل ركضه بكل ما يملك
من قوة ، هاربا من العار الذي يطارده ، والشرطة
التي تريد القبض عليه ، وصوت المرأة التي
انبثقت وسط بيته كشبح من الماضي تصرخ
وترمي في وجهه بأقبح التهم
مضى يركض ويركض وقد بدأت تتضح في ذهنه
صورة المكان الذي سيجد لديه الحماية
وهو الصحراء
سيترك مدينة طرابلس خلفه

وسينطلق بأقصى ما يستطيعه من سرعة ، باتجاه الحمادة الحمراء .